منبر الإسلام

صوت الإسلام الوسطى

السنة (٧٣) العدد (١١) ذو القعدة ١٤٣٥هـ
سبتمبر ٢٠١٤م - الثمن ٢٠٠ قرش

الخطاب الدينى وثلاث معضلات كبرى

أ.د. محمد مختار جمعة (وزير الأوقاف)

فضل الحج وأثره فى غفران الذنوب

أخلاق الإسلام فى التعامل مع العلماء

الاعتداء على الأرض الزراعية جريمة شرعية

خطب شهر ذى القعدة لسنة ١٤٣٥هـ

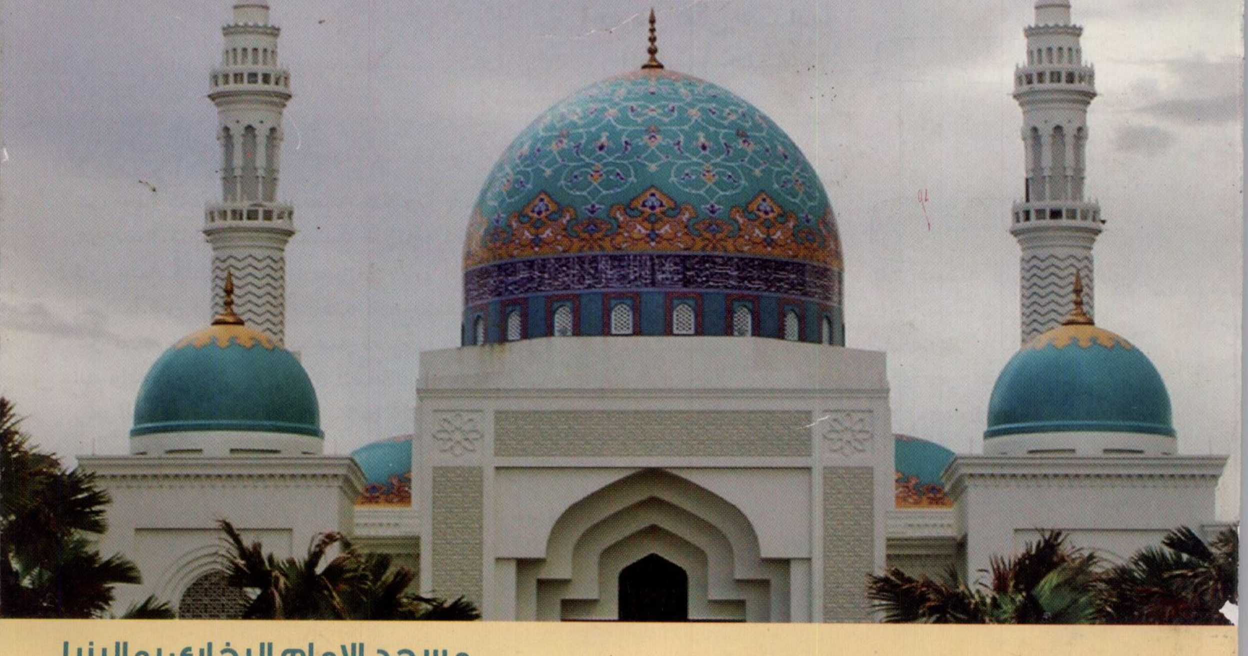

مسجد الإمام البخارى بماليزيا

منبر الإسلام

صوت الإسلام الوسطى

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : أحمد على عجيبة

الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مجلس الأمناء

فضيلة الأمام الأكبر (شيخ الأزهر)

الدكتور : أحمد محمد الطيب

الدكتور : شوقى علام

مفتى الجمهورية

الدكتور : عباس شومان

وكيل الأزهر

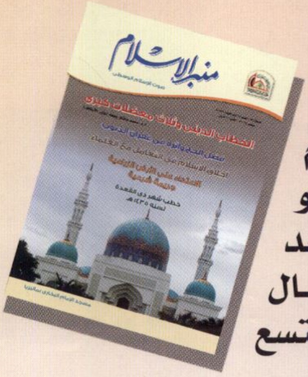

مجلة منبر الإسلام

صورة لمسجد الإمام البخارى بماليزيا وهو واحد من أشهر المساجد هناك حيث يمتاز بجمال بنائه وروعة تصميمه ويتسع لجمع كبير من المصلين

الفردوس

«مجلة كل الأطفال»

من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لكل أطفال العالم مجلة الفردوس فى ثوبها الجديد فكرية - ثقافية - أخلاقية - شاملة مع الباعة غرة كل شهر عربى احرص على اقتنائها

الثمن ١ جنيه

الاشتراكات

يخاطب بشأنها : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وترسل على مكتب بريد جاردن سي تى - القاهرة

عن سنة كاملة : ٣٥ خمسة وثلاثون جنيها بجمهورية مصر العربية.

عن سنة كاملة : ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا أمريكيا للدول العربية والإفريقية

عن سنة كاملة : ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا للدول الأوربية عن سنة كاملة : ٤٥ خمسة وأربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا.

عن سنة كاملة : ٦٥ خمسة وستون دولارًا أمريكيًا لأمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

العنوان البريدى : ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة.

رقم الهاتف : ٢٧٩٥٨٦٦٤ - ٢٧٩٥٨٦٥٩ - ٢٧٩٤١٦٢٧ (٢٠٢) - فاكس : ٢٧٩٥٨٦٦٣ - ٢٧٩٥٤٠٠٥ (٢٠٢)

الاشتراكات لسلسلتى قضايا ودراسات إسلامية

قيمة الاشتراك السنوى للسلسلة الواحدة (١٢ عدداً)

أولاً : داخل مصر (١.٥ جنيه مصرى لكل عدد).

ثانياً : خارج مصر كالآتى : دول عربية وافريقية (٩ دولارات أمريكية) دول أوروبية (١١ دولارًا أمريكيا)، دول أمريكا وكندا وآسيا (١٤ دولارًا أمريكيًا) أمريكا الجنوبية واستراليا : (٢٢ دولارًا أمريكيًا).

اقرأ لهؤلاء

■ الخطاب الدينى وثلاث معضلات كبرى ٢
أ.د. محمد مختار جمعة (وزير الأوقاف)

■ فضل الحج وأثره فى غفران الذنوب ٥
د. أحمد عمر هاشم

■ نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية ١٥
د. طه مصطفى أبو كريشة

■ مكانة النبوة والأنبياء فى القرآن الكريم ٢٤
د. حسن أحمد خليل

■ أخلاق الإسلام فى التعامل مع العلماء ٢٩
د. عبد المنعم صبحى أبو شعيشع

■ مكانة العلم والعلماء فى ضوء القرآن الكريم ٣٤
د. مختار مرزوق عبد الرحيم

■ الاعتداء على الأرض الزراعية جريمة شرعية ٤٨
د. أحمد فاروق الهلباوى

■ كفالة اليتيم ورعايته طريقك إلى الجنة ٥٢
تحقيق: محمد كامل شاهين

■ من تراث منبر الإسلام «من أخلاق القرآن الكريم الاعتصام بالله» ٨٧
د. أحمد الشرباصى (يرحمه الله)

■ العفو من أخلاق الإسلام ١٠٦
د. إلهام محمد شاهين

■ أنباء وأخبار ٥٨

■ فاسألوا أهل الذكر ١٣٥

■ نافذة على القراء ١٤٠

افتتاحية العدد

عزيزى القارئ

يدور الزمان دورته، ويهل علينا شهر كريم وهو شهر ذى القعدة، وهو شهر يستعد الحجيج فيه للذهاب إلى الأراضى المقدسة ليكونوا ضيوفا على الرحمن، ملبين دعوته بأداء الركن الخامس فى الإسلام.

وفى شعيرة الحج تتجلى النفحات الإيمانية والفيوضات الروحية التى يتمنى كل حاج أن ينالها وهو فى ضيافة الرحمن راجيا أن يتقبل الله حجه، داعيا المولى عز وجل أن ينال كل مسلم شرف هذه الزيارة.

ولذا حرصت مجلة «منبر الإسلام» أن تخصص فى هذا العدد موضوعات تتناول الحج، بالإضافة إلى مقالات عن «مكانة العلم والعلماء فى الإسلام» إلى جانب الموضوعات المتنوعة، وخطب الجمعة لشهر ذى القعدة.

وتنتهز مجلة «منبر الإسلام» الفرصة موجهة تهنئة لمن نال شرف ضيافة الرحمن هذا العام سائلين المولى عز وجل أن يوحد قلوب المسلمين على الحب والتآخى فيما بينهم، ويجعلنا جميعا صفا واحداً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

أسرة التحرير

يسرنا أن نعلن لسيادتكم عن توافر خدمة توصيل مجلة «منبر الإسلام» ومجلة «الفردوس لكل الأطفال» بالسعر الرسمى دون تحميل القارئ مصاريف توصيل وذلك من خلال الاتصال على الأرقام التالية: ٢٥٨٠٦٢٣٨ - ٢٥٨٠٦٤٢٠ - ٢٥٨٠٦٤١١

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Addresses : www.islamic-council.org- www.islamic-council.com
E-mail Address: Islamic_council_eg@yahoo.com
Postal Address : 9, El-Nabatât St., Garden City, Cairo, A.R.E - Tel. : (+202) 27947776 / 27958664 Fax : (+202) 27954005

الصفحة الرسمية للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية

http://www.facebook.com/islamic.council.eg -- http://www.facebook.com/supreme.islamic.council.eg

«ضوابط النشر بالمجلة»

ترجو إدارة المجلة من السادة الكتّاب الالتزام بضوابط النشر التالية:

١ - أن يكون المقال منضبطا بالضوابط الشرعية المحكومة بالقرآن والسنّة.

٢ - أن يكون المقال متميزًا فى مادته، ولم يسبق نشره ويفضل أن يكون مكتوبًا على الكمبيوتر ومصحوبًا بقرص مدمج (C.D) إن أمكن ذلك مع مراعاة ألا يزيد حجم المقال على ألف كلمة تقريبا.

٣ - تخضع الموضوعات المقدمة للفحص من قبَل المتخصصين بالمجلة، علمًا بأن الموضوعات لا ترد لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

٤ - يراعى أن يرفق الكاتب مقاله بنبذة مختصرة عن سيرته الذاتية تتضمن الاسم الثلاثى والمهنة الحالية، والعنوان ورقم الهاتف.

الخطاب الدينى وثلاث معضلات كبرى

أ. د. محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف

لا شك أن الخطاب الدينى قد صار حديث الساعة، حديث المثقفين، حديث العامة والخاصة، ولا شك أن ذلك كله يأتى نتيجة لما أصاب هذا الخطاب فى السنوات الأخيرة من سطو وتسلّق عليه، أو محاولات لاختطافه، أو المتاجرة به، وما تبع ذلك من استخدام الدين من قبل أدعيائه المتاجرين به غطاء لعمالتهم وأعمالهم المشبوهة ضد أوطانهم فى أعمال عنف أو تخريب، بل تجاوز الأمر ذلك إلى أعمال قتالية تهدف بأسلوب مباشر وصريح وفج إلى إسقاط دولهم وأوطانهم، وتفتيتها وتمزيقها، وتحويلها إلى بؤر وجماعات متصارعة تصارعًا لا يرجى الخلاص منه فى القريب العاجل إلا برحمة من الله (عزّ وجل)، ويقظة منّا جميعًا، أفراداً ودولاً، وإدراكًا لحجم المخططات والمؤامرات التى تستهدف أمتنا ومنطقتنا العربية على وجه الخصوص.

المساس بثوابت العقيدة والتجرؤ عليها لا يخدم سوى قوى التطرف والإرهاب

ولا ينكر أحد أن حجم الإجرام والتخريب الذى يقوم به بعض المنتسبين إلى الجماعات والتيارات التى تتخذ من الدين ستاراً وشعاراً قد فاق كل التصورات، وتجاوز كل معانى الإنسانية إلى درجة يوصف معها من يقوم بهذا الإفساد والتخريب بالخيانة للدين والوطن معًا، مما جعل بعض الكتّاب يتجاوز باتهامه المخربين والمفسدين إلى الخطاب الدينى نفسه، ما بين عاقل يفرق بين الغث والثمين، وآخر يعمم الأحكام بلا إنصاف ولا رويّة، لأن الفتنة أحيانًا تجعل الحليم حيران.

وأرى أن الخطاب الدينى تكتنفه ثلاث معضلات كبرى:

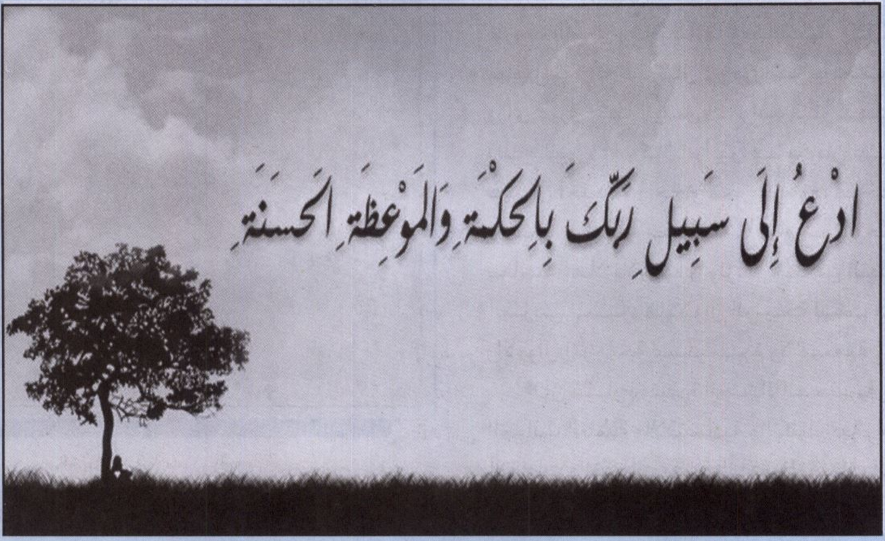

الأولى: هى معضلة الجمود، من هؤلاء المنغلقين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أن باب الاجتهاد قد أغلق، و أن الأمة لم ولن تلد مجتهداً بعد، وأنها عقمت عقماً لا براء منه، متناسين أو متجاهلين أن الله (عز وجل) لم يخص بالعلم ولا بالفقه قوماً دون قوم، أو زماناً دون زمان، وأن الخير فى أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة .

المعضلة الثانية: معضلة الخوف من الإسلام، أو ما يعرف بـ «الإسلام فوبيا»، مما يجعل بعض هؤلاء المتخوفين يظن خطأً أن علاج التشدد إنما يكون بالذهاب إلى النقيض الآخر، مما يعود بنا إلى عقود من الصراع حدث فيها خلط كبير بين مواجهة التطرف وأهمية التدين، حيث توهم بعض المتخوفين من الإسلام أن محاربة التطرف تقتضى وتستلزم تجفيف منابع التدين، فاصطدموا بالفطرة الإنسانية، فطرة الله التى فطر الناس عليها، ونسوا أن أفضل طريق لمواجهة التطرف هى نشر سماحة الأديان، وتحصين الناس وبخاصة الناشئة والشباب بصحيح الدين، وأنك لا تستطيع أن تقضى على التطرف من جذوره إلا إذا عملت بنفس القدر والنسبة على مواجهة التسيب والانحلال والإلحاد الذى صار موجهًا لخلخلة مجتمعاتنا شأن التشدد سواء بسواء، ومن هنا كان وعى الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف ووزارة الشباب والرياضة بخطورة الإلحاد والتسيب، فأطلقت وزارتا الأوقاف والشباب مبادرة مشتركة لمواجهة الإلحاد تحت عنوان «بالعقل كده» إيمانًا منهما بخطورة الإلحاد على أمن الوطن واستقراره ونسيجه الاجتماعى.

وفى هذا نؤكد أن المساس بثوابت العقيدة والتجرؤ عليها وإنكار ما استقر منها فى وجدان الأمة لا يخدم سوى قوى التطرف والإرهاب وخاصة فى ظل الظروف التى نمر بها، لأن الجماعات المتطرفة تستغل مثل هذه السقطات لترويج شائعات التفريط فى الثوابت مما ينبغى التنبه له والحذر منه، فإذا أردنا أن نقضى على التشدد من جذوره فلابد أن نقضى على التسيب من جذوره، فلكل فعل رد فعل مساو له فى النسبة ومضاد له فى الاتجاه.

المعضلة الثالثة: هى الخوف من التجديد أو التجاوز فيه، فلا شك أن التجديد يحتاج إلى شجاعة وجرأة محسوبة، وحسن تقدير للأمور فى آن واحد، كما أنه يحتاج من صاحبه إلى إخلاص النيّة لله بما يعينه على حسن الفهم وعلى تحمل النقد والسهام اللاذعة.

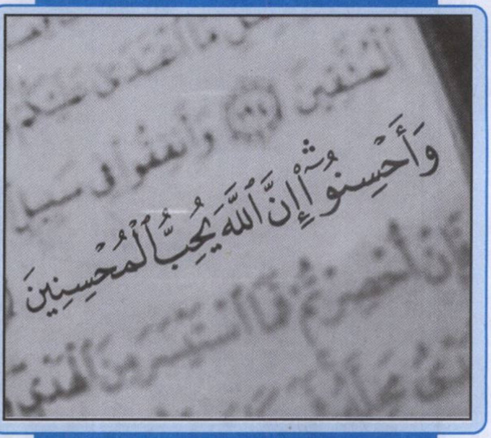

ولكى نقطع الطريق على أى مزايدات فإننى أؤكد على الثوابت والأمور التالية:

● أن ما ثبت بدليل قطعى الثبوت والدلالة، وما أجمعت عليه الأمة وصار معلومًا من الدين بالضرورة كأصول العقائد وفرائض الإسلام من وجوب الصلاة، والصيام، والزكاة، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، كل ذلك لا مجال للخلاف فيه، فهى أمور توقيفية لا تتغير بتغيّر الزمان ولا المكان والأحوال، فمجال الاجتهاد هو كل حكم شرعى ليس فيه دليل قطعى الثبوت والدلالة .

● مع تقديرنا الكامل لآراء الأئمة المجتهدين فإننا ندرك أن بعض الفتاوى ناسبت عصرها وزمانها، أو مكانها، أو أحوال المستفتين، وأن ما كان راجحًا فى عصر وفق ما اقتضته المصلحة فى ذلك العصر قد يكون مرجوحًا فى عصر آخر إذا تغير وجه المصلحة فيه، وأن المفتى به فى عصر معين، وفى بيئة معينة، وفى ظل ظروف معينة، قد يصبح غيره أولى منه فى الإفتاء به إذا تغيّر العصر، أو تغيّرت البيئة، أو تغيّرت الظروف، ما دام ذلك كله فى ضوء الدليل الشرعى المعتبر، والمقاصد العامة للشريعة .

أننا نؤمن بالرأى والرأى الآخر، وبإمكانية تعدد الصواب فى بعض القضايا الخلافيّة، فى ضوء تعدد ظروف الفتوى وملابساتها ومقدماتها، وإذا كان بعض سلفنا الصالح قد قال : رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب، فإننا نذهب أبعد من ذلك فنقول : إن كلا الرأيين قد يكونان على صواب، غير أن أحدهما راجح والآخر مرجوح، فنأخذ بما نراه راجحًا مع عدم تخطئتنا لما نراه مرجوحًا، ما دام صاحبه أهلا للاجتهاد، ولرأيه حظ من النظر والدليل الشرعى المعتبر، فالأقوال الراجحة ليست معصومة، والأقوال المرجوحة ليست مهدرة ولا مهدومة .

● أن تسارع وتيرة الحياة العصرية فى شتى الجوانب العلمية والاقتصادية والتكنولوجية، إضافة إلى التقلبات والتكتلات والتحالفات والمتغيّرات السياسية، كل ذلك يحتم على العلماء والفقهاء إعادة النظر فى ضوء كل هذه المتغيّرات، ويعلم الجميع أن الإقدام على هذا الأمر ليس سهلا ولا يسيرًا، ويحتاج إلى جهود ضخمة من الأفراد والمؤسسات، غير أننا فى النهاية لابد أن ننطلق إلى الأمام، وأن نأخذ زمام المبادرة للخروج من دائرة الجمود .

التجديد ينبغى ألا يتجاوز ثوابت الشرع وأن ينضبط بميزانى الشرع والعقل

مع التأكيد مرة أخرى أن هذا التجديد ينبغى ألا يتجاوز ثوابت الشرع، وأن ينضبط بميزانى الشرع والعقل، وألا يترك نهبًا لغير المؤهلين وغير المتخصصين أو المتطاولين الذين يريدون هدم الثوابت تحت دعوى التجديد، فالميزان دقيق، والمرحلة فى غاية الدقة والخطورة، لما يكتنفها من تحديات فى الداخل والخارج، فالمتخصص المؤهل إذا اجتهد فأخطأ له أجر، وإن اجتهد فأصاب فله أجران، الأول لاجتهاده والآخر لإصابته، أما من تجرأ على الفتوى بغير علم، فإن أصاب فعليه وزر، وإن أخطأ فعليه وزران، الأول لاقتحامه ما ليس له بأهل، والآخر لما يترتب على خطئه من آثار كان المجتمع والدين معًا فى غنى عنها، فى ظل أوقات تحتاج إلى من يبنى لا من يهدم.

فضل الحج وأثره فى غفران الذنوب

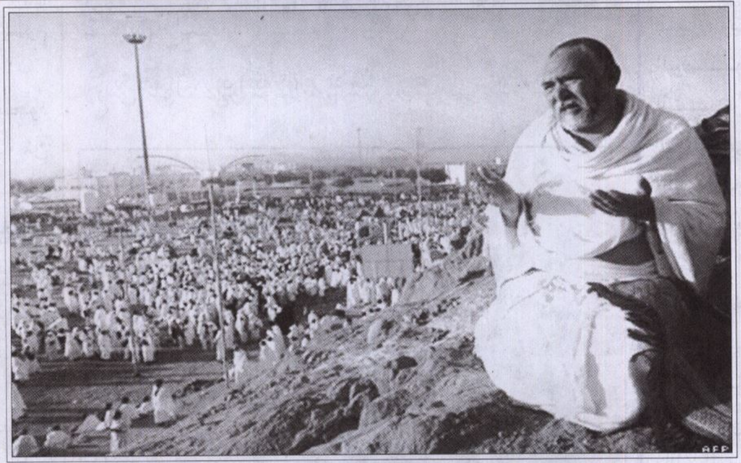

د. أحمد عمر هاشم*

الحجاج والعمار هم وفد الله، وضيوف الرحمن يرعاهم الله برعايته، ويكلؤهم بعنايته. وإن فريضة الحج ركن من أركان الإسلام، وعبادة من أهم عباداته فرضها الله تعالى على المستطيع بدنيا وماليا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ • فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة: آل عمران الآيتان: ٩٦، ٩٧).

وهو من أفضل العبادات التى يتقرب بها العباد لربهم، والتى تكفر الذنوب وتطهر القلوب، وتقرب من علام الغيوب، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أى الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: ثم جهاد فى سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: ثم حج مبرور**».

والحج ركن من أركان الإسلام وفريضة من فرائضه يجب مرة فى العمر، وهو معلوم من الدين بالضرورة فمن أنكر وجوبه كفر، وهو جهاد من لا يستطيع قتال الأعداء والخروج فى الميدان فله ثواب المجاهدين كالرجل الكبير الذى لا يستطيع الجهاد أو الضعيف أو المرأة، عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج**»(١)، وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: «**لكن أفضل الجهاد حج مبرور**»(٢).

وللحج أثره فى تطهير صاحبه وغفران ذنوبه، خاصة إذا كان يؤدى الحج بأركانه وواجباته وسننه

* عضو هيئة كبار العلماء.

بعيدًا عن الرفث والفسوق وما يغضب الله تعالى، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»(٣).

وكل ما سبق يمحوه الحج ويطهر صاحبه من الآثام فإذا به إنسان جديد يبدأ مع ربه صفحة جديدة، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت رسول الله ﷺ فقلت: ابسط يدك فأبايعك. قال: **فبسط**، فقبضت يدى، فقال: «**مالك ياعمرو**»؟ قلت: أشترط، قال: «**تشترط ماذا**»؟ قلت أن يغفر لى، قال: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن الحج يهدم ما قبله**»(٤).

وعبادة الحج والعمرة تنقى العبد من أدران الذنوب وتجلى قلبه وروحه وتنقيه كما ينقى المعدن بالنار فإذا هو بعد ذلك أكثر لمعانًا، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**»(٥).

ولحجاج بيت الله الحرام مكانتهم ومنزلتهم عند ربهم، إنه يحبهم فلا يرد لهم دعاء، ولا يخيب لهم رجاء، لأنهم وفده وضيوفه وهو سبحانه وتعالى أكرم الأكرمين. عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم**»(٦).

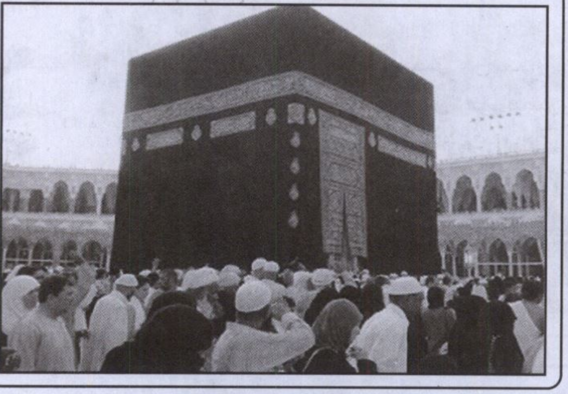

أهم أركان الحج:

الوقوف بعرفة هو أهم أركان الحج لحديث: «**الحج عرفة**»(٧). ويكفى الوقوف ولو فى جزء قليل، ويبدأ وقت الوقوف من زوال الشمس فى اليوم التاسع إلى طلوع فجر اليوم العاشر من شهر ذى الحجة، وفى أى وقت من الأوقات، وفى أى جزء من الوقت فى هذه المساحة الزمنية وقف الحاج فإن وقوفه يكفى، وإذا وقف بالنهار وجب عليه أن يستمر فى الوقوف إلى ما بعد الغروب ويرى الشافعى أن استمرار الوقوف إلى وقت الليل سنة، ويرى الحنابلة أن الوقوف يبتدئ من فجر يوم التاسع إلى فجر يوم النحر.

وعن عبد الرحمن بن يعمر أن رسول الله ﷺ أمر مناديًا ينادى «**الحج عرفة، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك**»(٨).

وليلة جمع هى ليلة المبيت بمزدلفة وهى ليلة النحر والمقصود بالوقوف أن يكون الحاج حاضرًا وموجودًا وشاهدًا الموقف، واقفا كان أو جالسًا ولو كان نائمًا أو راكبًا أو ماشيًا فكل ذلك يطلق عليه اسم الوقوف، وفى أى جزء من عرفة وقف الإنسان أجزأه الوقوف، فعرفة كلها موقف إلا بطن عرنة وهو واد يقع فى الجهة القريبة من عرفة، فالوقوف بوادى عرنة لا يكفى بالإجماع ويستحب أن يكون وقوف الحج عند الصخرات أو قريبًا منها إذا تمكن فإن اشتد الزحام فلا بأس بأن يقف فى أى مكان يتيسر

له فيه الوقوف، فعرفة كلها موقف وفى أى جزء منها يصح الوقوف إلا فى وادى عُرنة، ولقد وقف رسول الله ﷺ **عند الصخرات وقال: «وقفت ههنا وعرفة كلها موقف»**(٩).

ويجمع الحاج بين صلاة الظهر وصلاة العصر جمع تقديم بعرفة قصراً، فيصلى الظهر ركعتين ويصلى العصر ركعتين.

وقد ذهب الجمهور إلى أن ذلك الجمع المذكور يختص بمن يكون مسافراً بشرطه. وعن مالك والأوزاعى وهو وجه للشافعية أن الجمع بعرفة جمع للنسك، فيجوز لكل واحد(١٠).

وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد سمعت ابن الزبير يقول:

«إن من سنة الحج أن الإمام يروح إذا زالت الشمس فيخطب الناس فإذا فرغ من خطبته ترك فصلى الظهر والعصر جمعا».

ويجمع الحجاج بين الظهر والعصر جمع تقديم بعرفة قصراً، ركعتين للظهر، وركعتين للعصر.

ومن الآداب التى يستحب لمن وقف بعرفة أن يتحلى بها: أن يحافظ على الطهارة واستقبال القبلة، وأن يكثر من الاستغفار والذكر والدعاء لنفسه ولغيره، قال رسول الله ﷺ: **«خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير»**(١١).

وعن الحسين بن الحسن المروزى قال: سألت سفيان بن عيينة عن أفضل الدعاء يوم عرفة؟ فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقلت له: هذا ثناء وليس بدعاء، فقال: أما تعرف حديث مالك بن الحارث؟ هو تفسيره، فقلت: حدثنيه أنت فقال: حدثنا منصور عن مالك بن الحارث قال: «يقول الله عز وجل: إذا شغل عبدى ثناؤه على عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين»، وعلى من وقف بعرفة أن يفطر فقد نهى عليه الصلاة والسلام عن صوم يوم عرفة بعرفة وقال عليه الصلاة والسلام: **«إن يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا - أهل الإسلام - وهى أيام أكل وشرب»** فالإفطار بعرفة أفضل ليتقوى العبد على الذكر والدعاء، وأما غير الحاج فالسنة صيامه وكان ﷺ يجمع بين الظهر والعصر بعرفة يؤذن ثم يقيم فيصلى الظهر ثم يقيم فيصلى العصر، وكان عليه الصلاة والسلام يقصر الصلاة فى منى، روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يقيم بمكة فإذا خرج إلى منى قصر الصلاة وإن يوم عرفة هو يوم الرحمة والعتق من النار، عن جابر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذى الحجة: فقال رجل: هن أفضل من عدتهن جهاداً فى سبيل الله؟ قال: هن أفضل من عدتهن جهاداً فى سبيل الله، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهى بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادى جاءونى شعثاً غبراً ضاحين جاؤوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى فلم ير يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة»**(١٢).

عبادة الحج والعمرة تنقى العبد من أدران الذنوب وتجلى قلبه وروحه كما ينقى المعدن بالنار

هوامش:

(١) رواه النسائى.
(٢) رواه البخارى ومسلم.
(٣) رواه البخارى ومسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه الترمذى والنسائى.
(٦) النسائى وابن ماجة.
(٧) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة.
(٨) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة.
(٩) رواه أحمد ومسلم.
(١٠) فتح البارى لابن حجر باب الجمع بين الصلاتين بعرفة.
(١١) رواه أحمد والترمذى.
(١٢) رواه أبو يعلى والبزار وابن خزيمة.

الحج.. الركن الخامس من أركان الإسلام

فى مثل هذه الأيام من شهر ذى القعدة أول الأشهر الحرم المتتابعة من كل عام تهفو قلوب المسلمين فى كل بقاع المعمورة إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج الركن الخامس من أركان الإسلام وهو آخر ما فرضه الله على عباده من العبادات، والحج بحق رحلة فريدة ينتقل فيها المسلم ببدنه وقلبه إلى البقاع المقدسة التى أقسم الله بها فى كتابه الكريم فى قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ • وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (سورة البلد الآيتان: ١، ٢) وقوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ • وَطُورِ سِينِينَ • وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ (سورة التين الآيات: ١، ٣)

فضيلة الشيخ: محمد عبد المجيد زيدان*

فما أجمل أن يتنسم الإنسان عبق تاريخه ودينه ويستنشق عبير الأجداد وعطر الأماكن المقدسة.

الحج عنوان الإخاء مكبرًا
الحج منهاج الولاء قويمًا
الحج مدرسة التعارف شادها
رب الورى وأدارها تعليمًا

لقد فرض الله الحج على كل مسلم مستطيع قادر وجعل ترك هذه الفريضة والاستخفاف بها كفرًا به سبحانه وتعالى لقوله جل شأنه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٩٧) ففريضة الحج انفردت من بين سائر التشريعات بالنص على تحقق الاستطاعة وفى هذا القيد إشارة إلى أن هذه الفريضة ليست كغيرها من الفرائض من حيث ما ينفق فيها من مال وجهد بدنى وغربة عن الأهل والأوطان والاستطاعة على قدر الطاقة ممن كان واجدًا طريقًا إلى الحج ولا مانع له من زمانة أو عجز أو عدو أو قلة زاد فى طريقه أو ضعف عن المشى فعليه الحج لا يجزيه إلا أداؤه فإن لم يكن واجدًا سبيلاً بمعنى إن لم يكن مطيقًا للحج بتعذر تلك المعانى التى وصفناها فهو ممن لا يجد إليه طريقًا ولا يستطيعه لأن الاستطاعة إلى ذلك هى القدرة عليه ومن كان عاجزًا عنه ببعض الأسباب التى ذكرنا أو بغير ذلك فهو غير مطيق ولا يستطيع إليه السبيل كما ذكر الإمام الطبرى. ومن حكم الله تعالى فى الحج أنه لم يفرضه على العباد كل عام

* وكيل أول وزارة الأوقاف الأسبق لشئون الدعوة.

وإنما فرضه مرة واحدة فى العمر ومن ثم فالواجب على كل مسلم يسر الله له أداء فريضة الحج أن يعلم أن الله قد يسر له أن يزود جوارحه وقلبه برحلة الحج زادا عظيمًا قوامه خشية الله وتقواه والعزم على طاعته والندم على معصيته وأن يحرص أن يعود منها قوى العزيمة والإرادة أمام مغريات كل ما حرم الله سبحانه ونهى عنه لأن رحلة الحج ستعيده - بإذن الله تعالى - كمولود جديد فليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» وقال ﷺ: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**» وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج**» فحجوا فقال رجل أكل عام يارسول الله؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى قالها ثلاثًا فقال رسول الله ﷺ «**لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال: ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه**» (رواه الإمام مسلم رياض الصالحين).

فى هذه الأيام المباركة يتدافع المسلمون زرافات ووحدانا تحت كلمة واحدة وتحت زى واحد يؤمون صوبًا واحدًا ويلتفون حول كيان واحد تجمعهم كلمات واحدة وعبادة واحدة تظهر قلوبهم كلون ملابسهم التى ارتدوها وينبغى أن يبدأ الحاج بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع وأن يرد الودائع ويستصحب من المال الحلال ما يكفيه حتى الرجوع وأن يلتمس رفيقًا صالحًا محبًا للخيرات ومعينًا له إن نسى ذكره وإن جبن شجعه وإن عجزت قواه وأن يودعه أصحابه وأهله وجيرانه بقولهم: «استودع الله دينك وأماناتك وخواتيم عملك» وقبل أن يهم بالخروج من البيت يصلى ركعتين يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ وفى الثانية سورة الإخلاص بعد الفاتحة ثم يرفع يديه إلى الله تعالى بالدعاء المأثور عن الرسول ﷺ: «اللهم أنت الصاحب فى السفر وأنت الخليفة فى الولد والأهل والمال والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة اللهم إنى أسألك فى مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى» فإذا توجه للخروج يقول: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا الله أعوذ بك أن أضل أو أُضل أو أزل أو أُزل أو أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يُجهل علىّ» وعلى الحاج أن يوقن أن صلاحه واستقامته أبلغ خطبة تدعو الحجاج إلى الاستقامة وأن خلقه الفاضل وسعة صدره هو السحر الذى يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب وقد صدق من قال:

فرض الله الحج على كل مسلم مستطيع قادر وجعل ترك هذه الفريضة والاستخفاف بها كفرًا به سبحانه وتعالى

لا يرأس الناس فى عصر نعيش به
إلا الذى لقلوب الناس يمتلك

فالناس يختلفون فى مستوى أخلاقهم وسلوكياتهم فى قدر يسكن فى نفوسهم من خير أوشر لذا يجب على الحاج أن يعرف كيف يدارى إخوانه من الحجيج حسب مداركهم وأخلاقهم بالقول الحسن والفعل الطيب فإن المداراة أصلها المدافعة أو الدفع برفق والرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إلا شانه وهى أخلاق المؤمنين بصفة عامة والحجاج بصفة خاصة وتعنى خفض الجناح ولين الكلمة وترك الجدال والمشاحنة ﴿**فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ (البقرة: آية ١٩٧)، فثمرة الحج الحقيقية تتجلى فى نبذ الخلافات ومظاهر السلبية فهذه الفريضة تحمل كل معانى الوحدة والأخوة والترابط والتكاتف حيث

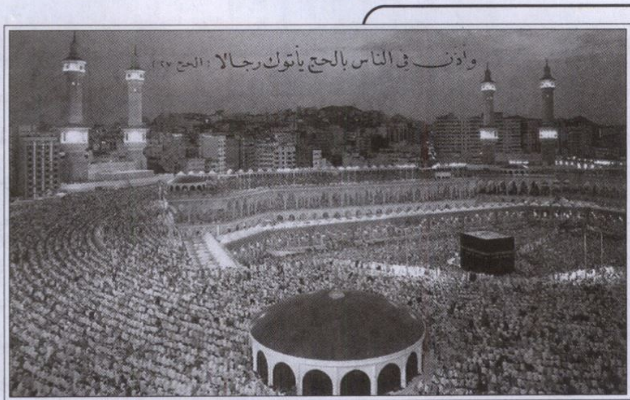

يتحلل فيها الحاج من كل أعراض الدنيا من مال وجاه وسلطان وأولاد فالكل وجهتهم واحدة ويؤدون مناسك واحدة ويتفاهمون بلغة واحدة لا تعرفها الألسنة وإنما تفيض بها مشاعر القلوب وعواطف الوجدان وروابط المحبة والإخاء. فأداء مناسك الحج ليست مجرد شعائر مادية ولكن بما تستبقيه وتزرعه فى النفس من مشاعر إنسانية وقيم توثق صلة الإنسان بخالقه ومن ثم ثقة الأمة بربها ومن ثمرة ذلك أن يرجع الحاج من هذه الرحلة المباركة وقد عاهد ربه على الطاعة والاستقامة الدائمة لأن الاستقامة هى أعظم وسيلة للنجاح والخلق الفاضل ينتج العمل الكامل ولهذا جاء فى الحديث الشريف: **«من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»** وبهذا يكون الحج دعوة لانتشال هذه الأمة من براثن التخلف والضعف والهوان وعلى الأمة أن تراجع نفسها وتتجاوز كل صور الشقاق وتعيد صياغة مستقبلها على منهج الإسلام.

إن الحج قصد مكة لأداء عبادة الطواف وسائر المناسك استجابة لأمر الله: **﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ● لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾** (سورة الحج الآيتان: ٢٧، ٢٨) ويقول سبحانه: **﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾** (سورة البقرة الآية: ١٢٥) فهذه الآية الكريمة تتحدث عن تشريف الله سبحانه للبيت العتيق بجعله مكانًا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه كما تتحدث عن جعله مكانًا للأمن يأمن داخله ولو كان قد فعل ما فعل مما يخشى منه ويخاف على حياته من أجله وما هذا الشرف إلا لشرف بانيه أولاً وهو خليل الرحمن كما قال تعالى: **﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾** (سورة الحج الآية: ٢٦) فتاريخ هذا البيت يثبت ما جاء به النص القرآنى من توافد كثير من المسلمين من شتى بقاع الأرض فى مواسم الحج والعمرة وفى كل حين قاصدين نيل الثواب العظيم فى هذا الرحاب الميمون وهم كلما قدموا إليه ونالوا ما نالوا من عظيم الفضل والرضوان دفعهم الشوق والحنين إلى العودة إليه ونيل المثوبة فى جواره وأشواقهم تزداد ولا تخبو وحنينهم يتردد فى صدورهم للعودة إليه مرات ومرات وهذا مما أودعه المولى سبحانه فى قلوب المؤمنين من تقديس بيت الله الأول كما قال الشاعر:

جعل البيت مثابًا لهم
ليس منه الدهر يقضون

وقلما يفارق أحد هذا البيت إلا وهو يرى أنه لم يقض منه وطرًا وهو لا يخلو من قادم إليه وقاصد وما أبدع اقتران «مثابة» بالتاء التى تفيد المبالغة للدلالة على كثرة من يثوبون إليه من المسلمين «واتخذوا» على لفظ الأمر والخطاب هنا موجه إلى إبراهيم وذريته أو لمحمد ﷺ وأمته وهى دعوة عامة للناس جميعًا أن يعودوا إلى حقيقة التوحيد فيعبدوا الله وحده لا شريك له فى بيت الله الذى بناه الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

إن الحج يغسل الذنوب ففى حديث أبى هريرة رضي الله عنه فيما رواه البخارى وأحمد والنسائى وابن ماجة قال رسول الله ﷺ: **«من حج فلم يرفث ولم يفسق**

رجع كيوم ولدته أمه» فأى فضل بعد هذا؟ وروى الطبرانى فى الأوسط عن عبد الله بن جراد قال: قال رسول الله ﷺ: «**حجوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن**» وروى النسائى وابن ماجه وغيرهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم**» أما فى فضل الإنفاق فى الحج فقد روى أحمد والبيهقى وغيرهما عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال: «**النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله الدرهم بسبعمائة ضعف**» أفلا يجب علينا بعد أن عرفنا كل ذلك إذا توافرت فينا شروط أداء هذه الفريضة أن نؤديها على خير وجه وأن نحقق الأهداف التى وضحناها وأن ننعم بالذكريات الإسلامية الخالدة التى تتمثل فيها رحمة الله بعباده وحفظهم من الضياع إذا أدوا حقه من العبادة ومن التمسك بما أمرهم به ومن الابتعاد عما نهاهم عنه ومقاومتهم للشيطان فما أسعد الناس إلا الدين وما أشقاهم إلا تركه أو التمسك بقشوره وإهمال لبابه وإن العامة لا تلام إذا اعتقدت ما لا أصل له فى الدين وإنما يلام أولئك الذين يدسون فى نفوس العامة ما لا يتفق مع الدين وينشرون ما يسممون به العقول. ومن هنا كان العلم النافع والمعرفة الصحيحة أهم الواجبات التى تؤكد مسئولية الانطلاق نحو المستقبل مرتكزين على الثوابت الدينية فالله سبحانه لا يمكن أن يمنحنا عقولاً ويعطينا شرائع مخالفة فعقل المؤمن يبنى دولة أصلها ثابت وفرعها فى السماء وقد غنم بحق من أدبته الحكمة وأحكمته التجربة لأنه ما فات إلا بالكسل وما نال من نال إلا بالعمل وقد دقت ساعة العمل ونحن فى أيام مباركات ليس أمامنا سوى أن نصطف جميعًا بالحب والإخلاص والأمانة لننهض بأمتنا إنها ليست مجرد أمنية نتمناها ولعلها تكون الأمل الذى نعيش من أجله فهذا الأمل هو الحياة التى يجب أن نوفرها للطفل طفل اليوم حتى نضمن مستقبلاً مشرقًا يعثر فيه على مكان يعيش فيه تحت الشمس وحينما تحين لحظة الأمل على القلوب فى هذا العهد الجديد وفى هذه الأيام المباركة - أن تتطهر لتكون نقية صافية بلا أحقاد ليس أمامنا إلا استكمال المسيرة معًا لنعيد ابتسامة افتقدناها وأملا ظل يراودنا ومثلما كان الأولون فمن حقنا أن نكون المقدمة فتلاحم الشعب مع رئيسه هو طوق النجاة للبناء وإن تقديم القدوة فى الهجوم على الشدائد ليأخذها قبل أن تأخذه وعلى لسانه قول الشاعر الحكيم.

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد
لنفسى حياة مثل أن أتقدما

ولعل أخطر نقطة فى عهدنا الجديد هو ضرورة إشاعة الأمل بالعمل والأفكار الجديدة الجريئة والمبدعة لحل المشكلات المتراكمة مما يستدعى جراحة كبرى لاستعادة العافية ونحب أن نؤكد بأن مصر أم الدنيا ستبقى دار السلام شامخة بنظامها الديمقراطى وبهمة شعبها الواعى.

وليكن الحب: ضياء يهدينا
لطريق العزة والسؤدد
كى نهتف فى سمع الدنيا
سُحقًا.. للإرهاب الأسود

والله المستعان

الميقـــات الزمـــانى للحـــج

قال الله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

سورة البقرة

د. سيف رجب قزامل*

سبب النزول

روى فى ذلك قولان:

أحدهما: أنهم سألوا عن زيادة الأهلة ونقصانها فنزلت الآية.

الثانى: روى عن قتادة أن النبى ﷺ سئل: لم جعلت الأهلة؟.. وهذا مما سألت به اليهود واعترضوا به على النبى ﷺ، قال معاذ: يارسول الله، إن اليهود تغشانا ويكثرن مسألتنا عن الأهلة فما بال الهلال يبدو دقيقا، ثم يزيد حتى يستوى ويستدير، ثم ينتقص حتى يعود كما كان؟ فأنزل الله هذه الآية.

معانى المفردات

الأهلة: جمع الهلال، وجمع وهو واحد فى الحقيقة من حيث كونه هلالا واحدا فى شهر، غير كونه هلالا فى آخره، وقد يعبر بالهلال عن الشهر لحلوله فيه، وقيل: سمى الهلال شهرا؛ لأن الأيدى تشهر بالإشارة إلى موضع الرؤية، ويدلون عليه.

وكلمة شهر مأخوذة من الإشهار، لأنه مشتهر لا يتعذر علمه على أحد يريده - كما أشرنا سابقا - وما زال الناس يستخدمون ذلك فى تأكيد الصفقات، فيقولون مثلا: لقد سجلنا البيع فى الشهر العقارى، أى أحطنا هذه الجهة علما بوجود صفقة، ليكون ذلك مثبتا عندها، فلا يأتى ببيع على بيع.

وإنما سمى الهلال هلالا: لأن الناس يرفعون أصواتهم بالإخبار عنه، ومنه: استهل الصبى إذا ظهرت حياته بصراخه.

وقد اختلف أهل اللغة فى الوقت الذى يطلق فيه لفظ الهلال: وقيل لليلتين من الشهر، وقيل: ثلاث ليال، ثم يسمى قمرا، وقيل: هو هلال حتى يبهر ضوؤه سواد الليل، فإذا غلب ضوؤه سمى قمرا، وهذا لا يكون إلا فى الليلة السابعة. وقيل غير ذلك.

ومن المعلوم أنه لا يمكن معرفة الشهر عن طريق

* أستاذ بجامعة الأزهر.

الشمس، وإنما هى سمة لمعرفة تحديد اليوم، إنما القمر هو الذى يحدد الشهر بالهلال الذى يأتى فى أوله، ونحن فى حاجة إلى الشمس والقمر فى تحديد الزمن.

يقول تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾** (سورة: الإسراء الآية: ١٢).

ولم يسبق النهار الليل إلا فى عبادة واحدة وهى الوقوف بعرفة، فالليل الذى يجىء بعدها هو الملحق بيوم عرفة.

قل هى مواقيت للناس: مواقيت جمع ميقات بمعنى الوقت كالميعاد بمعنى الوعد، وقال بعضهم: الميقات: منتهى الوقت. قال تعالى: **﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾** (سورة: الأعراف الآية: ١٤٢).

أى يعلمون بالأهلة زمن صومهم وإفطارهم وعدة نسائهم، وآجالهم فى تصرفاتهم، ومنافع كثيرة لهم. روى نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«جعل الله الأهلة مواقيت للناس فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين يوما»** صحيح الإسناد.

والحج: والأهلة أيضا لمعرفة زمن الحج، ولكن ما فائدة تخصيص الحج آخرًا، مع دخوله فى عموم اللفظ؟

الإجابة: هى أن العرب كانت تحج بالعدد، وتبدل الشهور، فأبطل الله تعالى فعلهم وقولهم، وجعله مقرونا بالرؤية، يقول تعالى: **﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ**

الأهلة مواقيت للناس

لا يمكن معرفة الشهر عن طريق الشمس بل هى سمة لمعرفة تحديد اليوم

عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة: التوبة آية: ٣٧).

وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها: سبب نزول ذلك: أقوال نختار أحدها، وهو ما رواه الزهرى: أن ناسا من الأنصار كانوا إذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شىء، فإذا خرج الرجل منهم بعد ذلك من بيته فرجع لحاجة لا يدخل من باب الحجرة من أجل البيت أن يحول بينه وبين السماء، فيقتحم الجدار من ورائه، ثم يقوم فى حجرته فيأمر بحاجته، فتخرج إليه من بيته، حتى بلغنا أن النبى ﷺ أهل بالعمرة زمن الحديبية فدخل حجرته فدخل رجل من الأنصار على إثره كان من بنى سلمة، فقال له النبى ﷺ: **«إنى أحمس»**(١)، قال الزهرى: وكانت الحمس لا يبالون ذلك. فقال الأنصارى: وأنا أحمس - يعنى على دينك. فنزلت الآية.

ولذا ورد فى تأويل الآية أقوال منها، ما يتفق مع سبب النزول، وهو إتيان المنازل من أبوابها.

ويرى البعض أن المراد بالآية مثل، وهو أن نأتى بالأمور من وجوهها ولكن يترجح ما نزلت الآية بسببه.

قوله: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** (سورة: البقرة الآية: ١٨٩) أى اتقوا الله فافعلوا ما أمركم به، واتركوا ما نهاكم عنه، لعلكم تفلحون غدا إذا وقفتم بين يديه فيجازيكم على التمام والكمال(٢).

الأحكام:

الحكم الأول: هل يجوز الإحرام بالحج فى جميع شهور السنة

استدل بعض الفقهاء (أبو حنيفة) بهذه الآية الكريمة على جواز الإحرام بالحج فى جميع شهور

السنة للعموم فى الأهلة فقد جعل الله الأهلة كلها ظرفا لذلك(٣).

ومن الفقهاء (مالك) من جعل الإحرام بالحج فى غير أشهر الحج (شوال وذى القعدة وذى الحجة) مكروها ولكن يصح إحرامه، لعموم قول الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وربما شبهوا الحج بالعمرة (بالنسبة لميقات الزمان).

ومن الفقهاء من رأى أنه لا يصح إحرامه، بالقياس على الصلاة، لا تقع قبل الوقت المحدد لها، حيث قال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ والمراد بالآية الأولى بعض الأهلة مواقيت للحج، ومن الفقهاء من رأى أنه ينعقد إحرامه إحرام عمرة مثله من التزم عبادة فى وقت نظيراتها، انقلبت إلى النظير، مثل أن يصوم نذرا فى رمضان فإنه يقع عن رمضان(٤).

الحكم الثانى: البيع إلى الحصاد ونحوه

إذا باع شخص لآخر سلعة إلى أجل معلوم من شهور العرب، أو إلى أيام معدودة العدد، فالبيع جائز، وكذلك السلم إلى أجل معلوم، ولكن اختلف الفقهاء فى البيع إلى الحصاد، أو إلى الدياس.. إلخ.

١- فيرى البعض (مالك، وبه قال أبو ثور) أنه جائز لأنه معروف، ولما روى عن ابن عمر أنه كان يبتاع إلى العطاء.

٢- ويرى آخرون: (الشافعى، وبه قال ابن عباس وغيرهم أن ذلك غير جائز لأن الله تعالى وقت

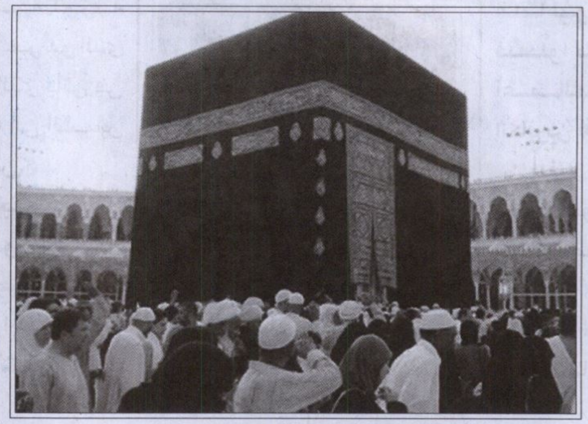

كانت العرب تحج بالعدد وتبدل الشهور فأبطل الله تعالى فعلهم وقولهم وجعله مقرونا بالرؤية

المواقيت وجعلها علما لآجال الناس فى بياعاتهم ومصالحهم(٥).

الحكم الثالث: بم تكون القربة؟

دلت الآية الكريمة على أن ما لم يشرعه الله سبحانه وتعالى قربة، ولا ندب إليه لا يصير قربة بفعل الشخص، نظير ذلك من السنة، ما روى عن النبى ﷺ من نهيه عن صمت يوم إلى الليل.

وأنه رأى رجلا فى الشمس فقال: «**ما شأنه؟**». فقيل: إنه نذر أن يقوم فى الشمس فأمره أن يتحول إلى الفىء.

وأنه عليه السلام نهى عن الوصال لأن الليل لا صوم فيه، فنهى أن يُعتقد صومه وترك الأكل فيه قربة.. إلخ.

وذلك كله لأن اقتحام البيوت من ظهورها عند التلبس بالعمرة، لم يكن ندبا فيقصد به وجه القربة. ولذلك لا يتعلق النذر بمباح ولا منهى عنه، وإنما يتعلق بكل مندوب(٦).

هوامش:

(١) الحمس: جمع الأحمس، والحمس: قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس، وسموا بذلك لأنهم تحمسوا فى دينهم وتشددوا (اللسان: مادة حمس).

(٢) أحكام القرآن لابن العربى ١/١٠٠، ١٠١، القرطبى ١/٨٢٥، ومابعدها، ابن كثير ١/٢٢٥، ٢٢٦.

(٣) الجصاص ١/٢٥٥، القرطبى ١/٨٢٧.

(٤) بداية المجتهد ١/٥٥٤.

(٥) القرطبى ١/٢٢٨.

(٦) الجصاص ١/٢٥٦، ابن العربى ١/١٧٣.

نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية «٦٦»

لايزال الحديث موصولا مع موضع من مواضع النظرات البيانية فى الكلمة القرآنية وهو الموضع الذى يتعلق بمجىء صفة العزة لله عز وجل مع صفات أخرى لله تعالى مثل صفة المغفرة وصفة الرحمة، وهما الصفتان اللتان تم عرض شواهدهما فى مقالات سابقة، ومن أمثلة هذه الشواهد ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿يس • وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ • إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ • عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (سورة يس: الآيات ١-٥)، ثم انتقلنا إلى الشواهد التى اجتمعت فيها صفة العزة مع صفة الحكمة لله عز وجل، حيث عرضنا من قبل لمجموعة من الشواهد التى وقفنا من خلالها عند بيان السر البيانى الذى دعا إلى مجىء صفة العزة، وهو السر الذى نحاول الكشف عنه من خلال السياق القرآنى الذى يأتى سابقا على الشاهد أو لاحقا له، وقد رأينا أن هناك فى السياق ما يستدعى الإتيان بصفة العزة تثبيتا للقلوب أحيانا ودحضا لمواقف المتجبرين أحيانا أخرى، إلى غير ذلك من الغايات التى توحى بها صفة العزة لله رب العالمين التى اجتمعت مع صفة الحكمة لله تعالى وهى الصفة التى تبين أن كل ما توحى به صفة العزة إنما هو مبنى على الحكمة الربانية التى تضع الأمور فى مواضعها وضعا بعيدا عن العبث، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. ونتابع فى هذا المقال العرض لشواهد أخرى لهذا الموضع من مواضع النظرة البيانية فى الكلمة القرآنية، سائلين الله عز وجل أن يلهمنا الصواب فيما نريد الوصول إليه.

د. طه مصطفى أبو كريشة*

(٣٠٠) فمن الشواهد القرآنية التى وردت فيها صفة العزة لله عز وجل مع صفة الحكمة لله تعالى لداع دعا إلى ذلك فى سياق الآيات ما جاء فى قول الله عز وجل: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة المائدة: الآية ١١٨) إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحوار الربانى الذى جرى بين الله تعالى وسيدنا عيسى عليه السلام، وهو الحوار الذى كان منه ما جاء فى قول الله عز وجل مخاطبا به سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا

* عضو هيئة كبار العلماء.

فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ● مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (سورة المائدة: الآيتان ١١٦ ، ١١٧) إن هاتين الآيتين الكريمتين تعرضان للانحراف العقدى الذى وقع فيه أتباع سيدنا عيسى عليه السلام حين نفوا عنه البشرية وأعطوه صفة الألوهية، وهى الصفة التى تتعارض مع الحقيقة التى كان عليها سيدنا عيسى عليه السلام، فهو بشر من البشر وهو نبى من الأنبياء، وقد أنكر القرآن الكريم ذلك الادعاء المنحرف، وهو الإنكار الذى أفاده هذا الحوار الذى جاء فى هاتين الآيتين، فسيدنا عيسى عليه السلام لم يأمر أتباعه بذلك **﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾** وإنما قال لهم: **﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**.

ثم جاءت آية الشاهد وفيها تفويض الأمر كله لله تعالى بشأن هؤلاء المنحرفين الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وهو تفويض عام فى اتخاذ القرار الإلهى الذى لا يخرج عن أمرين: إما العقاب والعذاب وإما الصفح والمغفرة **﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (سورة المائدة: الآية ١١٨).

إن النظرة البيانية ترى أن تعليل إيقاع العقاب والعذاب راجع إلى أن هؤلاء المنحرفين خرجوا عما تقتضيه العبودية لله عز وجل من عبادته وحده لا شريك له؛ فإذا أشركوا فالعذاب جزاء مستحق لا معقب عليه. أما تعليل الصفح والمغفرة فلا تعليل له من أمر خارجى، وإنما مرد ذلك إلى الله تعالى وحده، فالله عز وجل بعزته التى لا تُغلب له الإرادة المطلقة فى الصفح والمغفرة حتى مع من يستحقون العقاب والعذاب دون أن يعارضه معارض.

وهذا الرأى الذى جاء على لسان سيدنا عيسى عليه السلام هو مظهر من مظاهر الإيمان الصادق الذى من دلائله تسليم الأمور كلها لله تعالى وفق مشيئته وإرادته **﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**.

(٣٠١) ومن هذه الشواهد القرآنية التى اجتمعت فيها صفة العزة مع صفة الحكمة لله تعالى لداع دعا إلى ذلك فى سياق الآيات السابقة أو اللاحقة للشاهد القرآنى ما جاء فى قول الله عز وجل: **﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (سورة الأنفال: الآية ١٠).

إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحديث عن غزوة بدر الكبرى، تلك الغزوة التى تم فيها النصر المبين للمسلمين مع قلة عددهم وضعف عدتهم على المشركين الذين كانوا أكثر عددا وأقوى عدة، وقد كان هذا النصر آية من آيات الله تعالى الكبرى التى تؤكد أن الله عز وجل مع عباده المؤمنين الذين يجاهدون من أجل أن تكون كلمة الله تعالى هى العليا دائما.

إن الآيات السابقة على آية الشاهد تقدم لنا الموقف القتالى الذى كان عليه المسلمون الذين لم يخرجوا لقتال وإنما خرجوا لاعتراض قافلة التجارة فحسب التى نجت من هذا الاعتراض، ومع ذلك فإن المشركين أصروا على المواجهة المسلحة ومن هنا أعدوا أنفسهم عددا وعدة، وكان من أثر ذلك هذا

التخوف الذى دار فى نفوس المسلمين على النحو الذى جاءت الإشارة إليه فى قول الله تعالى قبل آية الشاهد: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ • يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ • وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ • لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ • إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (سورة الأنفال: الآيات ٥-٩) إن هذا الموقف النفسى الذى كان عليه المسلمون وهم يرون إصرار المشركين على المواجهة القتالية هو الذى جعلهم يستغيثون بالله عز وجل طالبين العون منه تعالى فكانت الاستجابة بالوعد بالمدد الإلهى من خلال الملائكة الذين قاتلوا معهم على النحو الذى جاء الإخبار عنه فى سياق الآيات اللاحقة التى جاءت بعد آية الشاهد فى قول الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (سورة الأنفال: الآية ١٢).

إن النظرة البيانية ترى أن آية الشاهد جاءت تعقيبا على الوعد الإلهى بالمدد الملائكى، وهو تعقيب يبين الأثر الإيمانى الذى ترتب على هذا الوعد الربانى، وهو الأثر الذى أودع الاطمئنان فى القلوب التى ارتفعت فيها الروح المعنوية التى لها دورها فى الثبات فى ميدان القتال حتى يتحقق النصر ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ هذا مع التأكيد على ضرورة الإيمان الصادق بأن تحقيق النصر إنما هو بفضل الله تعالى أولا وآخرا وليس مقصورا على وجود الملائكة فحسب ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ومن هنا جاء التأكيد على هذه الحقيقة من خلال هذا التعليل الذى جاء مؤكدا اتصاف رب العالمين بصفتى العزة والحكمة، فالعزة تعنى القوة الغالبة التى تنصر الحق وتهزم الباطل، وهى الصفة التى صاحبتها الحكمة التى تقتضى انتصار الحق على الباطل دائما ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وهو الأمر الذى ظهر واضحا كل الوضوح فى أول لقاء حربى بين المسلمين والمشركين.

اتصاف رب العالمين بصفتى العزة والحكمة تعنى القوة الغالبة التى تنصر الحق وتهزم الباطل

(٣٠٢) ومن هذه الشواهد التى اجتمعت فيها صفة العزة مع صفة الحكمة لله عز وجل لداع دعا إلى ذلك فى السياق القرآنى ما جاء فى قول الله عز وجل: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: الآية ٤٩).

إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الآيات التى جاءت تعقيبا على ما تم فى غزوة بدر الكبرى التى انتصرت فيها القلة المؤمنة على الكثرة المشركة، وهو الانتصار الذى يستحقه المؤمنون المجاهدون الذين يلتزمون بالضوابط الإيمانية وهى الضوابط التى جاء عرضها من خلال الدروس الربانية التى أخبر بها الله عز وجل نبيه ﷺ حتى يلتزم بها المؤمنون فى كل معاركهم مع المشركين، ولقد كان من هذه الدروس ما أخبرت عنه الآيات السابقة على آية الشاهد فى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ • وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ • وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ • وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الأنفال: الآيات ٤٥-٤٨).

إن من الضوابط التى تدعو الآيات المؤمنين إلى ضرورة الالتزام بها فى الحرب مع المشركين الثبات

فى ميدان القتال وهو الثبات المصحوب بالذكر لله تعالى الذى لا يغفل عنه المقاتل لحظة ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ كذلك فإن من هذه الضوابط الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ وهى الطاعة التى تعنى الالتزام فى كل السلوكيات الإيمانية بما جاء الأمر به فى كتاب الله تعالى وفى سنة رسوله ﷺ مع الصبر على مداومة هذا الالتزام، هذا مع البعد عن كل مظهر من مظاهر النزاع والشقاق ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ومع الدعوة إلى الالتزام بهذه الضوابط الإيمانية فقد جاء التحذير من داء الغرور والبطر والكبر، وهو الداء الذى اتصف به المشركون الذين أغواهم الشيطان وألقى فى نفوسهم هذه النزغات ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾.

ومع تسجيل هذه الضوابط التى يجب أن يتصف بها المؤمنون فى ميادين القتال فقد جاء التذكير من خلال آية الشاهد بما انطلقت به ألسنة المنافقين حين رأوا قلة أعداد المسلمين فوصفوهم بصفة الغرور التى جعلتهم يقبلون لقاء المشركين مع كثرتهم ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ وهو تسجيل فيه تبرئة للمؤمنين من الاتصاف بصفة الغرور مع تأكيد اتصافهم بصفة ضمنية أفادها ختام الآية فى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أى أن هؤلاء المؤمنين لم يكونوا مغرورين حين قبلوا المواجهة مع قلتهم، وإنما استخدموا ثقتهم فى الانتصار من خلال توكلهم على الله عز وجل الذى ينصر عباده المؤمنين. إن هذه الحقيقة الإيمانية هى التى دعت إلى الإتيان بصفة العزة لله تعالى فى هذا المقام الإيمانى الذى يدعو إلى طلب النصر من العزيز القوى سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

(٣٠٣) ومن هذه الشواهد القرآنية التى وردت فيها صفة العزة مصاحبة لصفة الحكمة لله عز وجل لداع دعا إلى ذلك فى السياق القرآنى ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: الآية ٦٣).

إن هذه الآية الكريمة جاءت أيضا فى سياق الآيات التى عرضت للدروس المستفادة من وراء الانتصار فى غزوة بدر الكبرى التى انتصر فيها المسلمون مع قلتهم عددا وعدة على المشركين مع كثرتهم فى العدد والعدة. ولقد كان من الدروس المستفادة ما يتعلق بتنظيم العلاقة مع غير المسلمين فى أوقات السلم وهى الأوقات التى يلتزم فيها غير المسلمين بعدم المحاربة مع المسلمين، إن العلاقة هنا قائمة على علاقة متبادلة يلتزم فيها الطرفان بالمسالمة وعدم المحاربة وهى العلاقة التى جاءت الإشارة إليها فى السياق السابق على آية الشاهد فى قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة الأنفال: الآية ٦١) ومع الالتزام بذلك فإن على المسلمين أن يكونوا على حذر دائم من أى غدر يحدث من هؤلاء الذى أظهروا المسالمة والموادعة مع إبطانهم ما يخالف ذلك فى قرارة أنفسهم انتظار الفرصة سانحة. إن هذا التوجيه هو الذى جاء فى قول الله تعالى بعد تأسيس قاعدة المسالمة: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنفال: الآية ٦٢) إن التوجيه إلى أخذ الحذر جاء مصحوبا بوعد ضمنى من الله تعالى لنبيه ﷺ بنصره على من أبطنوا فى أنفسهم خداعه، وهو وعد جاء مؤكدا بما كان من عونه سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ فى مواقف سابقة جمعت بين تأييد الله تعالى لنبيه حين نصره فى بدر وحين جمع قلوب المؤمنين من حوله على كلمة سواء، وهو اجتماع يمثل معجزة إلهية ظهرت ظهورا بينا فى جعل هؤلاء المؤمنين جسدا واحدا بعد أن كانوا فى الجاهلية أشتاتا متعادية متفرقة. إن توحد هؤلاء المؤمنين يعطى دليلا واضحا على ما اتصف به رب العالمين من صفة العزة التى حولت هؤلاء البشر من النقيض إلى النقيض، من التفرق إلى التوحد، ومن العداوة إلى المحبة، ومن الأثرة إلى الإيثار ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: الآية ٦٣) وهذا هو ما دعا إلى الإتيان بصفة العزة مع الحكمة تعليلا لذلك.

التفسير اللغوى للقرآن الكريم (٣٤)

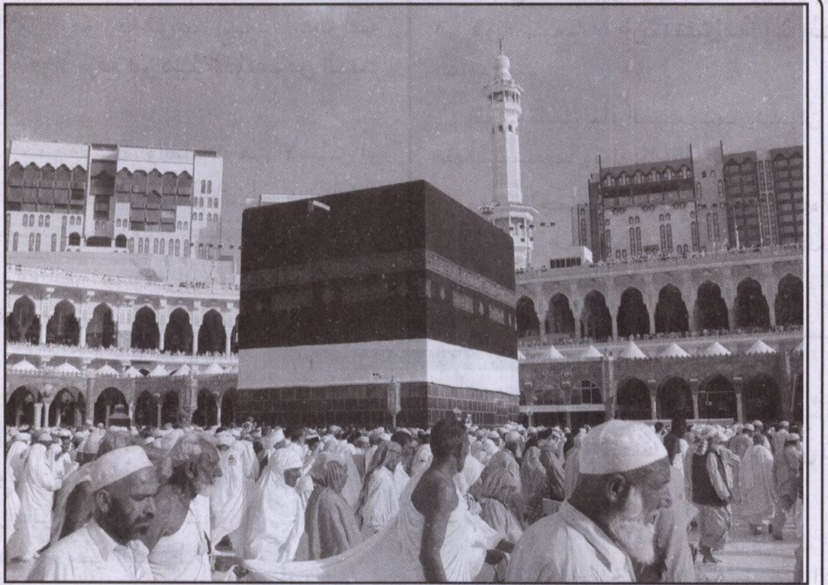

د/ عبد الغفار حامد هلال*

قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ• رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

(البقرة: الآيتان ١٢٧، ١٢٨)

فى هاتين الآيتين الكريمتين حديث عن بناء الكعبة الذى تم على أيدى إبراهيم وولده إسماعيل - عليهما السلام - ورفعهما القواعد وهما يسألان الله تعالى تقبل عملهما الذى أخلصا فيه له ونفذا به أمره جل وعلا، ويسألان أيضا أن يخرج من أصلابهما أمة مسلمة تؤدى نسك العبادة والطاعة فى رحاب هذا البيت العتيق وأن يتوب الله عليهما.

وقد أرشد الله تعالى إبراهيم إلى مكان البيت وعرفه إياه وأذن له فى بنائه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ (سورة الحج: الآية ٢٦). فأخبر إبراهيم ابنه إسماعيل بأن الله أمره أن يبنى البيت وأن يعينه إسماعيل فاتفقا على بناء البيت وكان إسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى حتى إذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة جاء إسماعيل بحجر المقام فوضعه له فقام عليه وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة حتى تم البناء وكانا يدعوان الله تعالى بعدة دعوات والآيتان تتضمنان عدة أمور:

* أستاذ بجامعة الأزهر.

الأول: رفع إبراهيم وإسماعيل قواعد البيت.

والثاني: عدة دعوات خالصة بقبول العمل وخروج الأمة المسلمة والتوبة.

فالأمر الأول: وهو رفع قواعد البيت - عبر عنه بقوله تعالى: **﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾**.

القواعد: جمع قاعدة، والقاعدة هى الأساس أو أصل البناء الثابت فى الأرض، ويقال: أسست البيت تأسيسًا: جعلت له أساسًا يقوم عليه.

والمراد برفع القواعد هو البناء عليها لترتفع الجدُر فوقها فإنها كانت موجودة مبنية من قبل بنائه غائصة فى الأرض إلى منتهاها فأطلعه الله تعالى عليها فبنى الجدُر ورفعها فوقها، وهذا يشير إلى أن بناء إبراهيم كان على أساس بناء سابق للبيت من قديم، وفى القسطلانى على البخارى أن بناء إبراهيم يعد البناء الرابع وأنه بنى قبله ثلاث مرات.

وقيل: إن المراد برفع القواعد بناؤها من جديد بعد أن بوأ الله تعالى إبراهيم مكان البيت، وعليه قيل إن إبراهيم هو أول من بنى البيت العتيق وأنه لم يبن من قبله.

ولسائل أن يسأل: لم عبر بالمضارع فقال: **﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾** ولم يقل: (وإذ رفع) بصيغة الماضى مع أن هذا الرفع قد مضى؟

فالجواب: أنه عبر بصيغة المضارع ليصور ما مضى كأنه يحدث الآن لنستحضر صورة رفع إبراهيم وإسماعيل قواعد هذا البيت المبارك وهو عمل عظيم وتشريف كبير لهما، بقى خالدا وسيبقى على الدهر معبرا عن استجابة هذين الرسولين الكريمين لأمر الله تعالى بوضع هذا البيت ليكون مثار إعجاب وتقديس وتوحيد لله وعبادته وحده لا شريك له.

والأمر الثانى: التعبير القرآنى عن عدة دعوات:

الأولى: دعاء إبراهيم وإسماعيل بتقبل عملهما فى قوله سبحانه: **﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**.

المراد: تقبل بناء البيت وهما يدعوان ربا قريبا منهما يسمعهما ويعلم كل أحوالهما.

وهذه الجملة قصد بها إنشاء الدعاء وهى حال على تقدير فعل مضارع يصيرها صالحة للوقوع حالا والتقدير (يقولان ربنا تقبل منا).

والدعوة الثانية: هى طلب قيام أمة مسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل وعبر عنها بقوله تعالى: **﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾**.

بوأ الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل مكان البيت وأمرهما برفع القواعد

الإسلام - فى الأصل - الانقياد والخضوع ويراد هنا الانقياد والطاعة لأوامر الله تعالى بحيث لا يشرك معه فى الطاعة أو العبادة أحد أو شئ سواه - وهذا هو الدين الحق (الإسلام) - كما قال تعالى: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾** (سورة آل عمران: الآية ١٩).

وقد دعا إبراهيم وإسماعيل بالإسلام لأنفسهما فى قوله تعالى: **﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾**.

ولسائل أن يسأل: كيف يدعوان بالإسلام لأنفسهما مع أنهما نبيان مستقيمان على طريق الله والإسلام متحقق عندهما؟

فالجواب: أن هذا الدعاء لطلب الثبات على الإسلام والاستمرار عليه وفى الوقت نفسه هو تعليم لغيرهما ممن يأتى بعدهما بأن يدعو بالإسلام لأن الأنبياء معصومون عن الكفر قبل النبوة وبعدها.

كما دعا إبراهيم وإسماعيل أن تقوم أمة مسلمة

من أصلابهما فى قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ فتعبد الله وتوحده.

والأمة - فى الآية - الجماعة - وسياق الآية يدل على أنها فى ذرية إبراهيم من العرب بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ (سورة البقرة: الآية ١٢٩)، والمراد سيدنا محمد ﷺ.

لكن المراد الأمة الإسلامية من العرب وغيرهم ورسالة نبينا محمد ﷺ ليست خاصة بالعرب بل هى عامة للناس جميعا كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (سورة الأعراف: الآية ١٥٨). ولذا فالأمة تتسع لتشمل أمة المسلمين عربا وغير عرب فى أقطار العالم كله.

وهذا الذى رغب فيه إبراهيم وإسماعيل من صلاح ذريتهما وإسلامها مطلوب شرعا فإن من تمام محبة الله تعالى أن يحب أن يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له.

وهذا الدعاء الذى تضمنه النص الذى معنا دعاء المتقين من عباد الرحمن كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (سورة الفرقان: الآية ٧٤)، وقد دعا إبراهيم أن يجعل الله تعالى من ذريته إماما فى قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ (سورة البقرة: الآية ١٢٤).

ودعا لهم أن يستقيموا على عبادة الله وحده كما قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، وكما قال سبحانه فى موضع آخر: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ (سورة إبراهيم: الآية ٣٥).

وقد طلب إبراهيم وإسماعيل من الله تعالى أن يوضح لهما نسك العبادة التى تؤدى فى رحاب البيت المبارك وقد عبر عنه بقوله سبحانه: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾.

رسالة سيدنا محمد ﷺ ليست خاصة بالعرب بل هى عامة للناس جميعا

يأتى الفعل: (رأى) فى اللغة لعدة معان:

الأول: بمعنى أبصر كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ (سورة الأنعام: الآية ٧٦).

والثانى: بمعنى عرف وفهم، كقولك: رأى محمد طريق السعادة أى: عرفه.

وفى هاتين الحالتين ينصب الفعل (رأى) مفعولا واحدا.

والثالث: إفادة اليقين أو الرجحان فى الأمر المتحدث عنه كقوله جل ثناؤه عن يوم القيامة ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ● وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ (سورة المعارج: الآيتان ٦ ، ٧). فيتعدى (رأى) حينئذ إلى مفعولين.

وتدخل على الفعل (رأى) همزة التعدية فيصير (أرَى يُرِى) والأمر منه (أَرِ) كما فى قوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾.

والفعل (أَرِنا) فى الآية فعل دعاء مأخوذ من (رأى) بمعنى عرف وفهم، وهو - فى الأصل - يتعدى إلى مفعول واحد إلا أنه لما دخلت عليه همزة التعدية والنقل تعدى بواسطتها إلى المفعول الثانى فقيل (أرنا مناسكنا) والمفعول الأول هو الضمير (نا) والمفعول الثانى هو (مناسك).

والمراد: عرفنا وفهمنا المناسك.

والفعل: (أرِنا) - فى الآية - بكسر الراء وهى قراءة الجمهور.

وقرأ ابن كثير (أرنا) بسكون الراء فى القرآن، كما فى هذه الآية وكما فى قوله تعالى - فى سورة النساء ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾، وقوله تعالى فى سورة فصلت ﴿أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا﴾.

وقرأ أبو عمرو بتقصير كسرة الراء على خلاف

فى الروايات المنقولة عنه.

وتسكين الراء وتقصير حركتها لهجتان عربيتان.

فأبو الفتح بن جنى - من علماء اللغة الكبار فى القرن الرابع الهجرى - يقول: إن أكثر لهجات العرب تخفف المضارع والأمر من الفعل (رأى) بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الراء قبلها على عادة التخفيف فى نحو ذلك.

وزادت بعض القبائل هذا التخفيف بإسكان الراء لاستثقالهم النطق بالحركات المتوالية فيحذفون بعضها كما فى فَخِذ وكَتِف ورُسُل يقولون: فَخْذ وكَتْف ورُسْل وقد نقل أبو حيان فى تفسيره - البحر المحيط - أن هذا التخفيف فى لهجة بنى تميم، وله شواهد عربية تدل عليه كقول الشاعر:

أرنا إداوة عبد الله نملؤها

من ماء زمزم إن القوم قد ظمئوا

فظاهرة التقصير هى طلب للخفة أيضا، وهى لهجة لبعض العرب كذلك.

وعلم الأصوات الحديث يفسر لنا هذه الظاهرة الصوتية فظاهرة حذف الحركة أو تقصيرها فاشية فى قبائل البادية.

وهم بطبيعتهم يأخذون بقانون السهولة ويميلون إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى فيتخففون من بعض الحركات المتوالية بحذفها أو تقصيرها، وبخاصة إذا كانت مختلفة من فتحة وكسرة ونحوهما.

وقوله تعالى: (أرنا مناسكنا) دعاء يفيد الرغبة فى معرفة المنسك المطلوب أداؤه عند بيت الله العتيق.

والمناسك: جمع واحده منسك - بفتح السين أو كسرها - والمفتوح هو الصيغة القياسية لأن فعله نسك ينسك - بفتح السين فى الماضى وضمها فى المضارع.

وأصل النسك فى اللغة: الغسل يقال: نسك ثوبه إذا غسله.

وهو فى الشرع: اسم للعبادة أو غاية العبادة، يقال: رجل ناسك: إذا كان عابدا وكل ما يتعبد به إلى الله تعالى يقال له (منسَك) أو (منسِك).

وقد شاع استعمال (المنسك) فى الحج وشعائره فالمراد بالمناسك هنا: شعائر الحج، فبعد أن بوأ الله

تعالى إبراهيم مكان البيت لبنائه وتطهيره قال له: **﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾** (سورة الحج: الآية ٢٧).

وكما قال سبحانه: **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾** (سورة الحج: الآية ٣٤).

وجعل بعض العلماء المناسك عامة فى الشرائع والعبادات وسواء كانت المناسك خاصة بمناسك الحج أو عامة فى الشرائع والعبادات فإنها تؤدى معنى واحدا تلتقى عنده وهو عبادة الله وحده لا شريك له وما شرعت المناسك فى الحج والعبادات كلها إلا لتوحيد الله تعالى والإسلام له.

أما طلب التوبة على إبراهيم وإسماعيل فقد عبر عنه بقوله تعالى: **﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**.

أصل التوبة: الرجوع، ويقال: تاب العبد إذا رجع إلى طاعة ربه، وعبد تواب كثير الرجوع إلى الطاعة كما قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** (سورة البقرة: الآية ٢٢٢).

وتوبة الله على العبد رجوعه من حال المعصية إلى حال الطاعة أو قبول المولى سبحانه توبته كما قال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾** (سورة الشورى: الآية ٢٥).

ولسائل أن يسأل: كيف طلب إبراهيم وإسماعيل توبة الله عليهما مع أنهما نبيان، والأنبياء معصومون عن الوقوع فى المعاصى وارتكاب الذنوب؟

فالجواب: أنهما لما بنيا البيت وعرفا المناسك أرادا أن يبينا للناس ويعلما الأمم التى تأتى بعدهما أن الله تعالى جعل البيت العتيق وغيره من مواضع النسك ساحة لطلب التوبة والتخلص من الذنوب حتى يعلم الناس ذلك فيطلبوا من الله التواب الرحيم التوبة مما وقعوا فيه من المعاصى، ولا سيما فى هذه الأماكن التى يستجاب فيها الدعاء.

جعل الله البيت العتيق وغيره من مواضع النسك ساحة لطلب التوبة والتخلص من الذنوب

وفى قوله تعالى: **﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** وصف المولى سبحانه بأنه هو التواب لمبالغة الفعل وكثرة قبوله توبة عباده لكثرة من يتوب إليه، ولا يجوز أن يقال فى حقه تعالى (تائب) اسم فاعل من تاب يتوب لأنه ليس لنا أن نطلق عليه سبحانه من الأسماء والصفات إلا ما أطلقه هو على نفسه أو نبيه ﷺ.

والرحيم: من أسماء الله تعالى، وهو مشتق من الرحمة ولسائل أن يسأل: هل الرحيم والرحمن بمعنى واحد أو بينهما فرق؟

فالجواب - وبالله التوفيق - أن الرحيم والرحمن يتفقان فى أنهما من أسماء الله تعالى وأنهما مشتقان من الرحمة والفرق بينهما أن الرحيم اسم خاص برحمة المؤمنين كما قال تعالى: **﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾** (سورة الأحزاب: الآية ٤٣)، ويقع صفة للمخلوقين كما نعت به النبى ﷺ فى قوله تعالى: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾** (سورة التوبة: الآية ١٢٨).

أما الرحمن: فهو اسم مبنى على المبالغة ومعناه ذو الرحمة التى لا نظير لها، وهو اسم عام فى جميع أنواع الرحمة التى تعم جميع خلق الله من المؤمنين وغيرهم.

وهو مختص بالله عز وجل لا يجوز أن يسمى به غيره ألا تراه قال: **﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾** (سورة الإسراء: الآية ١١٠)، وقال: **﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾** (سورة الزخرف: الآية ٤٥). فأخبر أن الرحمن هو المستحق للعبادة عز وجل.

وعلى هذا فكل من الرحيم والرحمن له معناه وموضعه الذى يستعمل فيه وسبحان مالك الرحمة الذى سمى نفسه الرحمن الرحيم ليعم الأول جميع الناس ويخص الثانى المؤمنين.

مكانة النبوة والأنبياء في القرآن الكريم

إن قضية النبوة والأنبياء من القضايا المهمة التى لها مداها وآفاقهما الواسعة وجذورها العميقة فى الحياة الإنسانية وسيطرتها على العقول والنفوس والأخلاق والميول، وتأثيرها فى تكوين السير وتشكيل المجتمعات وقيادتها للمدنيات بل تأسيسها لحضارة متميزة فى كل شىء وأهمها «توحيد الله عز وجل» تلك الدعوة التى دعا إليها كل الأنبياء والرسل من لدن آدم حتى خاتمهم محمد ﷺ.

د. حسن أحمد خليل*

النبوة سفارة بين الله وبين ذوى العقول لإزاحة عللهم فى أمر معادهم ومعاشهم

النبوة لغة وشرعًا:

النبوة لغة: النبى: المخبر عن الله تعالى، وترك الهمز المختار، الجمع: أنبياء وأنباء والنبيئون والاسم: النبوءة وتنبأ: ادعاها[1] والنبى العلم من أعلام الأرض التى يهتدى بها، ويكون قد سمى النبى نبيا على ذلك لأنه أرفع خلق الله لهدايته الناس، وهو هنا فعيل بمعنى فاعل وتصغيره نبى وجمعه أنبياء، وقال الكسائى النبى الطريق والأنبياء طرق الهدى. قال أبو معاذ النحوى: سمعت أعرابيا يقول من يدلنى على النبى أى على الطريق[2].

النبوة شرعًا: هى سفارة بين الله وبين ذوى العقول لإزاحة عللهم فى أمر معادهم ومعاشهم[3].

وتأتى النبوة بمحض الفضل الإلهى يهبها الله لمن يشاء من عباده ويختص لها من يريد من خلقه، فلا تدرك باكتساب أو اجتهاد فى العبادة، فهى هبة إلهية يهيىء الله لها عبدًا من عباده، فيحفظه، ويضفى عليه من الكمالات ما يجعله أهلا لهذه الهبة، فيخلقه الله على صفاء سريرة وسلامة فطرة صالحة لتلقى الوحى، قال تعالى: **﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾** (سورة: الأنعام الآية: ١٢٤).

مبادىء وسمات عامة للأنبياء والرسل جميعا:

لقد أوضح القرآن الكريم مبادئ وسمات عامة لكل الأنبياء والرسل وهى تتمثل فيما يلى:

(أ) الأمانة صفة ملازمة لكل رسول:

وهى صفة ملازمة لكل نبى ورسول أرسله الله ويتضح ذلك من خلال الآيات التالية، قال تعالى:

﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ • أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (سورة: الأعراف الآيتان: ٦٧-٦٨).

* مدير عام التحرير والترجمة والنشر.

الدعوة إلى توحيد الله هى المهمة الأولى والأساسية للأنبياء والرسل

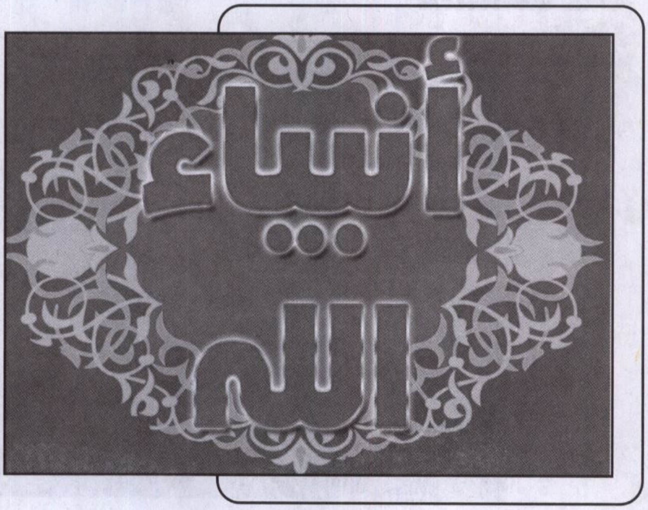

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ ● إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (سورة: الشعراء الآيتان: ١٠٦-١٠٧).

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ ● إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (سورة: الشعراء الآيتان: ١٢٤-١٢٥).

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ ● إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (سورة: الشعراء الآيتان: ١٤٢-١٤٣).

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ ● إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (سورة: الشعراء الآيتان: ١٧٧-١٧٨).

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ ● إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (سورة: الشعراء الآيتان: ١٦١-١٦٢).

﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ● أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (سورة: الدخان الآيتان: ١٧-١٨).

(ب) لا يأخذون على الرسالة أجراً:

بل على العكس فما من نبى إلا وعانده قومه وآذوه، فقد كانت رغبتهم فى هداية الناس أسمى مايريدون وجعلوا أجرهم على الله عز وجل.

قال تعالى:

﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة: الأنعام الآية: ٩٠).

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ (سورة: يونس الآية: ٧٢).

﴿يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة: هود الآية: ٥).

﴿اتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (سورة: يس الآية: ٢١).

﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (سورة: الشورى الآية: ٢٣).

﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ (سورة: سبأ الآية: ٤٧).

(ج) كل الرسل بلسان قومهم:

فما من رسول إلا وأرسله الله بلسان قومه حتى يستطيعوا أن يتلقوا منه أوامر الشرع ونواهيه ولئلا تكون لهم حجة فى عدم فهم مايبينه لهم:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (سورة: إبراهيم الآية: ٤).

(د) الأنبياء بشر من بنى البشر:

فلقد أرسل الله الأنبياء من بنى البشر وذلك أدعى للبشر أن يتقبلوا منهم ما يأمرونهم به ويكلفونهم بعمله:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (سورة: آل عمران الآية: ١٦٤).

من رحمة الله وفضله بالإنسان أن أرسل له رجالا اصطفاهم وأمرهم بتبليغ هدايته ومنهجه وشرائعه

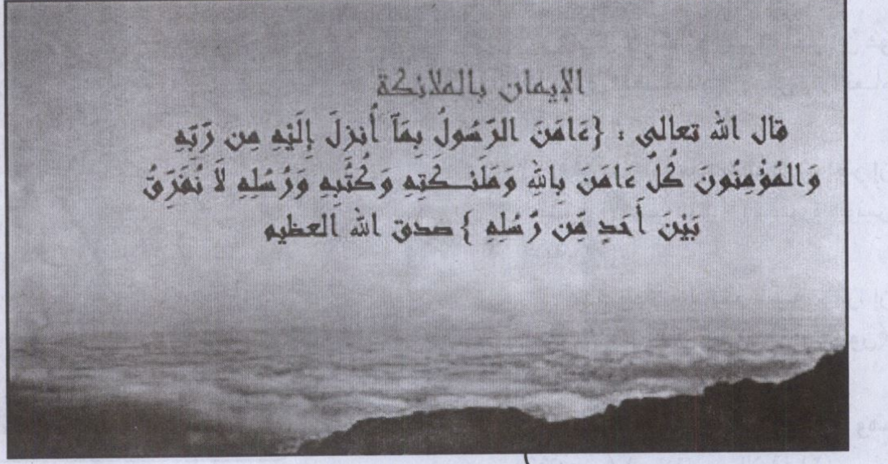

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ (سورة: التوبة الآية: ١٢٨).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ (سورة: يوسف الآية: ١٠٩).

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (سورة: إبراهيم الآية:١١).

قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولاً﴾ (سورة: الإسراء الآية: ٩٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ (سورة: الأنعام الآية:٩).

مهام الأنبياء والرسل كما أوضحها القرآن:

لقد اصطفى الله الأنبياء والرسل وكلفهم بتبليغ رسالته وبمهام منها:

(١) الدعوة إلى عبادة الله وحده:

لقد أوضح القرآن الكريم أن هذه هي المهمة الأولى والأساسية والأكثر إلصاقا بمهمة الأنبياء والرسل، ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم نجد الكثير منها يؤكد هذا المعنى وأسوق منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة: الأنبياء الآية: ٢٥).

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ (سورة: المائدة الآية: ١١٧).

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ (سورة: النحل الآية: ٣٦).

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ (سورة: العنكبوت الآية: ١٦).

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (سورة: هود الآية: ٥٠).

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (سورة: هود الآية: ٦١).

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ

الأنبياء هم الأدلاء على ذات الله وصفاته ومعرفته معرفة لا يشوبها جهل ولا ضلال

مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (سورة: هود الآية: ٨٤).

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ (سورة: المائدة الآية: ٧٢).

(٢) لإسقاط حجة البشر وللشهادة عليهم:

لقد أرسل الله الرسل حتى يُسقط حجة البشر وتعللهم بعدم إرسال الرسل وليكون هؤلاء الرسل عليهم السلام - حجة عليهم.

ويتضح ذلك من خلال استعراض الآيات الكريمة التالية:

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ (سورة: المائدة الآية: ١٩).

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾ (سورة: المزمل الآية: ١٥).

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (سورة: الإسراء الآية: ١٥).

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ (سورة: طه الآية: ١٣٤).

﴿ وَلَوْلاَ أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة: القصص الآية: ٤٧).

(٣) أرسلهم الله للتبشير والإنذار:

فمن من مهام الأنبياء والرسل تبشير الناس بما وعدهم به الله من نعيم حال طاعته وحسن عبادته وإنذارهم بعقابه وسخطه عليهم حال عصيانه أو الكفر به قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ (سورة: البقرة الآية: ٢١٣).

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ (سورة: الأنعام الآية: ٤٨).

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سورة: سبأ الآية: ٢٨).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ (سورة: الصافات الآية: ٧٢).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ سورة: هود الآية: ٢٥).

(٤) تبليغ أوامر الله عز وجل إلى البشر:

فالأوامر الإلهية لابد لها من مبلغ، وقد جعل الله تعالى علامة الرسل تبليغ الرسالة قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٣٩).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة: المائدة الآية: ٦٧).

(٥) التذكير بالنشأة والمصير وما بعد الموت:

فمن مهمة الرسل تذكير الناس بما بعد الموت قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (سورة: الأنعام الآية: ١٣٠).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (سورة: الزمر الآية: ٧١).

حاجة البشر للأنبياء والرسل:

الأنبياء والرسل هم الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة لذا يلح القرآن على أن الأنبياء هم الأدلاء على ذات الله وصفاته، وهم الوسيلة لمعرفة الله معرفة لا يشوبها جهل ولا ضلال ولا سوء فهم، ولا سوء تعبير، ولا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا ماكان عن طريقهم، لا يستقل بها العقل، ولا يغنى فيها الذكاء، ولاتكفى سلامة الفطرة، وحدة الذهن والإغراق فى القياس، والغنى فى التجارب وقد ذكر الله تعالى هذه الحقيقة الناصعة على لسان أهل الجنة وهم أهل الصدق وأهل التجربة وقد أعلنوا ذلك فى مقام صدق كذلك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (سورة: الأعراف الآية: ٤٣) فقد قرنوا هذا الاعتراف والتقرير بقولهم ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ قول يدل على أن الرسل وبعثتهم هى التى تمكنوا بها من معرفة الله تعالى، وعلم مرضاته وأحكامه والعمل بهما، الذى تمكنوا به من الدخول فى الجنة والوصول إلى دار النعيم.

وختاماً:

فإن الله تعالى قد أراد من الإنسان فى هذه الحياة اعتقادا صحيحا وسلوكا قويما، يحقق مصلحته ويجلب سعادته، وليس له أن يدرك ذلك مستقلا بحسه وعقله، فكان أن تفضل الله رحمة بالإنسان فاختار رجالا واصطفاهم وأمرهم بتبليغ هدايته ومنهجه وشرائعه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ (سورة: النحل الآية: ٤٣).

الهوامش:

(١) ترتيب القاموس المحيط على طريقة أساس البلاغة: للأستاذ الطاهر أحمد الزاوى ص ٤ ص ٣١٨ ط دار الفكر بالعربى الثالثة بدون تاريخ.

(٢) لسان العرب: ابن منظور مادة «نبا» ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ج ١٥ ط دار صادر بيروت بدون تاريخ.

(٣) بصائر ذوى التميز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى ١٥/٥ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٤.

أخلاق الإسلام فى التعامل مع العلماء

الناظر فى القرآن الكريم والسنة النبوية يجد أن الله تعالى رفع منزلة العلماء، وأعلى قدرهم، وجعل شهادتهم بجانب شهادته، وحصر الخشية فيهم، وأمر بالرجوع إليهم عند عدم العلم، وجعلهم ورثة الأنبياء عليهم السلام، وجعل فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب.

ومن الجوانب الحضارية فى الإسلام أنه لم يفرق بين علماء العلوم الدينية وعلماء العلوم التجريبية والعقلية، ولم يجعل فضلاً لعلماء على علماء إلا بالتقوى والإخلاص لله تعالى فى تحصيل العلم النافع وتبليغه والتزامه.

ولما كان للعلماء فى الإسلام هذه المنزلة العالية، والمكانة الراقية، جاء الإسلام بجملة من الأخلاق، ودعا إلى التحلى بها فى التعامل مع العلماء.

د. عبدالمنعم صبحى أبو شعيشع*

من هذه الأخلاق

(١) إجلال العلماء وتوقيرهم

إن على رأس الأخلاق التى يجب التحلى بها فى معاملة العلماء إجلالهم وتوقيرهم، قال ﷺ: «**ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**»[١].

وقال الشاعر:

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولاً

ويتحقق إجلال العلماء وتوقيرهم بتعظيمهم وتكبيرهم وتفخيمهم وتقديمهم فى وسائل المواصلات والكلام والجلوس والطعام والشراب.. كما

* الأستاذ بجامعة الأزهر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم ، و حامل القرآن غير الغالي فيه و الجافي عنه و إكرام ذي السلطان المقسط

يتحقق باحترامهم وتقبيل أيديهم، وتوسيع الطريق لهم، وحمل الأمتعة عنهم وتوصيلهم إلى ما يريدون، هذا بالإضافة إلى إكرامهم وإعلاء شأنهم واجتناب إهانتهم والحط من قدرهم والتقليل من شأنهم.

(٢) التواضع للعلماء وعدم التكبر عليهم

التواضع هو خفض الجناح ولين الكلام، وهو من أخلاق الإسلام خاصة فى التعامل مع العلماء.. قال ﷺ: «**تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تعلمون منه**»(٢).

ويتحقق التواضع للعلماء بالتوجه إليهم، والجلوس بين أيديهم، والإقبال عليهم، والمداومة على حضور مجالسهم، والاهتمام بهم، والنظر إليهم، والاقتراب منهم، وقبول أقوالهم، واجتناب مجادلتهم ومنازعتهم ومعارضتهم.

يتحقق إكرام العلماء بتعظيمهم واحترامهم والإحسان إليهم والثقة فيهم وعدم التشكيك فى أقوالهم

(٣) حسن الاستماع إلى العلماء والإنصات لهم

حسن الاستماع والإنصات للعلماء من أهم وسائل تحصيل العلم والفقه، لذا أمر الله تعالى به فى قوله: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ (سورة الأعراف الآية: ٢٠٤).. وقال تعالى حاكيًا حال الجن عند استماعهم إلى القرآن من رسول الله ﷺ: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**﴾ (سورة الأحقاف الآية: ٢٩).

ويتحقق حسن الاستماع والإنصات للعلماء بحضور القلب وجودة السمع. قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ (سورة ق الآية: ٣٧). كما يتحقق بحسن متابعتهم والتركيز معهم، وعدم التحدث فى مجالسهم، وعدم التشاغل بأى أمر آخر.

(٤) إكرام العلماء والثناء عليهم

إن من أخلاق الإسلام فى التعامل مع العلماء إكرامهم وحسن الثناء عليهم.. قال ﷺ: «**إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه، وإكرام ذى السلطان المقسط**»(٣).

والناظر فى تاريخ الفقهاء المسلمين يجد كثرة ثناء الأئمة بعضهم على بعض.. من ذلك:

قول الإمام مالك فى شأن أبى حنيفة رضي الله عنه: «لو ناظرنى أبو حنيفة أن نصف هذه الأسطوانة ذهب أو فضة لقام بحجته»(٤).

وقول الإمام الشافعى فى الإمام أبى حنيفة أيضًا: «الناس عيال على أبى حنيفة فى الفقه»(٥).

وقول الإمام الشافعى فى الإمام مالك رضي الله عنه: «إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب»(٦).

ويتحقق إكرام العلماء بتعظيمهم واحترامهم والإحسان إليهم، واجتناب الإساءة إليهم، والاستهزاء بهم، والسخرية منهم.. كما يتحقق بالثقة فيهم، وعدم التشكيك فى أقوالهم والتشويش عليها.

(٥) الالتزام بآداب مجالس العلماء

مجالس العلماء مجالس علم وحكمة وفقه وعظة.. مجالس تحفها الملائكة، وتغشاها الرحمة، وتتنزل فيها السكينة.. فعن ابن عباس قال: «قيل يارسول الله أى جلساتنا خير؟ قال: **من ذكركم الله رؤيته، وزاد فى علمكم منطقه، وذكركم بالآخرة علمه**»(٧).

ولما كانت مجالس العلماء بهذه الأهمية أوجب الإسلام على كل حاضر وجالس فيها التحلى بآداب الحضور والجلوس والاستماع، حتى تتحقق الاستفادة من العلماء، بمعرفة الحق من الباطل، والخير من الشر، والحلال من الحرام.. ومن يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين.. وكان الإمام الشافعى يقلب الصفحات بين يدى الإمام مالك برفق وهدوء لئلا يسمع وقعها[٨].

(٦) الالتزام بآداب سؤال العلماء

لقد أمر الله تعالى عند عدم العلم بالرجوع إلى العلماء وسؤالهم.. قال تعالى: **﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾** (سورة النحل الآية: ٤٣، وسورة الأنبياء الآية: ٧).

والسؤال له آداب كثيرة منها حسن اختيار الوقت والأسلوب، وخفض الصوت، والسؤال بخضوع، وإظهار الرغبة فى الفهم والمعرفة، واجتناب اختيار العلماء ومحاولة تحديهم وتعجيزهم.. ومن آداب السؤال حسن الاستماع إلى العلماء وشكرهم على الجواب والدعاء لهم، وأن يكون السؤال تفقهًا لا تعنتًا.. وعلى قدر الالتزام بآداب السؤال والإخلاص فيه تكون الاستفادة من العلماء، والاقتباس من علمهم وفقههم، ويتحقق تحصيل العلم الذى يورث صاحبه المعرفة والخشية من الله تعالى.

(٧) فتح الأبواب للعلماء

العلماء رسل خير وبر، ودعاة هداية ورحمة، ورجال تربية وإصلاح، لا ينظرون إلى ما فى أيدى الناس، ولا يطمعون فيما عندهم، ولا يريدون منهم جزاء ولا شكورًا.

ولما كان هذا هو خلق العلماء وجب أن تفتح لهم كل الأبواب إجلالاً وتوقيرًا وتمكينًا لهم من الموعظة والنصيحة والإرشاد، وهذا واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

والناظر فى تاريخ العلماء يجد أنهم كانت تفتح لهم الأبواب، ويدخلون على الحكام والسلاطين

والأمراء، ويقومون بموعظتهم ونصحهم وأمرهم بالرفق بالرعية، وكان الحكام يجلون العلماء ويشكرونهم ويقبلون نصحهم.. من ذلك كلام الأوزاعى بين يدى المنصور، وكلام أبى حازم لسليمان بن عبد الملك، وكلام ابن السماك عند الرشيد، وكلام عمرو بن عبيد عند المنصور، وكلام سفيان الثورى مع أبى جعفر، وكلام شبيب بن شيبة للمهدى[٩].

كان الإمام الشافعى يقلب الصفحات بين يدى الإمام مالك برفق وهدوء لئلا يسمع وقعها

ولا شك أن الأمة الإسلامية ارتقت فى ظل فتح الأبواب للعلماء والاستماع إليهم، وتراجعت يوم أن استغنت عن علمائها وأغلقت الأبواب فى وجوههم، ووضعت الصعوبات فى طريقهم.

(٨) السفر إلى العلماء طلبًا للعلم منهم

من الجوانب الحضارية فى الإسلام أن جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم، لا فرق فى هذا بين العلم الدينى والعلم الدنيوى النافع، ولا بين عالم التفسير والحديث والفقه وعالم الطب والهندسة والصناعة.. ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله به طريقًا إلى الجنة.

وقد حكى القرآن الكريم سفر موسى عليه السلام إلى الخضر العبد الصالح طلبًا للعلم **﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ●

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (سورة الكهف الآيتان: ٦٦، ٦٧).

والناظر فى تاريخ الأمة يجد أن طلاب العلم كانوا يقطعون المسافات، ويتحملون الصعوبات، وينتقلون من قارة إلى قارة، ومن الغرب إلى الشرق، ومن الشمال إلى الجنوب، طلبًا للعلم من العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين.

(٩) طلب الموعظة والنصيحة من العلماء

الموعظة الحسنة تحمل سامعها على امتثال الأوامر واجتناب النواهى، والتحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل، والإقبال على الآخرة والإعراض عن شهوات الدنيا .. والموعظة الحسنة توقظ القلوب الغافلة، وتذكر النفوس الشاردة.

ولما كانت الموعظة الحسنة بهذه الأهمية كان المسلمون - خاصة الحكام - يطلبونها من العلماء إذا دخلوا عليهم، وكان العلماء لا يبخلون بموعظة، ولا يكتمون نصيحة، ولا يقصرون فى توجيه .. من ذلك أن أبا جعفر أرسل سفيان الثورى، فلما دخل عليه قال: عظنى أبا عبد الله؛ قال: وما عملت يا أمير المؤمنين فيما علمت فأعظك فيما جهلت؟ فما وجد له المنصور جوابًا(١٠).

(١٠) التحلم على العلماء إذا اجترءوا

إن الإخلاص وصدق اللهجة وحرارة العاطفة ومحبة الإصلاح فى الدعوة إلى الله تعالى قد تدفع الداعية إلى الاجتراء والإقدام على الشدة فى النصيحة، والغلظة فى الخطاب .. وفى مثل هذه المواقف ينبغى التحلى بالتحلم على العلماء، والتسامح معهم، والتماس العذر لهم.

ومن صور التحلم على العلماء:

قول الأحنف بن قيس لمعاوية حين شاوره فى استخلاف يزيد، فسكت عنه؛ فقال: ما لك لا تقول؟ فقال: إن صَدَقْنَاك أسخطناك، وإن كذبناك أسخطنا الله، فسُخط أمير المؤمنين أهونُ علينا من سُخط الله، فقال له صدقت(١١).

وكتب أبو الدرداء إلى معاوية، أما بعد: فإن مَنْ يلتمس رضا الله بسُخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس(١٢).

(١١) تقديم العلماء فى كل أمر

من أهم أخلاق الإسلام فى التعامل مع العلماء تقديمهم على غيرهم فى كل أمر، لأنهم أهل علم وفقه.

من ذلك: تقديمهم للإمارة .. فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ بعثًا وهم ذوو عدد فاستقرأهم، فاستقرأ كل رجل منهم يعنى ما معه من القرآن، قال: فأتى على رجل من أحدثهم سنّا فقال: **«ما معك يا فلان؟»** قال: معى كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: **«أمعك سورة البقرة؟»** قال: نعم، قال: **اذهب فأنت أميرهم ..»**(١٣).

ومن ذلك: تقديمهم للإمامة فى الصلاة .. قال ﷺ: **«إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم، وأحقهم بالإمامة أقرؤهم»**(١٤) أى أكثرهم حفظًا للقرآن الكريم .. وفى حديث آخر «**فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسُنة، فإن كانوا فى السُنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سنّا**»(١٥).

ومن ذلك أيضًا .. تقديمهم عند الدفن .. فعن جابر رضي الله عنه «أن النبى ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحد يعنى فى القبر، ثم يقول: **«أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟»**، فإذا أشير إلى أحدهما قدمه فى اللحد»(١٦).

والناظر فى القرآن الكريم يجد أن نبى الله يوسف عليه السلام قدَّم نفسه للملك حيث قال له: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ (سورة يوسف: الآية ٥٥).

(١٢) القيام بخدمة العلماء

من أهم أخلاق الإسلام فى التعامل مع العلماء خدمتهم وقالوا: «خدمة العلماء عبادة»(١٧) .. وتتحقق بالقيام بحاجاتهم، وقضاء مصالحهم، وتيسير أمورهم، وتسهيل شئونهم .. كما تتحقق خدمتهم بتوصيلهم إلى دور العبادة، ومراكز العلم والدعوة، وتقديم الطعام إليهم، وشراء ما يحتاجون إليه من الأسواق .. هذا بالإضافة إلى تنظيف أماكنهم ومواضع جلوسهم فى المواصلات والمحاضرات .. وتذكيرهم بمواعيد الدعوات والندوات واللقاءات العلمية والدعوية، وكذلك تذكيرهم بمواعيد السفر والزيارة والاجتماعات وغيرها.

وقد حكى القرآن الكريم خدمة يوشع بن نون لنبى الله موسى عليه السلام فى قوله: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾ (سورة الكهف: الآية ٦٠)، قال الإمام النسفى: وإنما قيل فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم[١٨].

وقد خدم النبى ﷺ بعض أصحابه رضى الله تعالى عنهم .. منهم سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة الكرام.

وقد خدم الصحابةُ بعضهم بعضًا .. من ذلك أن زيد بن ثابت ركب مرة، فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه، فقال: مه يا ابن عم رسول الله .. فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بكبرائنا، فقال: أرنى يدك، فأخرجها إليه فقبلها، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله ﷺ[١٩].

والعلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام، وهم أولى الناس بالخدمة بعد الأنبياء تكريمًا وإجلالاً لهم، وعونًا لهم على نشر العلم وتبليغه، ومساعدة لهم على الاستقراء والاستنباط والنظر والبحث.

(١٣) الدفاع عن العلماء

للعلماء الداعين إلى الحق والخير أعداء يثيرون حولهم الشبهات والأكاذيب والافتراءات التى تصرف الناس عنهم، وتمنعهم من الإقبال عليهم، والاستماع إليهم، والاستفادة منهم، والتأثير بهم، والالتفاف حولهم.

وليس من أخلاق الإسلام ترك هذه الافتراءات تنتشر .. بل لابد من التصدى لها، والدفاع عن أعراض العلماء، والرد على المغرضين الحاقدين.

والدفاع عن العلماء فيه حماية لكرامتهم وسمعتهم، وعون لهم على أداء رسالتهم العلمية الدينية والدنيوية، وحماية لأبناء المجتمع من الانخداع والانسياق وراء الافتراءات وتبصيرهم بالحقائق.

(١٤) إجلال العلماء وإكرامهم بعد الموت

إن من إجلال الله تعالى للعلماء وإكرامه لهم بعد الموت .. أنه سبحانه جعل أجرهم مستمرًا، وثوابهم موصولاً، لا ينقطع بموت، ولا ينتهى بوفاة، ولا يتوقف عند حد، ولا يخضع لحصر .. قال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث .. صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٢٠].

ومن إجلال العلماء بعد الموت .. ما قام به الإمام الشافعى .. فقد صلى الصبح قريبًا من مقبرة أبى حنيفة - رحمه الله - فلم يقنت تأدبًا معه[٢١].

ومن إجلال العلماء بعد الموت .. الرجوع إلى مصادرهم، والاستدلال بمراجعهم .. وكذلك الدعاء والاستغفار لهم، والترحم عليهم والاقتداء بهم عقيدة، ومنهجًا، وعبادة، وأخلاقًا، ودعوة.

هذه هى بعض أخلاق الإسلام فى التعامل مع العلماء .. لا تفرق بين عالم التفسير والحديث والفقه ولا بين عالم الطب والهندسة والفضاء والزراعة، وتشمل العلماء فى حياتهم وبعد مماتهم .. مما جعل ذكر العلماء ممدودًا، وعلمهم منشورًا، ومنهجهم مدروسًا، وفكرهم منقولاً.

الهوامش:

(١) رواه الحاكم.
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط.
(٣) رواه أبو داود.
(٤) لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسمًا للفوضى الدينية - محمد الحامد ص ٣٨.
(٥) إحياء علوم الدين: الغزالى ٤٦/١.
(٦) المرجع السابق.
(٧) الترغيب والترهيب: المنذرى ٦٦/١.
(٨) المجموع شرح المهذب: النووى ٦٦/١.
(٩) انظر العقد الفريد ١٦٢/٣ وما بعدها.
(١٠) العقد الفريد ٦٧/١.
(١١) المرجع السابق ٦٩/١.
(١٢) المرجع السابق ٦٩/١.
(١٣) رواه الترمذى واللفظ له.
(١٤) رواه أحمد ومسلم والنسائى.
(١٥) رواه أحمد ومسلم.
(١٦) رواه البخارى.
(١٧) العقد الفريد ٢٢٤/٢.
(١٨) تفسير النسفى ١٨/٣.
(١٩) مدارج السالكين ٢٤٥/٢.
(٢٠) رواه مسلم وغيره.
(٢١) الإنصاف فى بيان سبب الاختلاف: الإمام الدهلوى ص٤٢.

مكانة العلم والعلماء فى ضوء القرآن الكريم

لا شك أن أعظم مكانة فى الدنيا والآخرة بعد مكانة النبيين قد جعلها الله عز وجل لأهل العلم العاملين بعلمهم.
وقد عنى القرآن بذلك عناية بالغة وهذا يدل على فضل العلم والعلماء.
هذا وسوف نكتفى هنا بثلاثة نصوص من كتاب الله عز وجل نلقى عليها الضوء.

د. مختار مرزوق عبد الرحيم*

أولا : بيان فضل التزود من العلم

قال تعالى: ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ (طه: آية ١١٤).

فى هذه الآية الكريمة استعظام لشئون الله تعالى فى ملكه، وما صرف فى القرآن من الوعد والوعيد المذكور فيما سبق قبل هذه الآية.

والمعنى: تقدس الله تعالى وتنزه عن النقائص فهو المتصرف فى الأمر والنهى، الحقيق بأن يعمل بكتابه لكى يرجى ثوابه ويخشى عقابه، وهو الدائم الذى لا يزول ولا يتغير.

قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ بيان لما كان يحدث من النبى ﷺ عند نزول الوحى حيث كان ﷺ يردد ما سمعه من جبريل عليه السلام قبل أن ينتهى جبريل من الوحى خشية أن يتفلت القرآن منه ﷺ فطمأنه الله عز وجل بقوله تعالى هنا: ﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾.

ثم أرشده الله تعالى للدعاء بالتزود من العلم، قال تعالى فى خاتمة الآية الكريمة: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾.

قال الإمام الألوسى: أى سل الله عز وجل بدل

* عميد كلية أصول الدين بأسيوط.

الاستعجال زيادة العلم مطلقا، أو فى القرآن فإن تحت كل كلمة - بل كل حرف منه - أسرارا ورموزا وعلوما جمة.

وذلك هو الأنفع لك...

واستدل بالآية على فضل العلم حيث أمر ﷺ بطلب زيادته.

وذكر بعضهم أنه ما أمر ﷺ بطلب الزيادة فى شىء إلا العلم.

وأخرج الترمذى وابن ماجة - بسند صحيح كما فى هداية المستنير - عن أبى هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علما والحمد لله على كل حال**».

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد عن ابن مسعود أنه كان يدعو: «**اللهم زدنى إيمانا وفقها ويقينا وعلما**».

وما هذا إلا لزيادة فضل العلم، وفضله أظهر من أن يذكر.

ثم قال الألوسى: نسأل الله تعالى أن يرزقنا الزيادة فيه ويوفقنا للعمل بما يقتضيه.

(انظر روح المعانى ج ١٦ ص ٢٦٨ وما بعدها)..

وقال الحافظ ابن كثير: **﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾**. أى زدنى منك علما.

قال ابن عيينة: ولم يزل ﷺ فى زيادة حتى توفاه الله تعالى، ولهذا جاء فى الحديث: «**إن الله تابع الوحى على رسوله ﷺ حتى كان الوحى أكثر ما كان يوم توفى رسول الله ﷺ**».

(انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٦٧).

ثانيا: «رفع الذين أوتوا العلم درجات»

مما يدل على فضل العلم والعلماء قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** (المجادلة: آية ١١).

جاءت هذه الآية الكريمة بعد الحديث عن سبب التنافر والتباغض بالتناجى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ..

جاءت هذه الآية لتتحدث عما يسبب المودة والوفاق وهو أن يتفسحوا فى المجالس فى المسجد أو غيره لمن يقول لهم تفسحوا..

قال الإمام القرطبى: والصحيح فى الآية أنها عامة فى كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر سواء كان مجلس حرب أم ذكر أم مجلس يوم الجمعة، فإن كل واحد أحق بمكانه الذى سبق إليه فلا يقام منه كرها بل يستأذن فى التوسعة.

يتم النصر باجتماع شعبتى الجهاد، جهاد بالسلاح فى مواطن الحرب وجهاد بالعلم لنصرة الإسلام فى كل مكان

قال رسول الله ﷺ: «**من سبق إلى ما لم يسبق إليه فهو أحق به**»، رواه أبوداود فى كتاب الخراج والفىء والإمارة بنحوه.

ولكن يوسع لأخيه مالم يتأذ به فيخرجه الضيق عن موضعه.

وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه الذى يجلس فيه**».

انظر صحيح البخارى كتاب الاستئذان باب لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه).

وعنه عن النبى ﷺ: «**أنه نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا وتوسعوا**».

(انظر صحيح البخارى كتاب الاستئذان باب إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم، وانظر تفسير القرطبى ج ٨ ص ٦٤٦٧ وما بعدها).

قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا**﴾ أى إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة والجهاد وعمل الخير فانهضوا ولا تتباطأوا .

قال ابن زيد: هذا فى بيت رسول الله ﷺ كان كل رجل منهم يحب أن يكون آخر عهده بالنبى ﷺ فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا**﴾ عن النبى ﷺ فانشزوا فإن له حوائج فلا تمكثوا.

ثم مدح الله تعالى الذين آمنوا والذين أوتوا العلم فقال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾.

هذا وقد اختلف أهل العلم فى هذه الدرجات لمن تكون؟

الرأى الأول: أنها للذين أوتوا العلم وتنكير الدرجات يؤذن بتعظيمها.

الرأى الثانى: أن تكون لجميع المؤمنين وفيهم الذين أوتوا العلم.

وعطفهم على الذين آمنوا من عطف الخاص على العام تعظيما لهم كأنهم جنس آخر، ولذلك أعيد لفظ الموصول معهم .

فإن قيل متى يكون رفع الدرجات؟

فالجواب بأن رفع الدرجات يكون فى ثواب الآخرة وفى الكرامة فى الدنيا فيرفع المؤمن على غير المؤمن ويرفع العالم علىَ من ليس بعالم.

هذا وسوف نتعرض لحديثين فى شأن رفع درجات أهل العلم فى الدنيا وفى الآخرة .

الحديث الأول: روى مسلم عن نافع بن عبد الحارث أنه لقى عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملت على أهل الوادى فقال ابن أبزى؟

فقال: من ابن أبزى؟

قال: مولى من موالينا.

قال: فاستخلفت عليهم مولى؟

قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل وإنه عالم بالفرائض.

قال عمر: إما إن نبيكم ﷺ قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين**».

(انظر صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ج ٢ ص ٤٦٥).

الحديث الثانى: أخرج الترمذى عن أبى أمامة الباهلى قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم.

فقال رسول الله ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضلى على من سواكم**».

ثم قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير**».

ثم قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب صحيح.

ثم قال الترمذى: سمعت الحسين بن حريث الخزاعى يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: «عالم عامل معلم يدعى كبيرا فى ملكوت السماوات».

(انظر سنن الترمذى أبواب العلم باب فى فضل الفقه على العبادة ج ٧ ص ٣٧٩ وما بعدها، وانظر صحيح الجامع ج ٢ ص ٧٧٦) .

تعليقات

١ - قوله (أحدهما عابد) أى كامل العبادة، (والآخر عالم) أى كامل بالعلم.

٢ - قوله ﷺ: «**فضل العالم**» أى بالعلوم الشرعية مع القيام بفرائض العبودية (على العابد) أى المتجرد للعبادة بعد تحصيل قدر الفرض من العلم.

(انظر تحفة الأحوذى ج٧ ص٣٧٩) .

٣ - قوله : «**ليصلون على معلم الناس الخير**» فيه إشارة إلى وجه الأفضلية بأن نفع العلم متعد ونفع العبادة قاصر.

ثالثا: فضل التفقه فى الدين وبيان منزلته

قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ (التوبة: آية ١٢٢).

هذه الآية الكريمة مسبوقة بالكلام عن الجهاد فى سبيل الله والحث عليه.

ثم جاءت هذه الآية لتحض على التفقه فى الدين.

وذلك لأن التفقه فى الدين أساس الجهاد لأنه دفاع عن الدين بالحجة والبرهان.

وباجتماع شعبتى الجهاد يتم النصر؛ جهاد بالسلاح فى مواطن الحرب وجهاد بالعلم لنصرة الإسلام فى كل مكان .

قال أبو حيان عن هذه الآية فى فضل التفقه: أمروا بأن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد، وتبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذى هو الجهاد الأكبر لأن الجهاد بالحجة أعظم أمرا من الجهاد بالسيف.

(انظر البحر المحيط ج ٥ ص ١١٤) .

وفى الآية الكريمة قولان للمفسرين:

(الأول): أن الآية من بقية أحكام الجهاد لأن النبى ﷺ لما حث على الجهاد أراد الكثير أن يخرجوا للقتال وبهذا تكون المدينة خالية إلا من القليل، فبين الله تعالى أنه ما صح ولا استقام أن ينفروا جميعا، بل تذهب طائفة للجهاد وأخرى تبقى للتفقه فى الدين.

(الثانى): أن الآية الكريمة ليست من بقية أحكام الجهاد بل هى حكم مستقل بنفسه فى مشروعية الخروج لطلب العلم والتفقه فى الدين جعله الله سبحانه متصلا بما دل على إيجاب الخروج إلى الجهاد.

وبذلك يكون السفر نوعين:

١ - سفر الجهاد.

٢ - السفر لطلب العلم .

قال الألوسى: فى الآية دليل على أن التفقه فى الدين من فروض الكفاية.

وقد جاء ما يدل على ذلك من الحديث الشريف حيث قال النبى ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**».

(رواه ابن عدى والبيهقى وغيرهما وهو حديث صحيح كما فى صحيح الجامع ج ٢ ص ٧٢٧ . وانظر روح المعانى ج ١١ ص٤٩).

فـــوائد:

(الأولى): قـال السـيـوطى فى الآية دليل على مشروعية الرحلة فى طلب العلم.

(الثانية): استدل بالآية قوم على قبول خبر الواحد لأن الطائفة نفر يسير، بل قال مجاهد إنها تطلق على الواحد.

٣ ـ فى الآية الكريمة دليل على جواز التقليد فى الفقه للعامى.

(انظر الإكليل فى استنباط التنزيل ص ١٢٣ بتصرف يسير).

هذا وإذا رجعنا إلى السنة المشرفة فى فضل التفقه فى الدين وجدنا كثيرا من الأحاديث الشريفة، لكننا سنكتفى بحديث واحد.

روى البخارى بسنده إلى معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وإنما أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله**».

(انظر صحيح البخارى كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ج ١ ص ٢٥٨ وما بعدها).

وفى الحديث الشريف بيان واضح لفضل التفقه فى الدين.

قال الإمام العينى:

(**يُرد**) بضم الياء مشتق من الإرادة وهى عند الجمهور صفة مخصصة لأحد طرفى المقدور بالوقوع. والمراد بالخير النفع.

ومعنى (**يفقهه فى الدين**) أى يجعله فقيها فى الدين.

والفقه: لغة الفهم.

وعرفا: العلم بالأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية بالاستدلال.

والمناسب هنا هو المعنى اللغوى ليتناول فهم كل علم من علوم الدين.

وقال الحسن البصرى: الفقيه هو الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة والبصير بأمر دينه المداوم على عبادة ربه.

(انظر عمدة القارى ج ٢ ص ٤٩ وما بعدها).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى: فقه بالضم إذا صار الفقه له سجية..

وفقه بالفتح إذا سبق غيره إلى الفهم، وبالكسر إذا فهم.

ونكر خيرا ليشمل القليل والكثير، والتنكير للتعظيم لأن المقام يقتضيه.

ومفهوم الحديث: أن من لم يتفقه فى الدين أى يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع فقد حرم الخير.

التفقه فى الدين أساس الجهاد لأنه دفاع عن الدين بالحجة والبرهان

وقد أخرج أبو يعلى حديث معاوية من وجه آخر ضعيف وزاد فى آخره (ومن لم يتفقه فى الدين لم يبال الله به).

والمعنى صحيح لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيها ولا طالب فقه فيصح أن يوصف بأنه ما أريد به الخير.

وفى ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس ولفضل التفقه فى الدين على سائر العلوم.

(انظر فتح البارى ج ١ ص٢٥٩).

هذا ونختم حديثنا بهذه الأبيات الشعرية العظيمة المنسوبة إلى سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه فى مدح أهل العلم:

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ماكان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا
الناس موتى وأهل العلم أحياء

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد الذى علم الناس كل خير وعلى آله وصحبه وسلم.

من أخلاق أهل العلم

لا ريب أن العلمـاء المُصلِحـين المهتدين هم خلفاء الرسل، وهم الدعاة إلى ما جاءت به الأنبياء من توحيد الله والإخلاص له،وإعمار الأرض، واتباع الهدى الذى جاءت به الرسالات السماوية جميعا، وهم القادة فى توجيه الناس إلى أسباب النجاة، وتحذيرهم من أسباب الهلاك.

ولهذا روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عُدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين» (رواه البيهقى)، يبصِّرون بكتاب الله أهل العمى، وينذرونهم عواقب الجهل والظلم، والذود عن أسباب الهلاك، يدعونهم إلى مكارم الأخلاق، ويحذرونهم من مساوئها.

فأهل العلم هم الدعاة إلى الله تعالى، وهم المبصرون بكتابه أهل العمى، وهم الصابرون على الأذى، وهم النجوم التى يُهتدى بها فى ظلمات الجهل والضلال والشكوك والأوهام، وهم -فى الحقيقة- أهل خشية الله بعد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

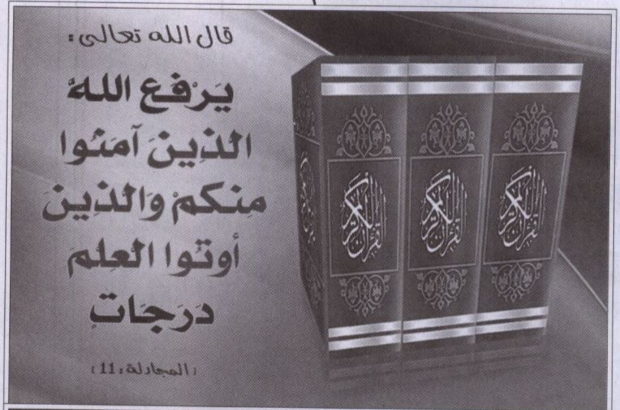

د. حسن السيد خليل*

فأئمة الهدى ودعاة الحق هم الرسل والأنبياء عليهم السلام فى الطبقة الأولى، ثم يليهم العلماء بالله وبدينه، والهداة إليه، وهم على مراتب وعلى طبقات أيضًا، وكلما كان العالم أعلم بما جاءت به الرسل، وأخلص وأصدق فى العمل؛ كان أكثر قيامًا بالخلافة، وأكثر تأسيًا، وأكثر أجرًا، وأعظم ذكرًا.

ومن أخلاق أهل العلم: خشية الله

فرأس العلم خشية الله عزَّ وجلَّ، التى توجب على العالم أن يؤدى ما يجب عليه، وكلما كانت خشيته لله أكمل صار إخلاصه أعظم، وصار أداؤه للأمانة أكمل، يقول عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر:٢٨) أى: العلماء بالله، العارفين به، المعظمين لحرماته، البصيرين بكتابه وسنة نبيه ﷺ، فهم أفضل الناس خشية، وأكثرهم تعظيمًا لله، وأقومهم بحقه بعد الرسل والأنبياء عليهم السلام، وكلما عظم الإخلاص والخشية لله عزَّ وجلَّ؛ انتشر العلم والعمل، وازداد الصبر والثبات، وعظُم الأثر فى الناس.

* الباحث الشرعى بمشيخة الأزهر الشريف

التواضع وعدم التكبر

وهو من الأخلاق العظيمة التى يجب لكل عالم أن يتصف بها، فالعلماء هم أكثر الناس تواضعًا، اقتداءً بإمام المتقين وسيد المرسلين ﷺ، فقد كان أكمل المتواضعين، وكان لا يستأنف ولا يستنكف أن يمشى مع الأرملة والمسكين حتى يقضى له حاجته، عليه الصلاة والسلام، وهكذا أهل العلم يتواضعون فى طلب العلم، وإبلاغه للناس بالحكمة والموعظة الحسنة، وفى قضاء الحاجة للمسلمين، وبذلك نالوا المراتب العالية، والدرجات الرفيعة، يقول مجاهد - رحمه الله - وهو تابعى جليل: «لا يتعلم العلم مستح ولا مستكبر»، ذكره البخارى - رحمه الله - تعليقًا وتبويبًا، وقد صدق فى ذلك.

فجدير بالعالم وطالب العلم أن يكون هكذا حريصًا على طلب العلم، متواضعًا فى ذلك، لا يمنعه الحياء من أن يتفقه فى الدين، ولهذا قالت أم سليم - رضى الله عنها - فى الحديث الصحيح: يا رسول الله! إن الله لا يستحيى من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت؟ قال النبى ﷺ: «**نعم، إذا هى رأت الماء**»، فقدَّمت هذه المقدمة قبل سؤالها: «إن الله لا يستحيى من الحق» - ثم سألت، والمقصود من هذا أن الحياء لا ينبغى أن يَمنع من العلم، ولهذا قالت عائشة - رضى الله عنها - عند سماعها كلام أم سليم: «نِعْم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين».

فلا ينبغى أبدًا لمؤمن ولا لمؤمنة أن يمنعهما الحياء من التفقه فى الدين، والسؤال عما أشكل، عن طريق الكتابة، أو الهاتف، أو أى طريق.

العمل بالعلم

فالمقصود من العلم هو العمل، وإلا صار حجة على صاحبه، وصار وبالاً وحجة عليه يوم القيامة، وليس بعالم من لم يعمل، فالعلم الحقيقى هو العمل ولهذا فإن من أعظم أخلاق أهل العلم العمل بالعلم، وأن تُرى عليه آثاره؛ فى كلامه، وفى أفعاله، وفى مدخله ومخرجه، وفى سفره وإقامته، وفى سائر أحواله، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه «**كان يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصِّر الخطبة، ولا يستنكف أن يمشى مع الفقير والمسكين والأرملة حتى يقضى حاجته**»، خرَّجه النسائى بإسناد صحيح.

ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين

هكذا العالم ينبغي أن يكون عاملاً بعلمه، متواضعًا، حافظًا وقته، كثير الذكر لله عزَّ وجلَّ، قليل الكلام اللاغى الذى يفرق الجمع ويقلب الناس، يحفظ وقته من أى كلام لا فائدة فيه، ويجتهد فى تطبيق ما علمه من شرع الله من أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند حدود الله عزَّ وجلَّ، وهكذا العالم وطالب العلم الصادق، يحمله علمه وطلبه للعلم على المبادرة والمسارعة والعناية الكاملة بالعمل.

ولما تخلف اليهود عن العمل غضب الله عليهم، بسبب علمهم وعدم عملهم ﴿**فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ**﴾ (البقرة:٩٠) والنصارى غلب عليهم الجهل والضلال، وأبوا البصيرة، فوصفهم بالضلالة فى قوله جلَّ وعلا: ﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ (الفاتحة:٦)، فمن غلب عليه الجهل فهو ضال، ومن خالف العلم فهو الغاوى، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ**﴾ (الشعراء:٩١)، الذين لم يعملوا بالعلم، بل خالفوا معالمه، وآثروا الدنيا على الآخرة، وقدموا شهواتهم وحظوظهم العاجلة على طاعة الله ورسوله.

على طالب العلم التأسى بأهل العلم، فيعمل بما علم ويجتهد فى تطبيق أقواله وأعماله وسيرته على ما علم

فالواجب على العالم أن يُعنى بالعلم، عملاً وسيرةً فى جميع الأحوال، حتى تظهر آثار علمه عليه فى أحواله كلها، وعلى طالب العلم أن يتأسى بأهل العلم فى ذلك، فيعمل بما علم، ويجتهد فى تطبيق أقواله وأعماله وسيرته على ما علم؛ لأنه الآن طالب، وغدًا عالم مسئول بين يدى الله.

الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة

ومن أخلاق العلماء العظيمة: التعليم والدعوة إلى الله لأن هذا من العمل، فهم يتقون الله فى أنفسهم، ويؤدون فرائضه، ويحذرون محارمه، ويقفون عند حدوده، ومع ذلك أيضًا يبذلون المستطاع لتعليم الناس ودعوتهم إلى الخير، وإرشادهم إلى ذلك، هذا مقتضى العلم، وهذا هو مقام الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإنهم علموا وعملوا ودعوا إلى الله.

فالعلماء هكذا، يجب عليهم جلب العلم عن إخلاص، وصدق، وصبر، سواءً كانوا ذكورًا أو إناثًا، فالعالم والعالمة، والفقيه والفقيهة، والمدرِّس والمدرِّسة، كلهم عليه واجب، من الدعوة إلى الله، والتعليم، والإرشاد، والصبر على ذلك، وبذلك يظهر العلم وينتشر، وإذا كتم العالم علمه لن يُنتفع به وصار منبوذًا عند الله وعند عباده.

فالواجب إبراز العلم وإظهاره ونشره بين الناس، على حسب القدرة والحاجة، يقول عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (فصلت:٣٣)، لا أحسن قولاً من هؤلاء، وهم الرسل وأتباعهم، ويقول سبحانه: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِى أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى**﴾ (يوسف:١٠٨)، فأتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام هم الدعاة إلى الله على بصيرة، هم

معلمون ومرشدون وموجهون، هم أتباع الرسل على الحقيقة، علموا وعملوا ودعوا إلى الله عزَّ وجلَّ، وبصَّروا الناس.

وكان ﷺ إذا خطب الناس وذكَّرهم غالباً يقول لهم عليه الصلاة والسلام: «**فليبلغ الشاهد الغائب، فرُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع**»، هكذا ينبغى، فالعالم ينشر العلم، ويحث الناس على نشره أيضًا وتبليغه للناس، يقول جلَّ وعَلا: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ● إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** (البقرة:١٥٩-١٦٠)، ذكر الوعيد العظيم لمن كتم الحق؛ لأنه ملعون من جهة الله، ومن جهة خلقه، ثم قال: **﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾** (البقرة:١٦٠)، هؤلاء هم الذين يسلَمون مما وعد الله به من كتم العلم، بتوبته وإصلاحه وبيانه، فلا بد من توبة صادقة، ولا بد من إصلاح فى العمل، ولا بد من بيان وعدم كتمان.

فمن أخلاق العلماء: البيان، والإرشاد، والإيضاح، والهداية للناس **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِى أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى﴾** (يوسف:١٠٨)، فعليهم أن يتبصروا، وعليهم أن يعلموا ويرشدوا ويبلغوا، فهذا من أعمالهم ومن أخلاقهم العظيمة الواجبة، وقال سبحانه: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾** (النحل:١٢٥)، فالحكمة هى العلم، «قال الله، وقال رسوله» بيان ما أوجب الله على عباده، وما حرم عليهم، وما شرعه لهم بالأدلة.

وهكذا بالموعظة الحسنة؛ لأن الناس قد يكون عندهم تثاقل وغفلة وإعراض وتكاسل، فالموعظة الحسنة تحركهم وتشجعهم وتعينهم على أداء الواجب، فالترغيب والترهيب له أثر عظيم فى قلوب الناس، وهذا هو الموعظة الحسنة، قد يكون عند بعضهم شُبَه يجادل عنها، ويبديها وينشرها، فهذا يجادَل بالتى هى أحسن، بكشف الشبهة، وإيجاد اللبس، وإيضاح الحق، بالدلائل الواضحة، والجدال الهادف الرفيق، الذى ليس فيه عنف ولا شدة، بل بالتى هى أحسن، كما قال الله سبحانه: **﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾** (العنكبوت:٤٦)، فنهى عن جدال أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن، فكيف بجدال أهل الإيمان؟! من باب أولى يكون بالتى هى أحسن، إلا الظالمين، فمن ظلم فله شأن آخر.

على العالم إيضاح الحق بالدلائل الواضحة والجدال الهادف الرفيق الذى ليس فيه عنف ولا شدة

فعلى العالم أن ينشر علمه، ويبلغه للناس عن بصيرة وعن علم، عمَّا قاله الله ورسوله، لا عن جهل، فلا يتقول على الله بغير علم، فالقول على الله بغير علم من أكبر الكبائر، ومن أعظم المصائب، كما قال سبحانه: **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّى الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا**

﴿تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٣)، فجعل القول عليه بغير علم فوق هذه المراتب، فوق الشرك، فدل ذلك على عِظَم الخطر فى القول عليه بغير علم، وعِظَم الجريمة.

فالواجب على أهل العلم أن يتكلموا عن علم، وأن يبلغوا عن علم، لا عن جهل.

وأخبر سبحانه فى آيات أخرى أن الشيطان يأمر الناس بأن يقولوا على الله غير الحق، فالقول على الله بغير علم عصيان له سبحانه وطاعة للشيطان، كما قال عزَّ وجلَّ: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ • إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** (البقرة:١٦٨-١٦٩).

فأخبر سبحانه أن القول عليه بغير علم مما يأمر به الشيطان ويدعو إليه، وعلى أهل العلم أن يحذروا ذلك، وأن تكون دعوتهم عن علم وبصيرة.

الصبر

وهناك أمر آخر من الأخلاق العظيمة لأهل العلم، وهو: الصبر على علمهم وعملهم ودعوتهم وتبليغهم فإنه قد يَنال العالم بعض الأذى، وقد يتعب فى ذلك، قد تحصل له المشاق فى دنياه وفى بدنه، وقد تحصل عليه أيضًا مشاق فى دينه؛ لكن يجتهد فى حفظ دينه، وفى الحرص على القيام بحق الله عليه، ومع ذلك يحرص على القيام بحق عباد الله، ويصبر على الأذى، كما فعل الرسل، فقد أوذوا وصبروا عليهم الصلاة والسلام، فلا بد أيضًا من الصبر من أهل العلم، المتأسين بالرسل عليهم السلام، لا بد من الصبر على ما قد يعترى الإنسان من تعب فى دنياه، فى ماله، وفى عرضه، وفى غير ذلك، ، والله جلَّ وعَلا يقول: **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾** (الأحقاف:٣٥)، ويقول سبحانه: **﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾** (النحل:١٢٧).

فالصبر من عوامل السعادة وأسباب الخير، وقد جمع الله العلم والعمل والدعوة والصبر فى سورة عظيمة قصيرة، وهى سورة العصر، حيث قال سبحانه: **﴿وَالْعَصْرِ • إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ • إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾** (العصر:١-٣)، فجمع عوامل السعادة، وعناصر الربح، وأسباب الخير فى هذه الأمور الأربعة.

فالواجب على أهل العلم، وعلى أتباع أهل العلم، وعلى كل مؤمن أن يأخذ نصيبه من هذه الصفات الأربع، حتى ينجح ويربح، فالناس فى خسران فى أيامهم ولياليهم وسائر أحوالهم **﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾** (العصر:٣)، هؤلاء هم الرابحون، وهم الناجحون، وهم السعداء، من عالم ومتعلم، ومن سائر المؤمنين والمتخلقين بهذه الأخلاق.

الواجب على أهل العلم أن يتكلموا ويبلغوا عن علم لا عن جهل

وعلى أهل العلم أن يخالطوا الناس بحذر؛ فقد عُلم أن لحامل العلم مكانته ومنزلته التى فضله الله بها على غيره، ومتى خالط السفهاء وعوام الناس، واندمج معهم، لقى إهانة وذلا واحتقاراً، وسمع من سخيف القول، ومستهجن الكلام، ما يترفع عنه حملة العلم الذين قال الله عنهم: **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾** (المجادلة: ١١)، ولقد صور ذلك الشيخ أبو الحسن الجرجانى ـ رحمه الله ـ بقوله:

يقولون لى فيك انقباض وإنما
رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
ولم أتبذل فى خدمة العلم مهجتى
لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسًا وأجنيه ذلة
إذًا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه فى النفوس لعظّما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا
محياه بالأطماع حتى تجهما

من أقضية الرسول ﷺ وأصحابه

عرف العرب القضاء والحكم بين المتخاصمين فى العصر الجاهلى، وتقاضوا إلى بعض الحكماء والمشهورين، الذين نقل التاريخ كثيراً من أقوالهم وأحكامهم، خاصة فى الخصومات الأدبية، التى كانت تعقد لها المجالس والمنابر، التى يباشر القضاة الفصل فيها، وللحضور حق المعارضة والنقض، كالذى كان يحدث فى سوق عكاظ فى الجاهلية وصدر الإسلام، إذ كان الاحتياج إلى هؤلاء الحكماء ضرورياً؛ لصيانة الحقوق وإثبات الأنساب والفصل بين المتنازعين، قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهالهم سادوا

د. السيد محمد الديب*

ومن هؤلاء قس بن ساعدة الخطيب والقاضى المحكم صاحب القاعدة القضائية المشهورة: البينة على من ادعى واليمين على من أنكر.

وقضى بين الخصمين ـ كما تقول معاجم اللغة ـ أى حكم بينهما، وقضى بمعنى أقر وحكم كما فى قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: آية ٢٣)، ويقرن القضاء بالقدر، إذ هما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فالقضاء فصل الأمر سواء أكان قولاً أم فعلاً، ويكون فى حق الله وحق البشر.

الرسول قاضياً: كان الرسول ﷺ أول قاض فى الإسلام، وتمكن ـ لأمانته ـ أن يحكم فى الجاهلية بين المتخاصمين حول موضع الحجر الأسود من الكعبة، ولقب بالأمين، واشتهر بذلك، وأمره الله أن يحكم بما أنزل عليه وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء: آية ١٠٥).

وقد نزلت عليه ﷺ آيات القرآن الكريم، والتى

* أستاذ بجامعة الأزهر.

جاءت فى شأن الحكم بالعدل عند القضاء بين الناس جميعًا، ونهض الرسول ﷺ بوظيفة الحكم بين المتنازعين، ووضع العديد من الضوابط الفاصلة فى شأن الحكم بين المختلفين فى أحوال الزواج والأموال وسائر الحقوق، واقتدى به كثير من الصحابة الأجلاء، الذين كانت لديهم معرفة متنوعة وحنكة قضائية، مكنتهم من اعتلاء مجالس القضاء، ذلك أن الاختلاف بين الناس، والنزاع فى كثير من الأمور التى لم يرد فيها نص شرعى قطعى الثبوت والدلالة يوجب الاحتكام إلى قاض أو أكثر؛ للفصل فى الأمور المتنازع فيها مع توفر القدرة على فهم النصوص واستنباط الأحكام والاجتهاد فى الرأى.

ومن الأقوال الخالدة فى مسيرة الإسلام الداعمة لعظمة القضاء، وتثبت الأسس والقواعد التى ينبنى عليها القضاء العادل الصحيح، ما رواه ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «**لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدَّعى عليه**»(١).

وروت أم سلمة - رضى الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلى، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضى له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئًا، فإنما أقطع له قطعة من النار**»(٢).

والحديثان واضحان فى الدعوة إلى التزام البينات والأدلة الصادقة فى إثبات الحقوق وعدم التخابث بالمطالبات المزيفة والشهادات الكاذبة.

نماذج من أقضية الرسول ﷺ

أ - حكم الرسول ﷺ فى نزاع بين الزبير بن العوام ورجل من الأنصار اختلف فى تعيينه، فقيل إنه ممن شهدوا بدرًا، وقيل إنه حاطب بن أبى بلتعة، وكانت الخصومة عن السماح من الزبير بمرور الماء من أرضه؛ لسقى أرض الأنصارى المزروعة بالنخيل (بستان)، فقال ﷺ للزبير: «**اسق أرضك، ثم أرسل الماء إلى أرض جارك**»، فقال الخصم: أراك تحابى ابن عمتك، فتلون وجه الرسول ﷺ، فقال للزبير: «**اسق، ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر**»(٣)، فنزل قول الله تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (النساء: آية ٦٥)(٤).

الرسول ﷺ أول قاض فى الإسلام وتمكن لأمانته أن يحكم بين المتخاصمين حول وضع الحجر الأسود

وقد حكم الرسول ﷺ بما علمه وشهد به، وسلك بين الخصمين مسلك الصلح، فقال للزبير: «**اسق يا زبير، وذلك لقربه من الماء، وقال له: ثم أرسل الماء إلى جارك**»، أى تساهل فى حقك ولا تستوفه، وعجل فى إرسال الماء إلى جارك، فحضه على المسامحة والتيسير.

وغضب الأنصارى، لأنه كان يريد ألا يمسك الماء أصلا، فنطق بالكلمة الجائرة المهلكة: آن كان ابن عمتك: أى اتحكم له على لأجل أنه قرابتك؛ وبذلك تلون وجه النبى غضبًا عليه، وحكم للزبير باستيفاء حقه من غير مسامحة له(٤).

وعليه فلا يقال: كيف حكم فى حال غضبه، وقد قال ﷺ: «**لا يقضى القاضى وهو غضبان**»، والمعنى هذا جائز للرسول؛ لأنه معصوم من الخطأ فى التبليغ والأحكام، بدليل العقل الدال على صدقه فيما يبلغه عن الله تعالى فليس كمثل غيره من الحكام(٥). وفى الحديث (المذكور أولاً) إرشاد الحاكم إلى الإصلاح بين الخصوم وإن ظهر الحق، واختلف فى ذلك، والحديث حجة واضحة على الجواز، كما اختلف فى مستوى حبس الماء فقيل إلى الكعبين، ففى حديث آخر: «**إذا بلغ الماء الكعبين لم يحبس الأعلى**»(٦).

وتقول الآية: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾، والمعنى كما قال ابن كثير: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد، حتى يحكم الرسول ﷺ فى جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذى يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا.

ولهذا قال: ﴿**ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا**

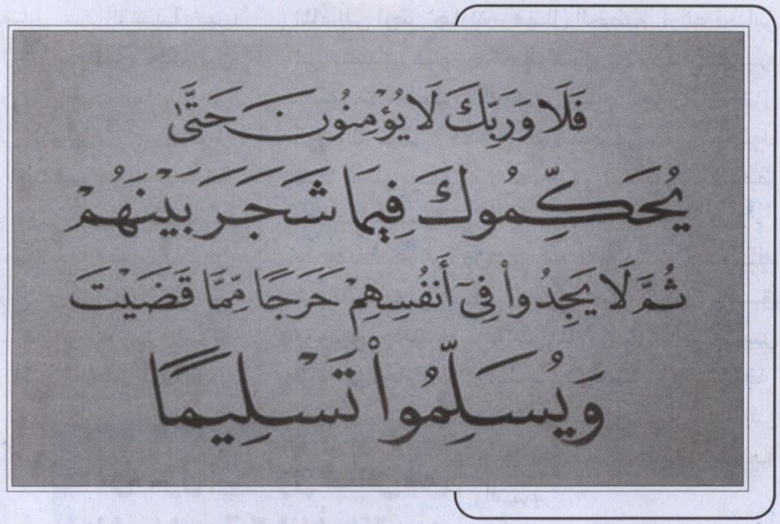

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ - أى إذا حكموك يطيعونك فى بواطنهم، فلا يجدون فى أنفسهم حرجًا فيما حكمت به، وينقادون له فى الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليمًا كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة.

كما قال فى الحديث: «**والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»(٧).

وقد تقدم على هذه الآية قول الله تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ.....**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ (النساء: الآيتان ٥٨، ٥٩). وهكذا جاءت الآية المتقدمة بمثابة تطبيق لما نصت عليه هاتان الآيتان والله أعلم.

ب - حكم الرسول ﷺ فى دعوى رفعتها إليه هند بنت عتبة، وجاء القضاء حسب ما روته عائشة - رضى الله عنها - قالت: ودخلت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بنى إلا ما أخذت من ماله بغير علمه، فهل على فى ذلك جناح، فقال رسول الله ﷺ: «**خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك**»(٨) ونص الحديث على كثير من الفوائد بخصوص نفقة الزوجة ونفقة الأولاد الصغار، وجواز الحكم على الغائب، وذكر الإنسان بما يكرهه عند الشكوى والاستفتاء، وإن اختلف الفقهاء فى فهم ما جاء بالحديث عن أخذ الزوجة من مال زوجها بغير علمه، وحكم الرسول ﷺ فى كثير من الأقضية التى بقيت حجة وأساسًا للاقتداء بها مع جواز الاجتهاد، وحدوث الاختلاف بين الفقهاء فى بعض الأمور التى يمكن استيعابها وتوجيهها.

> **تاريخ الإسلام حافل بالمواقف والأحداث التى حرص الرسول ﷺ فيها على التطبيق العادل للأحكام دون محاباة لأحد ولا تفريق بين المتخاصمين**

وقضى ﷺ فى أمور كثيرة مثل الكفاءة بين الزوجين، وعدم إجبار الفتاة البكر على الزواج، وتقرير أن صمتها كاف لموافقتها، وعدم تصدى القاضى للحكم وهو غضبان، والجمع بين اليمين والشاهد فى كثير من الأحكام(٩) وقد جمع بعض المتأخرين أقضية رسول الله ﷺ فى مؤلفات تشهد بعظمة أحكامه.

من أوائل القضاة فى الإسلام:

أذن الرسول ﷺ لبعض الصحابة رضوان الله عليهم بالقضاء، وهم الذين وجد فيهم القدرة على الحكم وحسن الفهم للقرآن الكريم والسنة النبوية، والقدرة على الاجتهاد فى المسائل، التى لم يرد بها نص صريح. ومن هؤلاء:

أ - على بن أبى طالب: الذى بعثه الرسول ﷺ إلى اليمن، وعند تكليفه بهذه المهمة التى أحسَّ بضخامتها، وأدرك خطورتها فاتجه إلى الرسول ﷺ معبرًا عن تواضعه واعتقاده بقلة علمه: قال: يا

رسول الله، بعثتنى بينهم وأنا شاب لا أدرى ما القضاء قال: فضرب رسول الله ﷺ فى صدرى وقال: «**اللهم أهده وثبت لسانه**»(١٠).

وروى على رضي الله عنه: أن الرسول ﷺ قال له: «**يا على إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما، حتى تسمع من الآخر، كما سمعت من الأول فإنك إن فعلت ذلك تبين لك القضاء**»(١١).

وقد زادت شهرة على ـ كرم الله وجهه ـ بزيادة علمه وشدة فهمه، حتى كان عمر بن الخطاب وكثير من الصحابة يحيلون إليه القضايا الشائكة، وانتشرت مقولة: «قضية ولا أبا حسن لها» مع أن الفاروق كان بارعًا وعادلاً ومؤسسًا لكثير من القواعد والأسس القضائية، ورسالته فى القضاء التى بعث بها إلى أبى موسى الأشعرى صورة رائعة لأسس العدالة فى الإسلام، وجاء فيها: «أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فإنه إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس فى مجلسك ووجهك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك.

البينة على من ادعى واليمن على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا حرم حلالاً أو أحل حرامًا ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل.....»(١٢). وجاء فيها: «أعوذ بالله من كل معضلة ليس لها أبو الحسن».

ب ـ معاذ بن جبل: كان مبعوثًا هو الآخر، إلى اليمن، لما له من قدرة على الفهم والحكم والاجتهاد وقد روى جماعة من أصحابه أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**كيف تقضى إذا عرض لك قضاء؟**»؛ قال: أقضى بكتاب الله، قال: «**فإن لم تجد فى كتاب الله**»، قال فبسنة رسول الله، قال: «**فإن لم تجد فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله**»، قال: اجتهد رأيى ولا آلو.

فضرب الرسول ﷺ صدره وقال: «**الحمد لله الذى وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضى رسول الله**»(١٣). وقد ودعه الرسول ﷺ وقال له: «**حفظك الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك، ودرأ عنك شرور الإنس والجن**»(١٤).

ولم يطلب أحد من قضاة الرسول ﷺ القضاء خوفًا واحتراسًا وتواضعًا مع أن الكثيرين قد نهضوا بالتبعة ولم يتخلوا عن المسئولية التى كلفوا بها منه ﷺ وذلك كعبد الله بن عباس وأبى العلاء الحضرمى المبعوث إلى البحرين وغيرهم كما نهض بالتبعة فى مرحلة تالية الكثيرون ومنهم شريح القاضى.

إن تاريخ الإسلام حافل بالمواقف والأحداث، التى حرص الرسول ﷺ فيها على التطبيق العادل للأحكام، دون محاباة لأحد ولا تفريق بين المتخاصمين فى الدين أو الجنس أو النوع أو السن، وكان يشتد على المتجاوزين، والذين تغيب عنهم إدراكاتهم فى الوصول إلى الحق والعدل والإنصاف.

الهوامش:

١ ـ البخارى ومسلم.

٢ ـ أخرجه البخارى فى كتاب الشهادات ومسلم فى كتاب الأقضية.

٣ ـ ما رفع حول المزرعة كالجدار والحديث رواه البخارى ومسلم.

٤ ـ القرطبى، ج٥، ص٢٦٧.

٥ ـ السابق ج٥، ص٢٦٧.

٦ ـ ذكره القرطبى فى تفسيره.

٧ ـ ابن كثير، ج٢، ص٢٠٦، ٢٠٧.

٨ ـ البخارى ومسلم ومالك والبيهقى، واللفظ لمسلم.

٩ ـ ذكره مالك فى الموطأ ومسلم فى صحيحه.

١٠ ـ فقه السنة لسيد سابق، ج٣، ص٣١٣.

١١ ـ رواه أحمد وأبو داوود والترمذى.

١٢ ـ البيان والتبيين، للجاحظ، ج٢، ص٤٨.

١٣ ـ أخرجه أبو داود فى سننه والترمذى فى جامعه.

١٤ ـ أقضية وقضاة د. كمال عيسى ص٥٦، طبع النادى الأدبى بجدة عام ١٩٨٧م.

الاعتداء على الأرض الزراعية جريمة شرعية

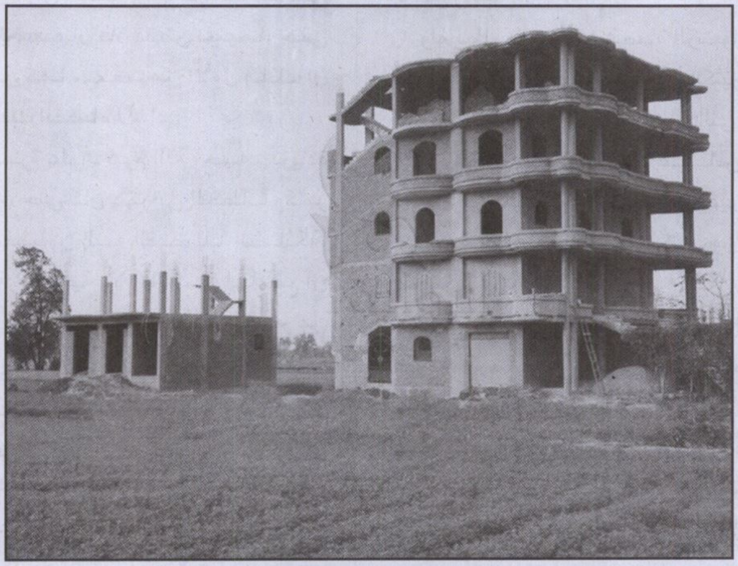

د. أحمد فاروق الهلباوى

دار الإفتاء:

التعدى على الأرض الزراعية غير جائز شرعًا وضرره عظيم

ظاهرة البناء على الأرض الزراعية نوع من الفساد فى الأرض وهى ظاهرة تواصل توحشها وتخالف صحيح الدين ناهيك عن كونها تجافى كل ذى عقل سليم. وبادئ ذى بدء فإن الإسلام حرم التعدى بشتى أنواعه حتى لا يحدث خلل فى هذا الكون الفسيح قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ (سورة يونس الآية: ٢٣).

ومن الضرورى الرد على أولئك الذين يدعون أن الاعتداء على الأرض الزراعية هو نوع من عمارة الأرض بل هو عدوان عليها وهو محرم شرعاً مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (سورة البقرة الآية: ٦٠).

بنى الفراعنة فى الصحراء القريبة من الوادى والدلتا ولم يمسوا الأرض الزراعية بسوء

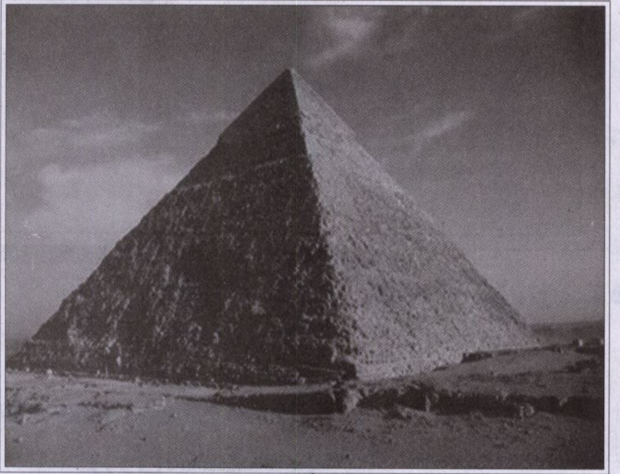

وعندما نحاور أولئك المعتدين على الأرض الزراعية نقول لهم إن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه حثنا منذ أربعة عشر قرنًا على زراعة الأرض وتشجيرها وذلك فى قوله ﷺ: «**إذا قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها**»، وهذا يعنى أن غرس الأشجار وزرع النبات أمر واجب على المسلم حتى فى آخر رمق من حياته وحتى إذا تهدده خطر الموت وتأكد من حلول الفناء وخطر الموت له وللأرض وذلك لأن غرس الأشجار وزرعها هو من أعمال الخير التى يلزم أن يأتيها الإنسان لتكون فى ميزان حسناته وفى السطور القادمة سنحاول جاهدين بيان ما يرتكب فى حق هذه الأرض التى جعلنا الله مستخلفين فيها وهذا يجعلنا مطالبين بحماية هذه الأرض وعدم الاعتداء عليها من مجرد تلويثها فما بالنا بإزالة تربتها والبناء عليها فنحن مطالبون بتنمية أراضينا والمحافظة عليها من خطر الاستنزاف وزيادة الثروة النباتية والحيوانية والمائية وحماية البيئة بشتى أنواعها.

التعدى على الأرض الزراعية

ولعل سائلاً يسأل ما المقصود بالتعدى على الأراضى الزراعية ونقول له إن المقصود بذلك هو نقصان المساحات المنتجة للغذاء بدلاً من زيادتها لملاحقة معدلات الزيادة السكانية وحفظ حقوق الأجيال القادمة فى الحصول على الغذاء بأسعار غير مرهقة تحقيقًا لأهم مبادئ حقوق الإنسان وهو مبدأ الحق فى الطعام دون مشقة أو أن يكون الفقر سببًا في عدم إمكانية الحصول على الغذاء وبالتالى موت البشر، لذا كان البناء على الأرض الزراعية يستقطع جزءًا من مورد لا ينضب لإنتاج الغذاء وبالتالى تقليص الإنتاجية الزراعية والحقيقة المرة التى لا ينبغى علينا إغفالها هى أن التعدى على الأرض الزراعية يفقدنا مساحات كبيرة من أراض ذات خصوبة عالية واستبدالها بأراضٍ مستصلحة تكلف الدولة قيمة مرتفعة ولا تعطى نفس الجودة والإنتاجية للغذاء فمصر تفقد كل عام كما يحدد الباحثون فى هذا المجال الحيوى المهم حوالى خمسين ألف فدان فى العام الواحد بسبب التعديات على أراضى النيل عن طريق الردم أو التجريف أو البناء عليها وهو ما يعد نسبة مرتفعة جدًا بالإضافة إلى إنه من قبيل الإنسان فى الأرض وتضييع النعم التى أنعم الله بها على مصر والمصريين وهو من قبيل الإفساد فى الأرض الذى تكلمنا عنه آنفًا فالأرض الخضراء والزروع لها أهمية بالغة فى حماية البيئة الهوائية وتحقيق التوازن فى الكون.

أرقام مفزعة

وكشف تقرير رسمى صادر عن وزارة الزراعة وتحديداً من الإدارة المركزية لحماية الأراضى واستصلاح الأراضى بوزارة الزراعة واستصلاح

قال رسول الله ﷺ:

« إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها »

الأراضى عن أن إجمالى حالات التعدى على الأراضى الزراعية خلال الفترة ما بين ٢٥ يناير وحتى الآن والتى قدرها التقرير بـ ١٩٤ ألف حالة على مساحة ٨٦١٨ فدانًا و٢٠ قيراطًا و١٧ سهمًا على مستوى الجمهورية وأوضح التقرير أن وزارة الزراعة بالتعاون مع وزارة الداخلية والقوات المسلحة بدأت إزالة التعديات الواقعة على تلك الأراضى الزراعية فى المحافظات المختلفة حيث تم إزالة عشرة آلاف حالة حتى الآن.

وكشف التقرير عن أن عمليات البناء على الأرض الزراعية أفقدت مصر خلال ٣٠ سنة نحو ٧٦٠ ألف فدان ويرجع التقرير ذلك إلى تفشى بعض الفساد فى الأجهزة المحلية. ويشير التقرير أيضًا إلى ضرورة أن نضع من أهم أولوياتنا ضرورة وقف تقلص الأرض الزراعية للقضاء على فجوة الغداء التى شهدت ارتفاعًا هائلاً مؤخرًا إذ قفز سعر طن القمح إلى ٣٦٠ دولارًا وطالب التقرير بضرورة منع الاعتداء على اللجان التى تقوم بإنهاء الاعتداء على الأرض الزراعية وتحميل نفقات إعادة الأرض إلى سابق عهدها للزراعة بل وتحميل نفقات ذلك على المتعدين على هذه الأرض وفقًا للقاعدة المعروفة «من أفسد شيئًا عليه إصلاحه».

أكثر من مليون فدان فاقد الأرض الزراعية فى خمسين عامًا

وتشير تقارير ودراسات هيئة الاستشعار عن بعد وعلوم الفضاء فى دراساتها أنه خلال الخمسين عامًا الماضية فقدت مصر حوالى مليون وربع المليون من الفدادين الزراعية الخصبة فى الوادى والدلتا نتيجة الزحف العمرانى والصناعى تحت مسمى كردونات المدن على الرغم من أن الفجوة الغذائية المصرية التىَ تتجاوز نصف ما نستهلكه من طعام.

من الضرورى تفعيل قانون حظر البناء على الأرض الزراعية وتنفيذه بمنتهى القوة

ويؤكد التقرير أن أكثر من يؤكد قيمة الأراضى الزراعية هو الفلاح المصرى حيث روى هذه الأرض بعرقه وجهده وبالتالى فإن الأمر ليس بالهين عليه حين يزرع هذه الأرض بالخرسانة المسلحة بدلاً من الغذاء ويشعر وكأنه يدفن أجزاءً من جسده وذاته مع توارى هذا التراب تحت المبانى الخرسانية وهو لا يفعل ذلك إلا مضطرًا وتحت ضغوط أسرية شديدة الوطأة أو تحت ضغوط الفقر وإغراءات العروض السخية بمبالغ لم يكن يتصورها لذلك من الضرورى تفعيل التشريع الذى يجرم البناء والتعدى على الأراضى الزراعية مع المحكمة للمخالفين أمام محاكم أمن الدولة العليا حفاظًا وتقديسًا للأراضى

الزراعية كمصنع دائم لا ينضب للغذاء ومن الغريب أننا نجد الفراعنة قاموا بالبناء فى الصحارى القريبة من الوادى والدلتا ولم نجدهم أبدًا يبنون على أراضى الوادى والدلتا مهما كانت الأسباب وها نحن نجد المعابد والأهرامات والمقابر الفرعونية بقيت فى الصحارى القريبة من الوادى والدلتا.

التعدى على الأرض الزراعية قضية أمن قومى

واليوم ليس مقبولاً أن نضحى بمصدر إنتاج الغذاء وتقع تحت رحمة الأسواق الأجنبية بعد تفريطنا فى إنتاجنا المحلى ويتساءل كثير من الخبراء كيف نسمح بإهدار خمسين ألف فدان سنويًا من أرضنا الزراعية وبالتالى نفقد مليون فدان من زراعات الغذاء كل عشرين سنة ومعناه أن الأرض الزراعية ستختفى بنهاية هذا القرن ومن الضرورى أن يكون التوسع فى المساكن للريفيين رأسيًا وليس أفقيًا.

وفى ندوة عن قضايا السكان والتنمية تبين أن نصيب الفرد حاليًا من الأرض الزراعية والعمران بعد ٣٠ سنة سوف يكون ٨٠ مترًا فقط بما يشكل خطورة بالغة على مصادر الغذاء وأن الكثافة السكانية فى الدلتا حوالى أربعة آلاف نسمة فى الكيلو متر المربع وأنها سوف ترتفع إلى ٥١ ألف نسمة فى الكيلو متر المربع بسبب النمو المتصاعد فى عدد السكان وبالتالى تختفى الأرض الزراعية لذا ينبغى أن نفكر فى المستقبل ولا نفكر تحت أقدامنا فقط ولا نفاجأ بالتالى من السنوات فلا يعقل أن نتعامل مع الأرض الزراعية بهذا الأسلوب العدوانى بل يجب أن نرعاها ونستفيد بكل ذرة منها ونزيد إنتاجيتها حتى نحافظ على قوت هذا الشعب ولا سبيل لذلك إلا بحماية الأرض الزراعية من التعديات لنحمى أمننا الغذائى وقد أحسن الدكتور فاروق الباز عندما أدان فى إحدى محاضراته مؤخرًا ظاهرة التعدى على الأرض الزراعية مؤكدًا صعوبة تعويض خصوبة هذه الأرض مهما استصلحنا من الأراضى الزراعية.

فتوى دار الإفتاء عن الاعتداء على الأرض الزراعية

أكدت دار الإفتاء المصرية أن التعدى على الأرض الزراعية لا يجوز شرعًا لأن ذلك يؤدى إلى ضرر عظيم قد يهلك به الإنسان والحيوان، وأن التعدى على الأرض الزراعية عكس مراد الشرع الذى حث على الزرع والغرس ففى الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه **ما من مسلم يغرس غرس أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة** وأضافت الفتوى أن للحاكم تقييد المباح للضرورة العامة فإذا منع ولى الأمر البناء على الأرض الزراعية فله ذلك.

وختامًا: فإن الله جلت قدرته خلق للإنسان بيئة نظيفة وأرضًا طيبة وملائمة لصحته غير أن الإنسان بنهمه على الحياة وطلبه الاستزادة منها قد أحدث بالأرض الفساد فغير من الفطرة الطيبة للأرض الزراعية وهو ما أكده المحدثون بتلويث البيئة بل والإفساد فيها بالتعدى عليها وتلويثها بتغيير كونها من أرض سمراء إلى أرض صخرية بالتعدى عليها مما يعد نبذًا لما خلقه الله من أجله وهو التعمير لا الإفساد فى الأرض فالخالق العظيم قدر بميزان العليم القدير عناصر توازن الأرض التى خلقنا عليها وخلق لكل شىء ما يناسبه لصالح الإنسان الذى استخلفه فى الأرض ليصلح فيها ولكنه أفسد فيها وكان حريًا على ابن آدم أن يراعى حق الخلافة ويستمع لما أمر به من لدن رب العالمين وما أتى به رسله فسبحانه وتعالى جعل الأرض مهادًا والسماء بناءً. فهل من سبيل إلى حماية الكون من الإنسان وإلى حماية الإنسان نفسه مما يصنعه بنفسه من أضرار؟

لا مجال لخلاص الكون من هذا البلاء إلا بالعودة إلى منهج الله الذى قدمته رسالات السماء وعلى رأسها رسالة الإسلام الذى أعلن فى قرآنه ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (سورة هود الآية: ٦١).

فقدت مصر أكثر من مليون فدان فى الوادى والدلتا نتيجة الزحف العمرانى والصناعى

كفالة اليتيم ورعايته.. طريقك إلى الجنة

د. حامد أبو طالب:

الإسلام غرس فى نفوس المسلمين حب كفالة اليتيم ودعا بأسلوب شيق إلى الاهتمام به ورعايته

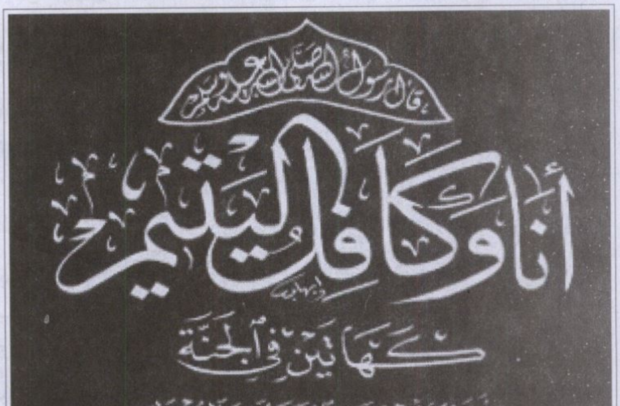

اعتنى الإسلام باليتيم عناية خاصة وأولاه من الاهتمام ما يكفل حقه فى العيش، ويستعيض به عن فقدان الأبوين أحدهما أو كليهما حتى إنه أنزل فى شأنه سورة الماعون قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ • فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ (سورة الماعون الآيتين: ١، ٢).

فكفالة اليتيم من الأمور التى حث عليها الشرع الحنيف وجعلها من الأمور التى تعالج أدواء البشر علاجًا ناجعًا، وبها يظهر المجتمع فى صورته الأخوية التى ارتضاها له الإسلام.

والحنو على اليتيم ورعايته من أعظم أبواب الخير التى حثت عليها الشريعة الإسلامية قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة الآية: ٢١٥) واليتيم عليه ألا يحزن فقد كان رسولنا ﷺ يتيمًا غير أنه حاز الكمال فى التربية برعاية ربه سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (سورة الضحى الآية: ٦) وقال ﷺ: «من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليه يده حسنات، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين»، ولأهمية هذا الموضوع المهم كان هذا التحقيق ■

تحقيق: محمد كامل شاهين

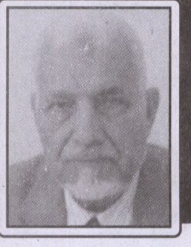

د. محمد نبيل غنايم:

منزلة اليتيم ومكانته فى الإسلام منزلة عالية وسامية ويظهر ذلك بوضوح فى مواضع كثيرة فى القرآن الكريم والسنة النبوية

منزلة سامية

وعن رأى علماء الدين فى كيفية الاهتمام باليتيم ومعاملته معاملة كريمة، يقول أ. د. **محمد نبيل غنايم** - الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة -: «منزلة اليتيم ومكانته فى الإسلام منزلة عالية وسامية يبين ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى مواضع كثيرة مثل كيفية التعامل معه والرفق به والإحسان إليه وحسن تربيته، وتدبير أمره ورعاية أمواله قال تعالى: **﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾** (سورة النساء الآية: ٦)، ففى الآية السابقة أمر إلهى باختيار اليتامى وتدريبهم على شئون أموالهم إلى سن البلوغ والرشد ثم تسليمهم إياها والإشهاد عليهم فالله سبحانه وتعالى رقيب على كل شىء.

فقد كان بعض الأوصياء فى الجاهلية يأكلون أموال اليتامى، ويستبدلون الخبيث من أموالهم بالطيب من أموال اليتامى، فنهى الله عز وجل عن ذلك وتوعدهم بالعقاب الشديد فقال سبحانه وتعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾** (سورة النساء الآية: ١٠) وقال أيضًا: **﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾** (سورة النساء: آية ٢)، وقال تعالى موضحا كيفية التعامل مع اليتامى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (سورة البقرة الآية: ٢٢٠).

أما عن التربية وحسن المعاملة لليتامى فقد جعل الله تعالى ذلك من صميم الدين، وجعل الإساءة إليهم والقهر لهم كما يحدث فى بعض دور الأيتام خروجًا عن الدين.

فقال سبحانه وتعالى: **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ • فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾** (سورة الماعون الآية: ١، ٢)، وفى اختيار الله عز وجل لرسوله محمد ﷺ أن يكون يتيمًا دلالة على عظمة مكانة اليتيم فى الإسلام، فقد أوصى الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ أن يحسن إلى اليتيم قال تعالى: **﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى • وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى • وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى • فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ • وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ • وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾** (سورة الضحى الآيات: ٦، ١١).

د. نبيل السمالوطى:

من الضرورى ألا تكون وظيفة الإشراف على دور الأيتام وظيفة روتينية بل رسالة إنسانية واجتماعية

ويقول الرسول ﷺ: «خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه» والنصوص فى ذلك كثيرة فى القرآن والسنة مما يبين لنا ويؤكد ذلك فى تشريعاتنا أن ما طالعتنا به أجهزة الإعلام المختلفة عما دار فى دار مكة للأيتام وغيرها من دور الأيتام الأخرى أمور بعيدة كل البعد عن الإسلام ويندى لها جبين المسلمين، ويستوجب على كل من يهمه الأمر أن يتخذ من هذه التصرفات المشينة مواقف إيجابية فى الإشراف على دور الأيتام فينعمون بذلك بالرعاية الكاملة والرقابة والمتابعة... إلخ».

أسلوب شيق

ويقول أ. د. **حامد أبو طالب** - عميد كلية الشريعة والقانون السابق والأستاذ بجامعة الأزهر -: «لا تجد نظامًا اجتماعيًا اهتم باليتيم كما اهتم به الإسلام، فالإسلام أشعل فى نفوس المسلمين حب كفالة اليتيم، ودعا بأسلوب شيق إلى الاهتمام به، والمطلعون على السنة يجدون أن رسول الله ﷺ بشر المهتمين بأمر اليتيم بأنهم بجواره مباشرة فى الجنة كما هو ظاهر من الحديث النبوى «**أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى**» وهذه المنزلة العظيمة لا يصل إليها إلا من اهتم بأمر اليتيم ورعايته، ومن شدة عناية الرسول ﷺ باليتيم أنه قال أيضًا: «**من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين**».

فكفالة اليتيم فى المجتمعات المسلمة يأتى بنتيجة رائعة فى رعاية الأطفال اليتامى ومساعدتهم، ومما يسر الفؤاد أن هناك قوائم بأسماء أهل الخير الذين ينتظرون فى قائمة طويلة تقدم أحد من اليتامى ليكفله قادر من هؤلاء القادرين.

سلوك مشين

ويعلق د. حامد أبو طالب على ما حدث فى إحدى دور الأيتام مؤخرًا من معاملة سيئة من قبل المشرف على الدار قائلا: «إن هذا سلوك مشين لا يرضى عنه الإسلام ولا المسلمين ويتنافى تماما مع الفطرة السوية للإنسان المسلم الذى يريد أن يتقرب إلى الله عز وجل بالمعاملة الحسنة لليتيم، فرعايته ليست مادية فحسب بل من جميع النواحى النفسية والاجتماعية والبدنية وغيرها، ولفداحة هذا الأمر الذى تم فى هذا الدار تحركت أجهزة الدولة بسرعة وألقت القبض على المشرف المسئول، كما قامت بإزالة ما حدث لهؤلاء اليتامى من ألم نتيجة قسوة هذا الشخص وغلظته، وجبر خواطرهم، ومسح دموعهم حتى يعودوا كما كانوا ينعمون بحياتهم فى هدوء ودعة.

عنف وإذلال

وعن رأى علم الاجتماع فيما حدث من قسوة وغلظة لمجموعة من الأطفال اليتامى فى إحدى دور الرعاية يقول د. **نبيل السمالوطى** ـ عميد كلية الدراسات الإنسانية الأسبق والأستاذ بجامعة الأزهر ـ: «إن ما شاهدته مصر فى الفيديو الذى عرض مؤخرًا ويتناول ما قام به المشرف على إحدى دور رعاية الأيتام من عنف وإذلال وإهانة لأبرياء فقدوا العائل والسند والتوجيه والإرشاد لا دخل لهم فيها، هذا المنظر المشين آذى مشاعر المصريين جميعًا لأنه يتصادم ليس فقط مع حقائق الدين الإسلامى أو المسيحى أو اليهودى أو الديانات الوضعية الأخرى كالبوذية والهندوسية ولكنه يتصادم مع المبادئ الإنسانية والفطرة السوية عند الناس جميعًا.

جريمة نكراء

ويضيف د. نبيل السمالوطى أن ما حدث جريمة بكل معنى كلمة جريمة صحيح أنها ليست من جرائم الحدود، ولكنها ترقى إلى هذا المستوى وبالتالى يجب أن ينال صاحبها أقصى درجات العقاب من خلال محاكمة عادلة معلنة لكى يكون رادعًا لغيره من ضعاف النفوس.

ويشير إلى أن ما عرض فى الفيديو ويظهر بعض ما خفى من حقائق بالنسبة لبعض مؤسسات دور الأيتام فى مصر، فهناك أكثر من ١٠ آلاف دار أيتام، ومليونا يتيم يقيمون فى هذه المؤسسات يعانى البعض منها من سوء المعاملة وسوء الفراش، ورداءة الأطعمة بالإضافة إلى الضرب والإهانة والغلظة فى التعامل .. إلخ.

ويشدد د. السمالوطى إلى أن ما شاهدناه فى الفيديو من ضرب بالأيدى والأرجل والإهانات والتعذيب الذى مارسه مدير الدار على هؤلاء الأطفال، وتم تصويره قدرًا يدل على أن بعض العاملين فى دور اليتامى ليسوا مؤهلين للقيام بالدور المنوط لهم سواء كان من الجانب الإنسانى أو الروحى أو الدينى أو التربوى .. إلخ.

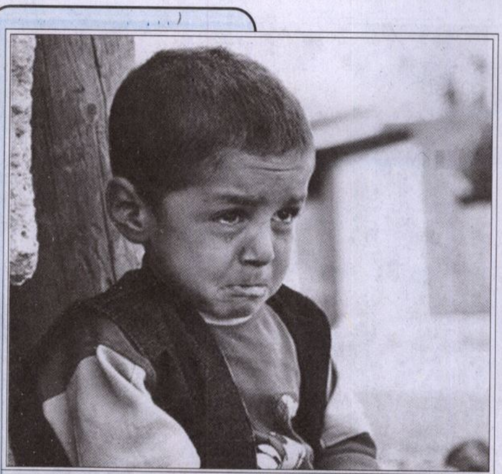

وطالب أن يكون المشرف فى هذه الدور متدينًا يتقى الله فى سره وعلانيته لديه صحة نفسية وبدنية جيدة ومؤهلا تأهيلا تربويا ومعرفيا بشكل جيد لأن يقوم بهذه المهنة الإنسانية فهو بديل للأب يتمتع بقلب عطوف يحنو على هؤلاء الأطفال الذين لا حول لهم ولا قوة فهذه المواصفات غير متوافرة فيمن يعمل فى بعض دور الأيتام.

ويؤكد د. السمالوطى إلى أن هناك حقيقة كبرى يجب أن يعيها الناس والمسئولون عن دور الأيتام، وهى أن الإيمان بالإسلام يرتبط مباشرة برعاية اليتيم والعطف عليه، أما الذى يمارس العنف ضد

اليتامى يخرج عن دائرة الإيمان، ويكفى فى هذا أن نرجع إلى قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ● فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ (الماعون: الآيتان ١، ٢)، فالذى يدع اليتيم فهو مكذب بالدين.

ومعنى ذلك أن إكرام اليتيم مدخل يقينى إلى الجنة.

وقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه أيضا: «**خير البيوت بيت فيه يتيم يكرم وشر البيوت بيت فيه يتيم يهان**».

هذا من المنظور القرآنى والسنة النبوية المطهرة، فرعاية اليتيم لها أبعاد روحية وإنسانية واجتماعية واقتصادية وغيرها.

فمن الناحية الاجتماعية: اليتيم مواطن له حقوق ومن أبسط حقوقه أن يكون له مأوى ولديه مشرفون وموجهون، وأن يتعلم فى مدرسة ويعالج علاجًا طبيًّا، وأن تراعى احتياجاته النفسية والاجتماعية وهذا ما يحدث لأطفالنا فى بيوتنا، فماذا عن الذين فقدوا آباءهم وأمهاتهم أو أحدًا منهما؟ فلابد من أن يلقى نفس الرعاية وهذا ما يحدث فى كل دول العالم المسلمة وغير المسلمة أن يلاقوا الرعاية والحماية والتوجيه والإرشاد من أفراد أو مؤسسات فى المجتمع لأنهم أصيبوا بمصائب لا دخل لهم فيها.

وإذا نظرنا إلى دور الرعاية الاجتماعية فى الغرب أو الشرق كاليابان والصين نجد التعامل الآمن والعطوف على فئة اليتامى حتى يشبوا أسوياء من الناحية النفسية ويكونوا مواطنين صالحين منتجين فى المجتمع هذا من الناحية الاجتماعية.

أما بالنسبة للجانب الاقتصادى: فعدد اليتامى فى مصر حوالى مليونى يتيم وثلاثة ملايين طفل شوارع، معنى ذلك أن هناك أكثر من ٤ ملايين طفل، فهذه القوة البشرية يجب أن تستثمر فى الإنتاج فإذا أهدرت كان معنى ذلك دمارًا للمجتمع، خاصة أن أهم عامل من عوامل الإنتاج العامل البشرى الذى يجب أن نعتنى به جيدًا.

ويؤكد د. السمالوطى أن الانطلاق من المنظور الإسلامى فى رعاية وحماية اليتامى يحقق كل هذه الأبعاد التربوية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية ويحولهم إلى مواطنين صالحين منتجين.

وطالب المؤسسات المسئولة عن دور الأيتام فى مصر بألا يكون الإشراف عليها وظيفة روتينية بل يجب أن تكون رسالة إنسانية واجتماعية حتى يتحقق الغرض منها بإذن الله.

هذه أبرز الرؤى التى جاءت على لسان كوكبة من العلماء الأجلاء الذين أدلوا بدلوهم فيما حدث مؤخرًا للأطفال اليتامى فى إحدى دور الرعاية من عنف وقسوة لا تمت إلى ديننا الحنيف بصلة والذى نادى بمعاملة اليتيم معاملة حسنة.

لذا حرص معالى الأستاذ الدكتور محمد مختار جمعة - وزير الأوقاف - أن يصدر بيانا يوضح عناية الإسلام باليتامى، وهذا نص بيان فضيلته:

وزير الأوقاف فى بيانه عن اليتيم :

أفضل كفالة لليتيم هى كفالته مع أمه

وقد أكد معالى الأستاذ الدكتور محمد مختار جمعة - وزير الأوقاف - فى بيان له أن الإسلام عنى بالأيتام عناية خاصة، فقال الحق سبحانه : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة : ٢٢٠).

فالإصلاح هنا أمر جامع لما يحتاج إليه اليتيم، فقد يحتاج إلى المال فيكون الإصلاح براّ وعطاءً ماديّا، وقد يحتاج إلى من يتاجر له فى ماله أو من يقوم على زراعته أو صناعته فيكون الإصلاح هو القيام بذلك، وقد لا يحتاج اليتيم إلى المال، إنما يحتاج إلى التقويم والتربية، فيكون الإصلاح هنا رعاية وتربية، وقد لا ينقصه هذا ولا ذلك، إنما تكون حاجته أشد ما تكون إلى العطف والحنو والإحساس بالأبوة، فيكون الإصلاح إشباع ذلك عنده.

وقد يكون الإصلاح فى تقويم زيغه أو اعوجاجه، فقد جاء أحد الناس يسأل النبى ﷺ: «ممّ أضرب يتيمى؟ فقال ﷺ: **«مما كنت ضاربًا منه ولدك»**، فالنبى ﷺ يطلب من السائل أن يعامل اليتيم معاملة ولده، فينظر إلى ما يصلحه ويقومه ويشد عضده، ومن هنا تلتقى البلاغة النبوية فى إيجازها ووفائها بالمراد مع النص القرآنى، وإن كان الحديث النبوى قد ركز على جانب واحد من جوانب الإصلاح، وهو التأديب والتقويم، فإن الإصلاح فى النص القرآنى هو الكلمة الجامعة لما يحتاج إليه اليتيم وما يصلحه، ويقول نبينا ﷺ: **«أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِى الْجَنَّةِ هَكَذَا»**، وأشار ﷺ بإصبعيه السَّبابة والْوُسْطَى.

ومع ذلك فإن أفضل وسيلة لإكرام اليتيم هو كفالته والإحسان إليه وهو بين أهله وذويه: أمه، أو أخته، أو جدته، أو عمته، أو خالته، أو عمه، أو خاله.

وبدراسة علمية عملية لإحدى الدُور التى كانت حتى العام الماضى تتبع وزارة الأوقاف كان متوسط تكلفة إقامة اليتيم أو اليتيمة يزيد على ألفى جنيه، لأن عدد المشرفين والمشرفات، والعمال والعاملات، والإداريين والإداريات، والمنتفعين والمنتفعات، كان أكثر من عدد الأيتام واليتيمات، ولو أننا أنفقنا ربع هذا المبلغ على اليتيم وأسرته معًا لتحسن حال الأسرة كلها، مما جعلنا نأخذ قرارًا بالإجماع على إلحاق هؤلاء الأيتام بأسرهم ورعايتهم ماديًا وتعليميًا، وهم بين أهليهم وذويهم.

ذلك أن فصل اليتيم عن أسرته له آثار نفسية واجتماعية سيئة على اليتيم وعلى أسرته معًا، حيث تشعر الأسرة بالعجز والإحباط، وشىء من العار أحيانًا، لبعد ابنها أو ابنتها عنها نتيجة عدم قدرتها على الإنفاق عليه أو عليها، كما أن كثيرًا من هؤلاء الأطفال لا يستطيعون بعد خروجهم من دُور الأيتام الانسجام مع الأسرة وضوابطها وطريقة حياتها، ويكون مصير بعضهم الانضمام إلى من يعرفون بأطفال الشوارع .

على أن أمر هذه الدُور يحتاج إلى إعادة تقييم من جهة، وإلى الرقابة والمتابعة المستمرة من جميع المؤسسات المعنية المالية والرقابية والإدارية والتربوية من جهة أخرى، للاطمئنان على أنها تؤدى دورًا يَصبُّ فى المصلحة الوطنية، حتى لا يتحول الأمر إلى متاجرة باسم الأيتام، أو كبار السن، أو المعاقين، أو ذوى الاحتياجات الخاصة .

وما حدث فى دار أيتام الهرم جرس إنذار يستوجب التنبه للأمر بشدة وسرعة، كما يستوجب إعادة تقييم عمل هذه الدُور .

أما ما يتصل بأمر اللقطاء فينبغى أن يكونوا فى دور رعاية متخصصة تحت إشراف كامل لمؤسسات الدولة، وبخاصة المؤسسات التربوية والمعنية بحقوق الطفل، وتحت إشراف أناس مدربين ومتخصصين.

رئيس الوزراء ووزير الأوقاف فى لمسة إنسانية بمستشفى الدعاة

رئيس الوزراء يثنى على لافتة الوحدة الوطنية بقسم الطوارئ

أنباء وأخبار

محمد سيد أحمد على الدين

فى لمسة إنسانية قام سعادة رئيس الوزراء المهندس/ إبراهيم محلب وكل من: معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة ووزير الصحة د/عادل العدوى والسيد محافظ القاهرة د/ جلال السعيد بزيارة تفقدية لمستشفى الدعاة للاطمئنان على سير العمل بها وعلى أحوال المرضى المحجوزين.

معالى رئيس الوزراء ووزير الأوقاف أثناء تفقدهما أقسام مستشفى الدعاة

لمسة إنسانية من معالى وزير الأوقاف لأحد المرضى

ومن جانبه أثنى دولة رئيس الوزراء المهندس / إبراهيم محلب على اللافتة التى وجدها بقسم الطوارئ مكتوبًا عليها ـ لا للإرهاب .. مسلم ومسيحى إيد واحدة ـ ، تأكيدًا من المستشفى على إنسانية دورها الطبى وعدم التفرقة بين المصريين على أساس الدين أو الجنس، وقال رئيس الوزراء: يسعدنى أن أجد هذا الفكر، وبخاصة داخل مستشفى الدعاة التابعة لوزارة الأوقاف، لتكون أنموذجًا لفقه التعايش والعيش المشترك بين أبناء الوطن جميعا.

كما طالب معالى وزير الصحة بربط المستشفى بمنظومة وزارة الصحة فى مجال الطوارئ، والحضانات، وغسيل الكلى، كما اطمأن على قيام المستشفى بتنفيذ برامج التأمين الصحى والعلاج على نفقة الدولة.

وفى لفتة إنسانية أمر رئيس الوزراء بعلاج إحدى النزيلات على نفقة الدولة عندما اشتكت إليه صعوبة ظروفها الاقتصادية، كما اطمأن بنفسه على قسم الطوارئ وقسم الأشعة وقسم الرعاية المركزة، وزار من به من المرضى.

الإمام الأكبر شيخ الأزهر:

مستعدون لمساعدة بروناى فى جميع المجالات الثقافية والدينية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر أ.د. أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، الدكتور/ ذو القرنين، رئيس جامعة بروناى، والوفد المرافق له.

وقد نقل الدكتور/ ذو القرنين، لفضيلة الإمام الأكبر، تحيات سلطان بروناى، معربا عن خالص شكره وتقديره لدوره فى خدمة قضايا الأمة الإسلامية، ورعايته لطلاب بروناى الدارسين بالأزهر، وعددهم ٢٠٠ طالب.

وطلب ذو القرنين من فضيلة الإمام الأكبر مساعدة الأزهر الشريف فى كتابة مصحف بروناى، وذلك بإرسال خبراء متخصصين فى مجال مراجعة المصاحف وتدقيقها، كما طلب من فضيلته تزويدهم بصور مخطوطات لأمهات الكتب من مكتبة الأزهر الشريف.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر قوة ومتانة العلاقات التى تربط الأزهر الشريف بسلطنة بروناى، وأعرب فضيلته عن سعادته بطلاب بروناى الدارسين بالأزهر الشريف، مبدياً استعداد الأزهر الشريف لتقديم يد العون والمساعدة لسلطنة بروناى فى جميع المجالات الثقافية والدينية.

فضيلة الإمام الأكبر أثناء استقباله الدكتور ذو القرنين رئيس جامعة بروناى والوفد المرافق له

الإمام الأكبر.. ما شاهدناه فى غزة من تشريد وقتل للأطفال والنساء وتدمير للمنازل والمساجد شىء فظيع لا تحتمله الضمائر الحية

وفد فلسطين: إنسانية الإمام الأكبر تجسيد للقيم الإسلامية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، وفدا يمثل الشعب الفلسطينى بمسلميه ومسيحييه على رأسه الدكتور/ ماهر خضير، قاضى المحكمة العليا الشرعية، وعضو هيئة العلماء والدعاة بالقدس الشريف.

وفى بداية اللقاء نقل الوفد إلى فضيلة الإمام الأكبر تقدير الشعب الفلسطينى بأسره، واعتزازه بمواقفه الوطنية والإسلامية، وإنسانيته التى تجسد القيم الإسلامية فى أبهى صورها وأجلِّ معانيها.

وقدر الوفد لفضيلة الإمام الأكبر مواقفه النبيلة فى مؤازرة الشعب الفلسطينى فى محنته ضد العدوان الصهيونى على غزة.

وقدم الوفد الشكر لفضيلته على ما قدمه من جهد وعطاء مادى ومعنوى لأهل غزة، وعلى قافلة الأزهر الشريف التى قام بها لإغاثة الشعب الفلسطينى، والتى كانت فى طليعة القوافل التى مدت يد العون لأهل غزة.

الإمام الأكبر:

يجب مقاومة الفكر المعوج بالفكر المستقيم الراشد

التقى فضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، بعددٍ من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر من أعضاء القوافل الدعوية الداخلية والخارجية بالأزهر.

وقد شدَّد فضيلته على ضرورة أن تجوب القوافل الدعوية من الأزهر كلَّ أرجاء المعمورة لنشر الوعى والفكر المستقيم بين الناس فى كلِّ مكان، مؤكدًا ضرورة مقاومة الفكر المعوجِّ بالفكر الوسطى المستقيم الراشد، الذى يتبنَّاه الأزهر الشريف عبر تاريخه الطويل.

وقد أجمع المجتمعون على الثمرات الكبيرة التى تجنيها هذه القوافل، من حب الناس وإكبارهم للأزهر الشريف ولشيخه الإمام الأكبر، الذى أثرت مواقفه العلمية والوطنية فى كل الشعب المصرى، وأوضحوا له حبَّ الجماهير الغفيرة للأزهر واشتياقهم لمزيدٍ من القوافل الدعوية، وتطلُّعهم إلى زيادتها وانتشارها فى المساجد والأندية والوزارات وجميع المصالح الحكومية؛ للإسهام فى نشر فكر الأزهر الوسطى المستقر فى ضمير ووجدان الشعب المصرى.

الإمام الأكبر يدين بشدة الهجوم الإرهابى على المصلين بمسجد مصعب بن عمير بديالة فى العراق

الإمام الأكبر أ.د أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، يدين بشدة الهجوم الإرهابى الجبان الذى قامت به الميلشيات الطائفية المتطرفة على المصلين الآمنين بمسجد مصعب بن عمير بديالة ، ويدعو المراجع الدينية إلى إدانة هذا العمل الإرهابى البغيض، والعمل على نشر ثقافة التسامح والوحدة بين أبناء الشعب العراقى.

وصول قافلة الأزهر الشريف إلى قطاع غزة؟

فى إطار مشاركة الأزهر للشعب الفلسطينى الشقيق فى همومه وقضاياه وصلت قافلة من الأزهر الشريف لإغاثة الشعب الفلسطينى الشقيق بقطاع غزة، والتى تحتوى على كمية كبيرة من الأدوية والمستلزمات الطبية الضرورية فى مجال الجراحة، وجراحة العظام، والحروق، وتحتوى كذلك على ما يقرب من ٤٠ طنّاً من المواد الغذائية الضرورية، وألبان الأطفال .

ويقوم وفد الأزهر المرافق للقافلة بتوصيل المواد التى تحملها القافلة من مواد طبية وإغاثية إلى شعبنا الفلسطينى فى غزة.

وزير الاوقاف :

زيارة شيخ الأزهر للقناة تؤكد الإجماع الوطنى على المشروع وتضفى عليه بعداً شرعيّا

ذكر معالى أ.د/ محمد مختار جمعة وزير الأوقاف أن زيارة فضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر لمشروع قناة السويس تؤكد الإجماع الوطنى على المشروع، وتضفى عليه بُعداً شرعيًا، فالاقتصاد هو الركيزة التى تَبنَى عليها الأوطان، فلا غذاء ولا دواء ولا سلاح دون اقتصاد قوى، وقوة مصر هى قوة للعرب والمسلمين جميعاً، فمصر هى القلب النابض للعروبة والإسلام، وهى درع الأمة وسيفها وصمام أمانها. ونركز فى زيارة فضيلة الإمام الأكبر على دلالتين:

الأولى: اصطحابه لمجموعة من علماء الأزهر ومجموعة أخرى من طلابه فى المراحل التعليمية المختلفة، بما يرمز إلى أن هذا المشروع هو مشروع الحاضر والمستقبل معًا.

الأخرى: دعوة فضيلة الإمام الأكبر الصريحة والواضحة لجميع المصريين إلى الإسهام بقوة فى هذا المشروع، وشراء شهادات الاستثمار المخصصة له، مما يقطع الجدل ويحسم الخلاف حول حكم هذه الشهادات، وقد أكدنا فى بيان سابق أن إعلان البنوك المصرية عن استعدادها لتمويل المشروعات الاقتصادية الوطنية الكبرى يعد خطوة هامة على الطريق الصحيح، وفى تصحيح مسارها الاستثمارى، وهى خطوة هامة تستحق الإشادة والتقدير.

الإمام الأكبر يدعو جميع المصريين لدعم مشروع قناة السويس الجديدة

وزير الأوقاف

صمت العالم عن انتهاكات اليهود وداعش طامّة إنسانية

لا شك أن صمت العالم عن المجازر الوحشية البربرية التى يقوم بها العدو الصهيونى ضد الآمنين بغزة وفلسطين كلها، مع هدمه للمساجد واقتحام بعض اليهود للمسجد الأقصى فى همجية غير مسبوقة، وكذلك صمت العالم بمؤسساته الرسمية والمدنية عن أعمال داعش الإرهابية يعد طامة إنسانية كبرى، تستدعى وقفة جدية أمام الضمير الإنسانى...

مع تأكيدنا أن مصر لم ولن تتخلى عن قضية الشعب الفلسطينى، والدفاع عن حقوقه المشروعة، وأن وفداً شعبيًا فلسطينيًا قد زار فضيلة الإمام الأكبر هذا الأسبوع ليوجه الشكر لمصر ولفضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر لوقوف مصر والأزهر الشريف إلى جانب الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فى مواجهة الغطرسة الإسرائيلية غير المسبوقة، والتى نتجت عن فرقة الأمة العربية وتشتت كلمتها، وكما قال فضيلة الإمام الأكبر: لو كنا على قلب رجل واحد ما وصل العدو الصهيونى إلى هذا الصلف والاستعلاء، ولما عاث الإرهاب الأسود فى منطقتنا العربية بهذه الصورة الوحشية الهمجية.

وزير الأوقاف فى زيارة تفقدية مفاجئة للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قام معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة بزيارة تفقدية مفاجئة للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، حيث التقى أ.د / أحمد على عجيبة أمين عام المجلس، والعاملين بالمجلس ، وناقش مع أ.د/ أحمد عجيبة خطة المجلس للمرحلة المقبلة، واعتمد موسوعة التاريخ الإسلامى، و قدم لها مقدمة علمية، والتى سيصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ضمن سلسلة الموسوعات التي أصدرها، مؤكدا فيها أن الحضارة الإسلامية حضارة عظيمة، فهى حضارة بناء لا هدم، ولم يعرف التاريخ حضارة كانت أكثر استيعابًا وتقديرًا للحضارات الأخرى وعلومها ومعارفها، والعمل على ترجمتها، والإفادة منها، دون تحقير أو تهوين، مثل حضارة الإسلام السمحة التى فتحت الباب واسعًا أمام غير المسلمين لتقلد مناصب مهمة فى الدولة الإسلامية، وبخاصة فى مجالات الدواوين، والكتابة، والمال، ناهيك عن إفساح المجال العلمى لهم فى الطب والصيدلة والفلك والرياضيات وسائر العلوم التى حرص حكام المسلمين وولاتهم على العناية بها حرصهم على العلوم الشرعية أو أشد .

رسالة الأوقاف الأسبوعية للعالم بتسع لغات

تفعيلا لدور ورسالة الأوقاف داخل مصر وخارجها، عبر لجنة اللغات بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية تبث وزارة الأوقاف على موقعها وموقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية رسالة أسبوعية بتسع لغات ابتداء من ذى القعدة ١٤٣٥هـ، إسهامًا منها فى نشر الفكر الإسلامى الصحيح، وتصحيح صورة الإسلام، وإبراز أوجه العظمة فى حضارته، والتأكيد على أن ما يصدر عن الجماعات الإرهابية المتطرفة لا علاقة له بالإسلام، والإسلام منه ومنهم براء، مع إبراز القيم الإنسانية المشتركة، والعمل على تأصيل منهج التعايش السلمى بين الأديان والحضارات المختلفة، فى ضوء تكامل الحضارات لا تصادمها، وفى إطار الاحترام المتبادل بين الأفراد والأمم والشعوب بعيدًا عن محاولات الهيمنة أو نظرات الاستعلاء.

علمًا بأن هذه هى البداية، وسنتوسع مستقبلا فى عدد اللغات التى نُبلّغ بها رسالتنا الوسطية السمحة للعالمين.

فى مسابقة ذوى الاحتياجات الخاصة والإعاقة الذهنية

وزير الأوقاف ووكيل الأزهر يكرمان الفائزين فى المسابقة المحلية لحفظ كتاب الله والفائزين بمسابقة الدراسات والبحوث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

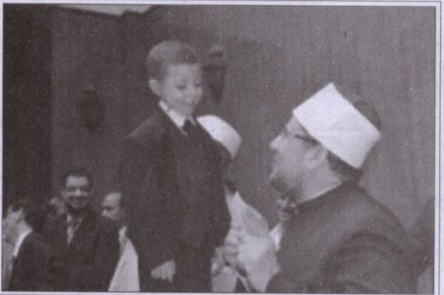
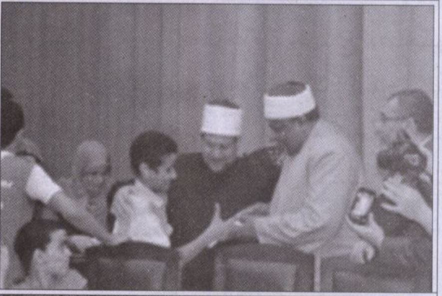

قام معالى أ.د/ محمد مختار جمعة وزير الأوقاف، و أ.د/ عباس شومان وكيل الأزهر، و أ.د/ أحمد عجيبة الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وفضيلة الشيخ / محمد عبد الرازق رئيس القطاع الدينى ووكيل أول الوزارة بتكريم الفائزين فى مسابقة الدراسات والبحوث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف، وفاز بها لأول مرة بالمركز الأول إمام وخطيب من وزارة الأوقاف وهو الشيخ محمد رجب محمد مصطفى.

كما كرّم معاليه الفائزين فى مسابقة الإعاقة الذهنية وذوى الاحتياجات الخاصة للقرآن الكريم، وفى المسابقة المحلية للقرآن الكريم لعام ١٤٣٥هـ.

وقد عبر الحضور عن بالغ سعادتهم، وقد غمرت السعادة الفائزين وعلت وجوه أولياء أمورهم الفرحة.

وعلى هامش اللقاء أرسل معالى وزير الأوقاف رسائل موجزة أهمها: أن ما كان يخطط لمصر هو ما يحدث الآن فى ليبيا وسوريا والعراق، وأن مصر هى الصخرة التى ستتحطم عليها همجية التتار الجدد، وستتكسر على أبوابها أطماع الاستعمار الجديد ونحن جاهزون للشهادة.

وشدد معالى وزير الأوقاف، فى كلمته على أنّ رجال الأزهر والأوقاف مستعدون للشهادة دون وطنهم ودينهم، ولن يُسمح لقوى الاستعمار أن تسيطر على المنطقة وأننا قادرون على دحر التتار الجدد.

وأنه مالم تتنبه الأجهزة المعنية لمتابعة تمويل بعض الجمعيات وأنشطتها فإن أموال ومقار هذه الجمعيات ستكون ظهيراً خلفياً لبقايا الإخوان فى الانتخابات القادمة.

ومن جانبه أشاد الدكتور/ عباس شومان وكيل الأزهر بمعالى وزير الأوقاف، فقد تغير شكل الوزارة إلى الأفضل، كما طالب حفظة القرآن بضرورة مواصلة حفظ كتاب الله، وأنه يرغب فى أن يرى انعكاس حفظ القرآن على تصرفات الشباب الذين تم تكريمهم اليوم.

وأضاف أ.د/ شومان فى كلمته أنّ الوزارة قطعت شوطًا طويلًا نحو التّصدى للتطرف الذى يفسد المجتمعات ولا يؤمن بالآخر ، ولا بالتعددية الفكرية،كما قطعت شوطًا كبيرًا فى نشر الإسلام الوسطى المعتدل وأنه يلاحظ تطوراً كبيراً وتقدمًا ملحوظًا فى أدائها، حيث الاهتمام بالقرآن الكريم والحافظين له، معربًا عن سعادته بالنشء الصغير الذى يحفظ كتاب الله، متمنيًا أن ينعكس حفظهم على سلوكياتهم وأخلاقهم وهو المرجو من الحفظ. وأن شكل الوزراة تغير كثيرًا إلى الأفضل.

وزير الأوقاف يترأس لجنة لدراسة قضايا التجديد وفقه المستجدات بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وزير الأوقاف أثناء اجتماعه واللجنة المشكلة لدراسة فقه المستجدات

ترأس أ.د/ محمد مختار جمعة وزير الأوقاف اللجنة العلمية المشكلة لدراسة فقه المستجدات وما يُثار من قضايا عصرية يحتاجها مجتمعنا فى واقعه المعاصر.

حضر اللقاء فضيلة أ.د/ شوقى علام مفتى الجمهورية ونخبة من السادة كبار العلماء بالأزهر الشريف ووزارة الأوقاف ومجمع البحوث الإسلامية والإدارة العامة لبحوث الدعوة منهم: أ.د/ أحمد على عجيبة عميد كلية أصول الدين بطنطا والأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وأ.د/ حامد أبو طالب عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف وأ.د/عبد الله النجار عضو مجمع البحوث الإسلامية، وأ.د/ بكر زكى عوض، وأ.د/ عبد الستار الجبالى، وأ.د / صبرى عبد الرؤوف، وأ.د/ محمد أبو زيد الأمير، والشيخ أحمد ترك وبعض قيادات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وذلك لمناقشة القضايا التى تتطلبها المرحلة الحالية وتحتاج إلى شجاعة التجديد فى ضوء فهم الواقع، ومراعاة المكان والزمان فى ضوء ثوابت الإسلام.

وزير الأوقاف يتلقى خطابى شكر من المركز الإسلامى بلندن ورئيس مجلس شورى المفتين بروسيا الاتحادية

تلقى معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة خطاب شكر من الدكتور/ أحمد الدبيان رئيس المركز الثقافى الإسلامى بلندن، وذلك على الجهد الكبير الذى تقوم به وزارة الأوقاف فى نشر الفكر الوسطى داخل مصر وخارجها، وعلى دعم المسلمين فى كل مكان بالعلماء والقراء مع شكر خاص على إيفاد كل من :

١- الشيخ / الشحات شاهين .

٢- الشيخ / محمد محمود عصفور .

كما تلقى معالى الوزير خطاب شكر أيضًا من فضيلة الشيخ/ راوى عين الدين رئيس مجلس شورى المفتين لروسيا الاتحادية، وذلك على إيفاد الشيخ / على بشارى قاسم السمان واعظًا خلال شهر رمضان الكريم، كما أشاد فضيلته بدور مصر ومؤسساتها المعطاءة التى تحض على الخير، وتعين على نشر العلوم الربانية فى وسطية واعتدال وفق سماحة الإسلام وحضارته الراقية .

خادم الحرمين الشريفين :

مصر قادرة على صد التتار الجدد

لاشك أن دعوة خادم الحرمين الشريفين لمكافحة الإرهاب تستحق التقدير والتفعيل، كونها تأتى تعبيرا عن الإدراك الكامل لواقع الإرهاب وخطورته، وكونها صادرة من شخصية فى وزن وثقل خادم الحرمين الشريفين تزن كلامها بدقة، وتعى ما تقول، ومتى تقول، وتدرك حجم التحديات وموازين القوى.

لقد ظللنا لفترة طويلة من مواجهتنا للإرهاب نشعر بالوحدة فى تلك المواجهة الصعبة، غير أننا لم و لن نيأس، ولم نقنط من رحمة الله يوما ما، وكنا وما زلنا على يقين من أن مواجهة الإرهابيين واجب شرعى وقومى وعربى ووطنى، لأنه خطر داهم يهدد بنيان الأمة العربية كلها، بل إن شئت فقل إنه مصنوع ومدفوع وممول قصداً لتفتيتها وتمزيقها، وصنع ما لم يستطع الاستعمار أن يفعله بها.

وها نحن نمد أيدينا لكل المخلصين من أمتنا العربية، لنقف صفا واحدا فى مواجهة قوى الإرهاب والظلام، فى وجه العملاء والخونة والمأجورين، نذود عن حمى أرضنا ووطننا وأمتنا العربية وكرامتها، مؤكدين أن مصر بفضل الله تعالى كما صدت همجية التتار وغزوات الصليبيين قادرة بفضل الله وحده، ثم بإيمانها بقيم العدل والسلام معا،ثم بفضل قواتها المسلحة الباسلة على صد همجية التتار الجدد، غير أن وقوف أشقائها العرب، وعلى رأسهم المملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات العربية المتحدة، ودولة الكويت، إلى جانبها وقفة رجل واحد فى هذه المواجهة الصعبة يمكن أن يقصر أمد المواجهة ويقلل من كلفتها على الأمة كلها، وينقذ أوطاننا وأمتنا العربية من خطر داهم محدق، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

وإننا نؤمل فى استجابة الحكماء والعقلاء السريعة لدعوة خادم الحرمين الشريفين حتى لا نقع فيما حذر منه الشاعر العربى حين قال :-

ولقد نصحتهم بمنعرج اللوى

فلم يستبينوا النصح إلا ضحى غد

المجلس الأعلى للأزهر برئاسة الإمام الأكبر يقرر منح الدكتوراه الفخرية لخادم الحرمين الشريفين

بناءً على الاقتراح الذى قدَّمَه أ.د/ محمد عبدالشافى، القائم بعمل رئيس جامعة الأزهر، قرَّر المجلس الأعلى للأزهر اليوم برئاسة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، على منح الدكتوراه الفخريَّة لخادم الحرمين الشريفين الملك/ عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، تقديراً من الأزهر الشريف لمواقف خادم الحرمين الشريفين فى خدمة الإسلام والمسلمين، ومواقفه الجلية والجليلة تجاه مصر والوطن العربى والمسلمين فى كل المجتمعات.

رابطة «خريجى الأزهر» تطالب العالم الإسلامى بمواجهة تنظيم «داعش» بالفكر الوسطى

فى إطار جهود الرابطة العالمية لخريجى الأزهر بمواجهة الأفكار المتطرفة ونشر صحيح الإسلام، وبناء على توجيهات فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب - شيخ الأزهر - أقامت فروع الرابطة بالخارج عدة أنشطة وفعاليات، كما أصدرت عدة بيانات حذرت فيها من مخططات صهيونية تهدف لتفتيت الأمة عن طريق الأفكار المتطرفة والعنف والقتل والإرهاب، مؤكدة أن ما يحدث فى العراق ونيجيريا وأفغانستان وغيرها من البلدان يُعد جزءًا من هذه المخططات، وقالوا إن التنظيمات الإرهابية التى تنتشر فى البلدان الإسلامية تحت مسميات مختلفة كداعش فى بعض البلدان العربية وطالبان فى آسيا وبوكو حرام فى نيجيريا لا علاقة لها بالإسلام، بل هى صناعة يهودية تحت مسميات مختلفة تتغير على فترات متباعدة من بلد إلى آخر.

ودعت فروع الرابطة بباكستان والصومال والمملكة المتحدة العالم الإسلامى إلى المواجهة الحقيقية لهذه المخططات بنشر صحيح الدين الإسلامى ودعم الفكر الأزهرى الوسطى باعتباره حائط الصد ضد هذه التنظيمات الإرهابية ومخططاتها .

من جانبه، قال رئيس فرع رابطة خريجى الأزهر بباكستان الشيخ صاحب زاده عزيز محمود الأزهرى أن تنظيم داعش الإرهابى هو مخطط صهيونى يهدف إلى قتل المسلمين وسفك دمائهم واغتصاب النساء والبنات.

وطالب الشيخ صاحب زاده العالم الإسلامى بالتمسك بالفكر الأزهرى الوسطى المعتدل ونشره لمواجهة مثل هذه التنظيمات المتشددة، مؤكدًا أن فروع الرابطة استطاعت مواجهة الأفكار المتشددة والمتطرفة بفكر الأزهر المعتدل.

على صعيد متصل، استنكر شيوخ وقبائل منطقة «قرضوا» بولاية «بونت لاند» بالصومال موجة العنف التى تجتاح العالم الإسلامى، مؤكدين أن التمسك بالفكر الأزهرى يجنب البلدان المختلفة الكوارث الإرهابية التى حلت بهم.

وقال رئيس فرع الرابطة بالصومال،عبد الولى

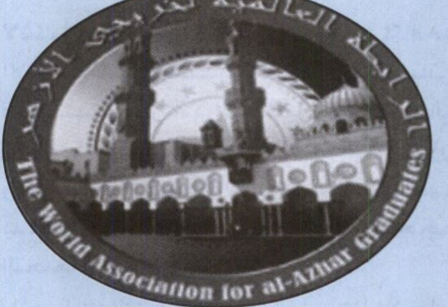

سعيد برى: إن شيوخ القبائل أكدوا فى بيان لهم أن الإسلام برىء ممن يتخذون الدين ستارًا لهم فى قتل الأبرياء من المسلمين وغيرهم، ودعا الموقعون على البيان الشباب إلى اجتناب هؤلاء الإرهابيين الذين خرجوا عن الوحدة واتجهوا إلى طريق الدمار والخراب.

من جانبه، وجَّه الشيخ محمد إمداد حسين بيرزاداه رئيس فرع الرابطة العالمية لخريجى الأزهر بالمملكة المتحدة نداءً إلى شباب العالم الإسلامى خاصة فى بريطانيا إلى عدم الانجراف نحو الأفكار المتطرفة، مؤكدًا أن الفترة الأخيرة شهدت انتشار صورة مشوهة عن بعض مفاهيم الإسلام، خاصة مفهومً الجهاد .

وقال بيرزاده إن الإسلام أسلوب حياة للتوازن والوسطية التى يكمن بداخلها الكرامة والسمو، ويتناقض الإسلام بشكل قاطع مع أى من أشكال التطرف والعنف والقتل والإرهاب، مؤكدًا أن من يحيد عن هذا الطريق ويتجه للتطرف فى الفكر والسلوك فهو بذلك يخرج من الدين الإسلامى الحنيف، مشيرًا إلى أن القرآن الكريم وصف الأمة الإسلامية بأنها أمةٌ وسطٌ، ومن ثَم فهى أمة سامية ورفيعة الشأن.

ودعا رئيس فرع الرابطة بالمملكة المتحدة المسلمين فى بريطانيا خاصة الشباب إلى اتباع مبادئ الدين الذى وصفها بالذهبية، وعدم الوقوع تحت طائلة التطرّف، والسير على نهج الرسول عليه الصلاة والسلام فى القول والفعل والمساهمة بإيجابية داخل المجتمع وبأن يكونوا سفراء للإسلام على أحسن وجه .

المشروعات الاقتصادية الكبرى بين الأمل والعمل

خطبة الجمعة بتاريخ ٣ ذى القعدة ١٤٣٥هـ - ٢٩/٨/٢٠١٤م

أولا العناصر:

١ - القرآن والسنة مُفعمَان بالعمل.
٢ - الأمل بلا عمل أمان كاذبة.
٣ - قيمة العمل فى الإسلام.
٤ - محاربة الإسلام لليأس والكسل.
٥ - أهمية دعم المشروعات الكبرى.

ثانيًا: الأدلة

الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿قل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣).

٢ - وقال تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف ٨٧).

٣ - وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف ١١٠).

٤ - وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف ١١٠).

٥ - وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك ١٥).

٦ - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ● فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ الله وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة ٩-١٠).

الأدلة من السنة:

١ - عن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا» (أخرجه البخارى).

٢ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى

قال رسول الله ﷺ:

« إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها »

يَغْرِسَهَا فَليغرسها» (الأدب المفرد) .

٣ ـ وعن عائشة (رضى الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ**» (رواه البيهقى فى الشعب) .

٤ ـ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**» (أخرجه مسلم).

٥ ـ وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال: سئل النبى ﷺ عن أطيب الكسب قال: «**عمل الرَّجُل بِيَدِهِ وكلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ**» (أخرجه أحمد) .

٦ ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ**» (أخرجه البخارى).

لا تملك الأمم كلمتها ولا إرادتها إلا إذا عمل أبناؤها على رقيها ونهضتها

ثالثا: الموضوع

الحياة مفعمة بالأمل ، فلا يأس مع الحياة، ولا حياة مع اليأس، والعاقل يجد لكل عقدة حلاّ أو يحاول على أقل تقدير، والأحمق يرى فى كل حل مجموعة من العقد المتشابكة، وبما أن صحيح الشرع لا يمكن أن يتناقض مع صحيح العقل ،لأن التشريعات موجهة لمصالح العباد ،فقد عدّ العلماء اليأس والتيئيس من رحمة الله (عزّ وجلّ) من الكبائر ،ويقول الحق سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم عليه السلام فى حواره مع الملائكة وقد بشّروه بإسحاق عليه السلام: ﴿**قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَى أَن مَّسَّنِىَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ • قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ • قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ**﴾ (الحجر: ٥٤: ٥٦)، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا قال: يارسول الله ما الكبائر؟ قال ﷺ: «**الشرك بالله والإياس من روح الله والقنوط من رحمة الله، من وقاه الله إياها وعصمه منها ضمنت له الجنة**» (رواه البزار والطبرانى فى الأوسط) .

وهذا يعقوب عليه السلام يقول لولده: ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (يوسف ٨٧)، ويقول الحق (سبحانه وتعالى): ﴿**قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ (الزمر :٥٣)، فلا ييأس مذنب من العفو،لأن الله عزّ وجلّ فتح باب التوبة واسعًا، وفى الحديث القدسى عن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِىْ وَرَجَوْتَنِىْ غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِىْ، يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِىْ غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِىْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِىْ لاَتُشْرِكُ بِىْ شَيْئًا**

﴿لَأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً﴾ (أخرجه الترمذى) .

ولا ييأس مريض من عدم الشفاء مهما كان مرضه عضالاً، فعليه أن يأخذ بأسباب التداوى مع التعلق بالله فى الشفاء ،ولنا فى أيوب عليه السلام أسوة، يقول الحق (سبحانه): ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ • فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣: ٨٤)

وإن كنت عقيما لا تنجب فلا تيأس من رحمة الله وفيض عطائه، فهذه امرأة إبراهيم عليه السلام عندما بشرتها الملائكة بالولد على كبر سنها تقول: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ • قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (هود ٧٢ : ٧٣) .

وإن كنت فى حالة من ضيق اليد فاعلم أن فقير اليوم قد يكون غنى الغد، وغنى اليوم قد يكون فقير الغد، والأيام دول، وأن الله (تعالى) إذا أراد للعبد شيئًا أمضاه له ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس ٨٢)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (فاطر:٢).

ومهما تكن اللحظات العصيبة فى حياتك فتعلق بحبل الله (عز وجل)، فهذه مريم (عليها السلام) عندما أظلمت الدنيا فى عينيها ولم تجد ملجأ من الله إلا إليه قالت: ﴿يَا لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ (مريم :٢٣) فكان الغوث والرحمة فى قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا• وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا • فَكُلِى وَاشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِى إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ (مريم ٢٤ : ٢٦). وهذا يونس عليه السلام عندما التقمه الحوت لجأ إلى الله (عز وجل) واستمسك بحبله

كانت الرحمة والنجاة حاضرتين، ويقول الحق سبحانه: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِى الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ • فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧-٨٨) .

غير أن الأمل بلا عمل أمل أجوف، وأمانٍ كاذبة خاطئة، وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقنى وقد علمت أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة»، ولا يكفى مجرد العمل، إنما ينبغى أن يكون العمل متقنًا، فعن عائشة (رضى الله عنها) أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ»، ويقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف :٣٠)، فالإسلام لم يدعُ إلى العمل، أى عمل فحسب، وإنما يطلب الإجادة والإتقان، وذلك مع ضرورة مراقبة الله عز وجل فى السر والعلن، فإنه من الصعب بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن نجعل لكل إنسان حارسًا يحرسه، أو مراقباً يراقبه، وحتى لو فعلنا ذلك فالحارس قد يحتاج إلى من يحرسه، والمراقب قد يحتاج إلى من يراقبه، ولكن من السهل أن نربى فى كل إنسان ضميرًا حيّا ينبض بالحق ويدفع إلى الخير لأنه

يراقب من لا تأخذه سنة ولا نوم، وفى حديث جبريل الطويل حين سأل النبى ﷺ عن الإحسان قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**» (متفق عليه).

وللتأكيد على أهمية العمل دعانا الإسلام إلى أن نعمل إلى آخر لحظة من حياتنا حتى لو لم ندرك ثمرة هذا العمل، وما ذلك إلا لبيان قيمة العمل وأهمية الإنتاج للأفراد والأمم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَليغرسها**» (الأدب المفرد). كما دعا القرآن الكريم إلى العمل وجعله فى مصاف العبادات فقد نادانا الحق سبحانه إلى صلاة الجمعة ـ هذه الشعيرة العظيمة ـ بأمر ثم صرفنا إلى العمل بأمر مساو له حيث يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (الجمعة: ٩:١٠) وكان سيدنا عراك ابنُ مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: «اللهم إنى أجبت دعوتك وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتنى، فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين» (تفسير ابن كثير)، وإذا كان الإسلام يدعو إلى العمل والإنتاج فإنه يرفض ـ وبشدة ـ البطالة والكسل والتسول ـ لأن ذلك من أسباب تأخر البلاد وهلاك العباد وقد كان النبى ﷺ يستعيذ بالله من العجز والكسل، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**» (أخرجه مسلم).

العمل يتطلب الإجادة والإتقان مع ضرورة مراقبة الله فى السر والعلن

ومن ثم كان ترغيب الرسول ﷺ فى العمل ونهيه عن البطالة والكسل فعن أبى هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «**لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ**» (أخرجه البخارى)، وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال سئل النبى ﷺ عن أطيب الكسب قال: «**عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وكلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ**» (أخرجه أحمد).

وعن المقدام رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**» (أخرجه البخارى).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لا تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَلا الصِّيَامُ وَلا الْحَجُّ وَلا الْعُمْرَةُ، قَالُوا: فَمَا يُكَفِّرُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْهُمُومُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ**» (أخرجه الطبرانى).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله** ـ وأحسبه قال ـ **وكالقائم لايفتر وكالصائم لا يُفطر**» (متفق عليه).

إن مما يدفع إلى الأمل ويتطلب الجهد والعمل لصالح الدين والوطن، والفرد والمجتمع تلك المشروعات الكبرى كمشروع قناة السويس، ومشروع توشكى وشرق العوينات، ومشروع تنمية الساحل الشمالى وتنمية سيناء.

وما كل ذلك إلا للتأكيد على أهمية العمل والإنتاج، إذ إن الأمم لا تملك كلمتها ولا إرادتها إلا إذا عمل أبناؤها جميعا على رقيها ونهضتها، واستطاعت أن تنتج طعامها وشرابها وكساءها ودواءها وسلاحها، وسائر مقومات حياتها، ولن يكون ذلك إلا بالعلم والعمل والتخطيط الجيد.

ماذا قبل الحج؟

خطبة الجمعة بتاريخ ١٠ ذى القعدة ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤/٩/٥م

أولا - العناصر:

١ - الإخلاص وتطهير القلوب.
٢ - المبادرة إلى التوبة النصوح.
٣ - تحرى المال الحلال.
٤ - أداء الديون .
٥ - نبذ الخلاف والفرقة.
٦ - التعجيل بحج الفريضة .
٧ - قضاء الحوائج وتقديمه على حج النافلة وعمرة النافلة .

ثانيا - الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١ - يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٧).

٢ - ويقول تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ • لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٧: ٢٨)

٣ - ويقول تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠).

٤ - ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِى اللَّهُ النَّبِىَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم: ٨).

٥ - ويقول تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).

الأدلة من السنة والآثار:

١ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ النَّبِىُّ ﷺ: أَىُّ الأَعْمَالِ

أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «جِهَادٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ» (أخرجه البخارى).

٢ - وعن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) قال : قَالَ لى رسول الله ﷺ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» (أخرجه مسلم).

٣ - وعن أبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (أخرجه البخارى).

٤ - وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» (متفق عليه).

٥ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلاً وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِى، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ» (متفق عليه).

٦ - وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون: ٥١)، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢)، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِىَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟» (أخرجه مسلم).

٧ - وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ» (أخرجه البخارى).

٨ - وعَنْ أَبِى أَيُّوبَ الأَنْصَارِىِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِى يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ» (متفق عليه).

٩ - وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ» (صحيح مسلم).

فى الحج مغفرة الذنوب وتكفير السيئات وإجابة للدعوات وسكب العبرات ومشاهدة المنافع والخيرات

الموضوع :

إننا فى هذه الأيام المباركة مقبلون على عبادة من أعظم وأجل العبادات، فأفئدة المؤمنين الصادقين تهوى إلى حج بيت الله الحرام، حيث مغفرة الذنوب وتكفير السيئات، وإجابة الدعوات، وسكب العبرات، ومشاهدة المنافع والخيرات، فيا لها من طاعة، ويالها من عبادة تستهوى القلوب والعقول، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٧)، فالحج فيه مشاهدة منافع دنيوية من تجارة ليس فيها خسران، ومنافع أخروية من مغفرة ورضوان، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ● لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٧-٢٨)، كما أنّ الحج من أفضل الأعمال، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ النَّبِىُّ ﷺ: أَىُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «جِهَادٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ»

قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**»، والحج يهدم ما قبله من الذنوب والسيئات، فعن عمرو بن العاص رضى الله هنهما قال: قَالَ لى رسول الله ﷺ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**»، وعن أبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»، والحج المبرور سبب فى دخول الجنة فعَنْ أَبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ**»، ومن عظمة الإسلام ومراعاة التيسير فى التكاليف الشرعية، ومن فضل الله تعالى على عباده أن جعل هذه الفريضة مرة واحدة فى العمر، فعَنْ أَبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا**»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ الله؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلاثًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ**»، ثُمَّ قَالَ: «**ذَرُونِى مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**»، فالحج يجب على كل مسلم مستطيع يملك الزاد والراحلة قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾ (آل عمران: ٩٧) فعلى من صدقت نيته ووفقه الله عزّ وجلّ لأداء هذه الفريضة أن يخلص لله عزّ وجلّ لأن العبادات بما فيها الحج لا تكون صحيحة إلا إذا كانت موافقة لشرع الله، ولا تكون مقبولة إلا إذا كانت خالصة لوجهه عزّ وجل، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ (الكهف: ١١٠). قال ابن كثير - رحمه الله -: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ**﴾ أَيْ: ثَوَابَهُ وَجَزَاءَهُ الصَّالِحَ، ﴿**فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا**﴾، أي: مَا كَانَ مُوَافِقًا لِشَرْعِ اللَّه ﴿**وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ وَهُوَ الَّذِى يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَانِ رُكْنَا الْعَمَلِ الْمُتَقَبَّلِ، لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِلَّه، صَوابًا عَلَى شَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ، قال الفضيل بن عياض (رحمه الله): «إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا؛ والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة»، ولأهمية الإخلاص فى العبادة أمر الله عز وجل نبيه ﷺ به فقال: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**﴾ (الزمر: ٢) أَىْ: فَاعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، فعلى الحاجّ أن يخلص فى حجّه لله تعالى ويطهر قلبه من كل ما يخالف الإخلاص وينافيه من رياء وسمعة وعجب وتكبر وغرور، فعَنْ أَبِى مُوسَى الأشعرى رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَىُّ ذَلِكَ فِى سَبِيلِ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِىَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِى سَبِيلِ الله**» (متفق عليه)، فعمل المرائى باطل لا ثواب فيه ويأثم به، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»، فالإخلاص عليه مدار قبول جميع الأعمال.

فمن نوى أداء هذه الشعيرة عليه أن يبادر بالتوبة من جميع الذنوب والمعاصى، فالتوبةُ من أعظم الأعمال، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ**

سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم: ٨)، وقد قَالَ الْعُلَمَاءُ: «التَّوبَةُ النَّصوحُ هى أَنْ يُقلعَ عَنِ الذَّنْبِ فى الحَاضِرِ، ويندمَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ فى المَاضى، ويعزمَ عَلَى أَلاَّ يفعلَ فى المُستقبلِ، ثُمَّ إِنْ كَانَ الحَقُّ لآدمىٍّ ردَّهُ إِلَيْهِ بطَريقِه» (تفسير ابن كثير).

فالتوبة سبب للفلاح والسَّعادة والمَحبة، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور :٣١)، وهى من أحبِّ الأعمال إلى الله قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢) ؛ بل إنَّه سبحانه يفرح بتوبة التائبين مع أنَّه سبحانه غنىٌّ عن الجميع، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلاً وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِى، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ».

وليعلم الحاج بصفة خاصة والمسلم بصفة عامة أنَّ بابَ التوبة مفتوح مهما بلغ الجُرْمُ وعَظُمَ الإثمُ، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الشورى: ٢٥)، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء : ١١٠)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر :٥٣)، فعلى المسلم أن يحرص على التوبة قبل الحج، لأنه يرجو أن يعود مغفوراً له، وينبغى عليه أن يجاهد نفسه وهواه والشيطان، ويقلع عن الذنوب، ويندم على ما فات، ويعزم عزما صادقا على عدم العودة إلى الذنوب مرة أخرى، ويرد المظالم إلى أهلها، حتى يَفِدَ على الله تعالى وليس عليه شىء.

كما يجب على من أراد الحج أن يتحرى المال الحلال لنفقات الحج والعمرة وسائر العبادات، وذلك لما له من أثر طيب فى قبول العبادة، فالله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيباً فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون: ٥١)، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢)، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِىَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»، فالمال الحلال والكسب الطيب يشرح الصدر، ويكسب الطمأنينة، ويعين على الطاعة، فالحج عبادة تؤدَّى بالنفس والمال معًا، فيجب أن يكون المال حلالاً، خالصا من كل شائبة .

كما يجب على من أراد الحج وعزم على أداء هذه الشعيرة أن يسارع لسداد ما عليه من ديون وحقوق للآخرين لأنه ليس من حقه، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ» (أخرجه البخارى)، فلقد حذر الإسلام كل الحذر من التهاون فى أداء الدَّين، أو المطل والتأخير فى قضائه، أو التساهل وعدم الاكتراث بأدائه، فمن عزم على قضاء الدين ورد الحقوق إلى أصحابها أعانه الله ويسّر له، فَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ» (أخرجه البخارى) .

وهذا لما للدَّين من خطورة على الأموال وما يخلّفه فى النفوس من ضغائن وأحقاد، فعلى من يريد الحج أن يُعجل بقضاء الديون ورد المظالم إلى أهلها فهذا أبرأ للذمة وأرجى للقبول، وينبغى على من يريد الحج أن يتنبَّه إلى ما يُحبط العمل أو يمنع قبوله : كالمشاحنة والقطيعة، فعَنْ أَبِى أَيُّوبَ الأَنْصَارِىِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِى يَبْدَأُ

بِالسَّلَامِ»، فالهجر قد يكون سببًا لتأخير - أو حجب - المغفرة والثواب من الله تعالى وقبول الأعمال، فعنْ أبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**تُفَتَّحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ فِيهِمَا لِمَنْ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ الْمُهْتَجِرَيْنِ، يُقَالُ: رُدُّوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**»، فالقطيعة لا تتناسب مع أخلاق الإسلام بصفة عامة وأخلاق الحج بصفة خاصة، وحذر المسلمين أشد ما يكون التحذير من تعاطى أسباب القطيعة والفرقة وحثهم على الصبر فقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (الأنفال : ٤٦) ولأنّ النفوس فى حال الخصام والتنافر محكومة بنوازع الانفعال والعناد والكبر، والإصلاح يقضى على كل هذا ويُلِّين النفوس المتصلبة ويحررها من دوافع التأبّى والعناد .

ولقد جعل الإسلام الصلح خيرًا فى كل أحيانه فقال تعالى: ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ (النساء : ١٢٨) وجعل الكلام فيه من خير الكلام وجعل له أعظم الأجر فقال عز وجل: ﴿**لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (النساء: ١١٤) فمن أراد الثواب الجزيل وراحة الضمير، وقبول العبادة فليحلم على الجاهل، وليعفُ عن المعتدى وليقبل الصلح ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ (الشورى:٤٠).

هذا بالنسبة لمن لم يؤد فريضة الحج من قبل وعزم على أدائها هذا العام، وأمّا من أدى فريضة الحج ويريد أن يحج نافلة فنقول له إنّ هناك ما هو أولى من حج النافلة وعمرة النافلة مثل : قضاء حوائج المسلمين، فإن الناظر إلى واقع المسلمين الآن يجد منهم الفقير الذى لا يجد ما يسد جوعه، ناهيك بملبسه ومسكنه، والمريض الذى لا يجد دواءه، والأرامل، واليتامى والعوانس، والضعفاء، والعجزة، ومن لا عائل لهم، هؤلاء وغيرهم هم أحق بقضاء حوائجهم والقيام على شئونهم، قال ابن القيم - رحمه الله - وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها على أن التقرب إلى رب العالمين والبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأن أضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استُجلبت نعمُ الله، واستُدفعت نقمه بمثل طاعته والإحسان إلى خلقه فقضاء حوائج الناس والقيام على شئونهم من خلق الأنبياء والرسل، فأشرف الخلق محمد ﷺ تصف لنا السيدة خديجة (رضى الله عنها) خُلقه فتقول: «**كَلاَّ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ**» (متفق عليه)، وحث النبى ﷺ على قضاء حوائج الناس وتنفيس كربهم، والتيسير على معسرهم والستر عليهم فمن فعل هذا فهو موعود بالإعانة، مؤيد بالتوفيق فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ**» (رواه مسلم).

وعلى هذا النهج القويم سار الصحابة والصالحون، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعاهد الأرامل، يسقى لهن الماء ليلاً، فيجب علينا أن نسير على هذا المنهج الإسلامى المستنير الذى رسمه لنا النبى ﷺ والأئمة الأعلام من بعده.

إن قضاء حوائج الناس لا يخرج عن كونه فرض عين أو فرض كفاية، ولا شك أن الفرض والواجب عينيّا كان أم كفائيّا مقدم على سائر النوافل لا على حج النافلة وتكرار العمرة فحسب.

كما أن قضاء حوائج الناس والقيام بمتطلبات حياتهم ليس مجرد نافلة، إنما هو واجب شرعى ووطنى، يقول نبينا ﷺ: «**مَا آمَنَ بِى مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ**» (أخرجه البزار)، ويقول الحق سبحانه: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ● فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ ● وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾ (الماعون: ١ : ٣) وهو مقدم على ألف حجة وحجة بعد حجة الإسلام التى هى حجة الفريضة، وعلى ألف عمرة نافلة، سائلين الله عز وجل أن يرزقنا جميعا حج بيته الحرام، وأن يتقبل منا صالح الأعمال وأن يرزقنا نعمة الفهم فى الدين.

الديـــن المعاملـــة

خطبة الجمعة بتاريخ ١٧ ذى القعدة ١٤٣٥هـ ـ ١٢/٩/٢٠١٤م

قال الله تعالى :

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾

سورة الأحزاب

أولا - العناصر:

١ ـ المقاصد العليا للشريعة الإسلامية .

٢ ـ ثمرات العبادات فى الإسلام .

٣ ـ فضائل المعاملة الحسنة والسلوك الطيب فى الإسلام .

٤ ـ منهج الإسلام السمح فى البيع والشراء.

٥ ـ الانضباط الأخلاقى، الأمانة، الصدق، الوفاء بالوعد.

٦ ـ دعوة الإسلام إلى المعاملة الحسنة (مع الأطفال والخدم و الأعداء).

٧ ـ رسائل ونصائح لأبناء الأمة (طبيباً ـ مهندساً ـ مدرساً ـ مواطناً......)

٨ ـ أثر المعاملة الحسنة على الفرد والمجتمع .

ثانيا - الأدلة :

الأدلة من القرآن:

١ ـ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

٢ ـ و قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

٣ ـ وقال الله تعالى: ﴿وقُلْ لعبادى يقولوا الَّتى هىَ أحسنُ إنَّ الشَّيطانَ ينزغُ بينَهُم إنَّ الشَّيطانَ كان للإنسانِ عدواً مُبيناً﴾ (الإسراء ٥٣).

٤ ـ وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ● الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ● وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ● وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ● وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ● إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ● فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ● وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ● وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ● أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ● الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون : ١-١١).

٥ ـ وقال تعالى: ﴿يَا بُنَىَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧).

٦ - وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

٧ - وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ (الأحزاب: ٧٢).

٨ - وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (الفتح: ٢٩).

٩ - وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: ٣٤).

الأدلة من السنة:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَدْرُونَ من المُفْلِسُ**». فقالوا: المفْلسُ فينا من لا درهم له، ولا متاع، فقال: **إن المفْلسَ مَنْ يأتي يوم القيامة؛ بصلاة وصيام، وزكاة، ويأتي قد شَتَمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ - قبل أن يُقْضى ما عليه - أُخِذَ من خطاياهم؛ فطُرِحَتْ عليه، ثم يُطْرَحُ في النار**»، (أخرجه مسلم).

٢ - ورُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جيرانَهَا بلسانها. قَالَ: «**هِيَ فِي النَّارِ**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنَ الأَقِطِ - القطع من الجبن - وَلاَ تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ: «**هِيَ فِي الْجَنَّةِ**» (رواه أحمد).

جاء الإسلام ليهذب السلوك والأخلاق ويسمو بالنفوس إلى درجات الرقي والتحضر

٣ - وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلاَ بِلَعَّانٍ، وَلاَ الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ**» (مسند أحمد).

٤ - وعن أنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَلَّ مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلا قَالَ: «**لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ**» (صحيح ابن حبان).

٥ - وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**» (سنن أبي داود).

٦ - وعن ابن مسعود قال: قال ﷺ: «**حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنْ النَّاسِ**» (الإمام أحمد في مسنده).

٧ - وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**» (صحيح مسلم).

٨ - وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ**» (الإمام البزار في مسنده).

٩ - وعن جابر رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى، سَمْحًا إِذَا قَضَى**» (صحيح ابن حبان).

١٠ - وعن عمر بن أبي سلمة: «كنت غلامًا في حجر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة؛ فعلَّمه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في رفق ولين كيف يأكل فقال له: «**يا غلام سم الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك**» (صحيح البخاري).

الموضوع:

إن الشريعة الإسلامية السمحة لها مقاصد

قال الله تعالى:

خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾

سورة الأعراف

وغايات تحقق السعادة للإنسان فى الدنيا والآخرة ليتمكن من خلافته فى الأرض، وقد جاءت الأحكام الشرعية دليلا ومرشدا لتساعده فى تحقيق مصالحه، وتجلب المنافع له، وتدفع عنه الشرور والمضار، فتدلّه على كل خير، وتهديه إلى الطريق المستقيم.

وما من مصلحة فى الدنيا والآخرة إلا وقد رعاها الشرع، وأوجد لها ما يكفل إيجادها والحفاظ عليها وما من مفسدة فى الدنيا والآخرة إلا وحذّر منها وأوجد لها بديلا.

قال العز بن عبد السلام ـ رحمه الله تعالى ـ: «اعلم أن الله سبحانه لم يشرع حكمًا من أحكامه إلا لمصلحة عاجلة أو آجلة، أو هما معًا، تفضلاً منه على عباده»، ثم قال: «وليس من آثار اللطف والرحمة واليسر والحكمة أن يكلف عباده المشاق بغير فائدة عاجلة ولا آجلة، لكنّه دعاهم إلى كل ما يقربهم إليه».

ومن مقاصد الشريعة الإسلامية المحافظة على الكليات الخمس التى نادى بها رسل الله الكرام (عليهم السلام) ووجوب المحافظة عليها، وهى الدين، والنفس، والعقل، والنسب، والمال، والعرض، ومنها اليسر ورفع الحرج والمشقة.

إن الغاية المنشودة والثمرة المرجوّة من الطاعات والعبادات فى الإسلام هى تزكية النفوس البشرية وتقوية صلة الإنسان بربه وخالقه، وبمن يعيشون معه فى مجتمعه، لتؤتى أكلها إذا صدقت النية، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: **﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾** (العنكبوت: ٤٥).

وبالزكاة تتآلف القلوب وتتطهر النفوس والأموال، قال تعالى: **﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** (التوبة: ١٠٣).

وبالصوم يتدرب المسلم على الصبر، وبالحج ومناسكه تغرس الفضائل فى قلوب المسلمين وتدعوهم إلى محاسن الأخلاق، قال تعالى: **﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾** (البقرة: ١٩٧)، فالعبادات والطاعات لها ثمرات جليلة حين تجتمع مع المعاملة الحسنة والسلوك الطيب.

ومن تتبع نصوص القرآن الكريم وسنّة النبى ﷺ يجد أنها اعتنت بمعاملة الناس معاملة حسنة، ولننظر إلى الآية الكريمة التى جمعت أصول فضائل المعاملة الحسنة قال تعالى: **﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾** (الأعراف: ١٩٩)، فجمعت الآية الكريمة أصول الفضائل ومكارم الأخلاق فيما يتعلّق بمعاملة الإنسان مع الغير:

الأول: الأخذ بالعفو، وهو السّهل اللين من أخلاق الناس وأعمالهم، دون تكليفهم بما لا يطيقون، وأن يصل الرحم المقطوعة، وأن يرفق بالمؤمنين، كما ورد عن أنس بن مالك عن النّبى ﷺ: **«يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا»** (متفق عليه).

والثانى: الأمر بالعرف وهو المعروف والجميل من الأفعال، وهو كل ما أمر به الله تعالى، واستحسنه أهل الخير، فيشمل كل خير من طاعة وبرّ وإحسان إلى الناس. ولا يذكر المعروف فى القرآن إلا فى الأحكام المهمة.

والثالث: الإعراض عن الجاهلين ويكون هذا فى عدم مقابلة السُّفهاء والجهّال بمثل فعلهم، والابتعاد عن معاشرتهم، والصّبر على سوء أخلاقهم، عملا بقوله تعالى: ﴿**وإذا خاطبَهُم الجاهلُون قالُوا سَلامًا**﴾ (الفرقان: ٦٣).

لما نزل قوله تعالى: ﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾، قال عكرمة: قال عليه الصّلاة والسّلام: «**يا جبريل، ما هذا؟ قال: إنّ ربّك يقول: «هو أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك**».

فجاء الإسلام ليهذب السلوك والأخلاق ويسمو بالنفوس إلى درجات الرقى والتحضر، ويدعو إلى حسن التعامل مع الآخرين ويعد ذلك من أعظم العبادات والقربات إلى رب الأرض والسموات .

ولما كان الدين المعاملة فى القول والفعل والأخلاق، فقد كان نبينا ﷺ ألين الناس قولا، وأطهرهم فعلا وخُلقًا، فأظهر الفهم الصحيح للإسلام سلوكًا عمليًا عرفنا أثره فى معاملته للناس ومخالطته لهم، فكان نعم القدوة والأسوة كما قال الله - سبحانه -: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ (الأحزاب:٢١)، وقد أمرنا باتباعه ﷺ.

فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يحسن إلى الناس قولا وعملا، وأن يتخير من الكلمات أحسنها، ومن الجمل أفضلها، حتى ينشر المودة والألفة بين أهله وأصدقائه ومجتمعه.

فالقول الحسن اللطيف يفتح مغاليق القلوب، ويورث المحبة والتقدير، ويدل على سمو نفسه، وعفة لسانه، قال تعالى: ﴿**وقُلْ لعبادى يقولوا الّتى هىَ أحسنَ إنّ الشّيطانَ يَنزَغُ بينهُم إنّ الشّيطانَ كان للإنسانِ عدوّا مُبينًا**﴾ (الإسراء : ٥٣).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِىءِ**» (رواه البزار) .

إن المعاملة الحسنة والأخلاق - وهى سلعة نادرة - تكشف معدن الإنسان وتظهر سمو فكره، والناس لا يحبون العابد المتكبر، وإنما يحبون البسّام الهيّن المتواضع، وهذه صفات نبينا التى جمع بها من حوله: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ (آل عمران :١٥٩) .

وإذا تتبعنا أخبار المسلمين المخلصين الأوائل وجدنا أن عامة من دخلوا فى الإسلام ليس إلا بسبب خُلق رأوه من مسلم فأقرَّت قلوبهم قبل عقولهم أن الإسلام هو دين الله الحق فدخلوا فيه أفواجًا.

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من سوء الخلق والمعاملة السيئة للناس حتى ولو كنت عابدًا زاهدًا فهى تضيع الأجر والثواب.

١ إن دين الإسلام هو دين السماحة واليسر فى جميع المعاملات، وقد أثنى نبينا ﷺ على من كان سمحًا فى بيعه وشرائه ؛ فعن جابر رضى الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى، سَمْحًا إِذَا قَضَى**» (رواه ابن حبان).

فيجب على المسلم ألا يستغل حاجة الناس وفقرهم وشدة حاجاتهم، فهذا يُعد من التعسير والتضييق على الناس مما يوغر الصدور، ويزيد الأحقاد، وينشر الكراهية والبغضاء وهذا ما لا يريده الإسلام ولا تقبله النفوس المؤمنة، وليعلم الرجل السمح فى بيعه وشرائه أن الله سيرحمه فى الدنيا والآخرة، فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**ألا أخبركم بمن يحرم على النار؟ تحرم النار على كل قريب هين سهل**» (أخرجه الترمذى).

بهذا يكون المسلم قريبًا من الناس فإذا أحب الله تعالى عبدًا جعل محبته فى قلوب الخلق.

وكل هذا راجع إلى حسن المعاملة وحسن الخلق، فالإنسان المؤمن يتعامل مع الخَلْق المعاملة التى يجب أن يعامله الناس بها، فيُحسّن خُلُقَه ولا يبتغى من وراء ذلك إلا وجه الله .

ولكى تكونَ المعاملة حسنة يجب ضبط السلوكيات الأخلاقية، ومنها الأمانة التى يجب أنْ يتَّصف بها المسلم؛ لأنها من الدِّين، ولثقلها أبَت السماوات والأرض والجبال حَمْلَها وحملَها الإنسان، قال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ**

كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

وقد وَرَد فى القرآن الكريم ما يؤكِّد أهميَّة هذا الخُلُق الكريم للرجل الأمين فى أكثر من موضع، من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

كما أمرنا الله تعالى فى كتابه بحفظ الأمانات وأدائها فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨).

وحذر الله تعالى المؤمنين من الخيانة بكافة أشكالها، لأن خائن الأمانة مضيع للحقوق، ومقطع لأواصر المحبة، ويلحقه غضب الله تعالى فى الدنيا وعذاب الله فى الآخرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧).

وهذا مما أشار إليه النبى ﷺ، فعن أَنَس بْنِ مَالك، قَالَ: قَلَّ مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ إلا قَالَ: «لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ» (أخرجه الإمام أحمد).

ويقول ﷺ أيضًا: «أدِّ الأمانة إلى مَن ائتمنك، ولا تخن مَن خانك» (أخرجه الحاكم فى مستدركه).

ومما يدل على المعاملة الحسنة وانضباط السلوك الصدق فى المعاملات، فالمسلم الحق صادق فى كل أقواله وأفعاله، لا خوفًا من عقاب، ولا هروبا من عذاب، ولا بحثًا عن مصلحة شخصية، ولا مآرب دنيوية.

ألا فليصدق المسلم مع أخيه، وقد روى أنّ النبى ﷺ قال: «كَبُرَتْ خيانة أن تحدِّث أخاك حديثًا، هو لك مصدِّق، وأنت له كاذب» (أخرجه أحمد).

وصدق قول القائل:

عوِّد لسانك قول الصدق تَحْظَ به
إن اللسان لما عوَّدتَ معتادُ

ومن الأخلاق التى تكون دليلا على المعاملة الحسنة وانضباط السلوك الإنسانى الوفاء بالعهد وهو خلق كريم، من أخلاق الإسلام، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا﴾ (الإسراء: ٣٤)، وقال فى صفات أهل الجنة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المعارج: ٣٢).

وإذا نظرنا إلى سيرة الحبيب ﷺ لنأخذ موقفًا واحدًا من المواقف العظيمة فى الوفاء بالعهود لوجدنا الكثير، منها: ما كان قبل غزوة «بدر» حين أخبره حذيفة بن اليمان،: «أن كفَّار قريش قد أخذوه قبل أن يدخل المدينة هو وأبا حُسَيل، فقالوا: إنكم تريدون محمدًا، قلنا: ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عَهْد الله وميثاقه لننصرفَنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معك يا رسول الله، ومع أنه كان فى أشد الحاجة إلى الرجال ليقاتلوا معه ضد المشركين، وبالرغم من كلِّ هذا، قال لهما رسول الله ﷺ: «انصرفا نَفِى لهم بعَهْدِهِم، ونستعين الله عليهم» (صحيح مسلم).

إن كان هذا هو وفاء المسلمين لغير المسلمين، فكيف يكون وفاءُ المسلمين للمسلمين؟!.

لقد دعا الإسلام إلى المعاملة الحسنة مع كل أعضاء المجتمع أطفالا وشيوخًا ونساء ورجالا، فقد كان النبى ﷺ يحسن معاملة الأطفال ويفيض عليهم من حنانه ويحبهم ويقبلهم ويداعبهم ويلاعبهم ويسأل عنهم، ويسلم عليهم، ويمسح على رؤوسهم ويضع يده الشريفة على خدهم، ويدعو لهم ويضعهم فى حجره، بل ويستمع إلى أحاديثهم، فهذا رسول الله ﷺ أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه ابن عباس وعن يساره الأشياخ - كبار الصحابة - فقال لابن عباس: «أتأذن لى أن أعطى هؤلاء» فقال: لا والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبى منك أحدًا، قال فَتَلَّه (دفعه إليه) رسول الله ﷺ فى يده. (صحيح البخارى).

ومن جمال سيرته ﷺ معاملته الحسنة مع الخدم فعن عائشة (رضى الله عنها) قالت: «ما ضرب رسول الله بيده خادمًا له قطّ، ولا امرأة، ولا ضرب رسول الله بيده شيئًا قطّ، إلا أن يجاهد فى سبيل الله، ولا خُيِّر بين أمرين قطّ إلا كان أحبهما إليه أيسرهما إلا أن يكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شىء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله (عز وجل) فينتقم لله» (صحيح البخارى).

قال أنس رضي الله عنه: «خدمت النبى ﷺ عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ليس كل أمرى كما يشتهى صاحبى أن أكون عليه ما قال لى مرة أف قط وما قال لى لما فعلت هذا ولم لم تفعل هذا» (سنن أبى داود).

ولما كانت حقيقة الدّين تتجلّى عمليًا فى إحسان

معاملة النّاس، فإنّ مفهوم المعاملة واسع يشمَل كلّ علاقات المسلم وغير المسلم، فحثنا الإسلام على التعامل مع العدو معاملة حسنة فكان ﷺ يتعامل مع أعدائه وهو متمكّن منهم، فلم نعرف فى السيرة والتاريخ أرحم منه مع أعدائه رغم ما كان يلاقيه منهم من الأذى فكان مثالا للأخلاق الحسنة، ماذا أقول عن رجل هدى الله به الحيارى؟!، فالدين المعاملة أيها الطبيب فكن رحيمًا بالمرضى وخفف عنهم الآلام ولا تثقل عليهم، وعليك بطيب الكلام وما يبث الأمل فى النفوس والرجاء فى القلوب .

الدين المعاملة أيها المهندس: فكن مخلصًا فى عملك وتعامل مع الناس بأمانة وصدق ولا تقلق من الرزق فهو مكتوب مع الأجل.

الدين المعاملة أيها المسلم: فلتكن أخلاقك حسنة مع الناس، فعنْ أَبِى ذَرٍّ، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ لَهُ: **«اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»** (مسند الإمام أحمد).

الدين المعاملة أيها المدرس: فعلّم أبناء المسلمين ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة وكن أنت قدوتهم فى المعاملة والنصح وفعل الخيرات وترك المنكرات.

الدين المعاملة أيها المواطن الصالح: فعامل الناس كما تحب أن يعاملوك وكن متواضعًا ولا تقابل السيئة بالسيئة بل قابل السيئة بالحسنة، وأتقن عملك، ولا تتبع عورات الناس، وكن محبّا لدينك، مخلصًا لوطنك، إيجابيّا لا سلبيّا .

فالمسلم الحق هو الذى يترجم إسلامه إلى سلوكيات إيجابية فى واقع حياته، ليعود أثر ذلك عليه وعلى المجتمع بكل ما هو مفيد وصالح وفيه النفع لعامة المسلمين، فلقد جعل النبى الكريم حسن المعاملة والعلاقة مع الآخرين من كمال الإيمان فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»** (مسند الإمام أحمد).

وقال ﷺ: **«إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»** (رواه البزار).

وفى مقابل ذلك قد تكون المعاملة السيئة مع الناس سببًا لدخول النار حتى ولو مع الاجتهاد فى العبادات، لما روى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِى جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ: **«هِىَ فِى النَّارِ»**. قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ - القطع من الجبن - وَلَا تُؤْذِى جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ: **«هِىَ فِى الْجَنَّةِ»** (رواه أحمد).

وهناك ارتباط وثيق بين الأخلاق والإيمان، وكل عمل يقوم به العبد المسلم يحتاج إلى الأخلاق الحميدة والصفات الحسنة ولاشك أن من فقد الإيمان والتقوى فقد فقد تلك الأخلاق، وكلما كان المؤمن أكمل أخلاقًا كان أكثر إيمانًا . والالتزام بمكارم الأخلاق فيه تقوية لإرادة الإنسان وتمرينها على حب الخير وفعله والبعد عن الشر وتركه، وبذلك تتحقق سعادة القلب، ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة فى التحلى بالأخلاق الكريمة والصفات الحسنة، والتى تعود بالنفع على الفرد والمجتمع والأمة .

بل إن المعاملة الحسنة والخلق القويم تدعو إليها الفطر السليمة، فهى أخلاق فاضلة يستحق صاحبها التكريم والثناء .

ومن أثر المعاملة الحسنة وحسن الخلق على الفرد والمجتمع أيَضًا أنه يكون سببًا فى شيوع المحبة والرحمة بين أفراد المجتمع، وإزالة أسباب الشقاق.

إنه حين يتعامل الناس معاملة حسنة بعضهم مع بعض يسود فى مجتمعهم الصدق، والأمانة، والوفاء بالوعود، والتواضع، واحترام الكبير والعطف على الصغير وتقبل النصيحة وأداء الواجبات بكل دقّة وإخلاص، حينئذ لن نجد مستغلا أو غاشّا أو سارقًا أو متطرفًا أو منحرفًا .

إن المعاملة الطيبة تورث التقوى والورع وتكسب ثقة الآخرين، وتجلب الخير والبركة، وتكون سببًا فى رفع الدرجات والحصول على عفو الله ومغفرته.

اللهم اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنّا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت .

العشر الأول من ذي الحجة.. مناسك وفضائل

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٤ ذي القعدة ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤/٩/١٩م

أولا العناصر:

١ - سنة الله تعالى في تفضيل بعض الأزمنة على بعض.

٢ - فضل العمل الصالح في هذه العشر وفضل صيام يوم عرفة.

٣ - وقوع غالب مناسك الحج فيها.

٤ - مشاركة الناس للحجيج في أعمال البر والطاعة.

٥ - الأضحية وفقهها ومشاركة المضحي للمحرم.

ثانيًا: الأدلة

الأدلة من القرآن الكريم:

١ - يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (التوبة: ٣٦).

٢ - ويقول تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ • وَلَيَالٍ عَشْرٍ • وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ (الفجر: ١:٣).

٣ - ويقول تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الحج: ٣٧).

٤ - ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ • فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر: ١، ٢).

٥ - ويقول تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٦٠).

٦ - ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٤).

الأدلة من السنة:

١ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ» يَعْنِي الْعَشْرَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ

ذَلِكَ بِشَيْءٍ» (أخرجه البخارى).

٢ ـ وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ قال: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلاَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ**» (رواه أحمد).

٣ ـ عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) أن النبى ﷺ قال: «**أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَيَّامُ الْعَشْرِ**» - يَعْنِى عَشْرَ ذى الحجَّة - قيلَ: وَلاَ مِثْلُهُنَّ فى سَبيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «**وَلاَ مِثْلُهُنَّ فِى سَبِيلِ اللَّهِ إِلاَّ رَجُلٌ عَفَّرَ وَجْهَهُ فِى التُّرَابِ**» (رواه البزار وأبو يعلى).

٤ ـ وعن أبى قتادة، أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ» (رواه مسلم).

٥ ـ وعن أُمِّ سَلَمَةَ- رضى الله عنها- عَنِ النَّبِىِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يُضَحِّىَ فِى هِلالِ ذِى الحَجَّةِ، فَلا يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ**» (رواه أحمد).

٦ ـ وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ وَهُوَ الَّذِى يَلِيهِ**» (رواه أبو داود والبيهقى).

٧ ـ وعَنْ عَائِشَةَ (رضى الله عنها) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا عَمِلَ آدَمِىٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ إِنَّهَا لَتَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلاَفِهَا وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا**» (سنن الترمذى).

ثالثًا ـ الموضوع:

وبعد: فمن رحمة الله تعالى بعباده أن جعل لهم مواسم للخيرات، تضاعف فيها الحسنات، ويستكثرون فيها من الأعمال الصالحات، هذه المواسم لها مزية ليست لغيرها من الأوقات، حيث يتجدد فيها نشاط العبد فيسارع إلى الخيرات ليتقرب من رب الأرض والسماوات.

العشر من ذى الحجة مباركات كثيرة الحسنات، عالية الدرجات، متنوعة الطاعات

وقد فضل الله تعالى بعض الأزمنة على بعض، ففضّل بعض الشهور - وهى الأشهر الحرم - على غيرها من الشهور، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِى كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**﴾ (سورة التوبة: ٣٦)، وفضَّل شهر رمضان على سائر الشهور، وفضَّل ليلة القدر على سائر الليالى، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ • لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ (القدر: ١- ٣).

كما فضَّل - تبارك وتعالى - بعض الأيام على بعض، ففضل العشر الأول من شهر ذى الحجة على سائر الأيام، وجعل العمل الصالح فيها أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا من العمل فيما سواها من الأيام؛ فهى أيامٌ شريفةٌ فاضلةٌ عالية القدر، وهى أعظم الزمن بركةً؛ إذ لها مكانةٌ عظيمةٌ عند الله تعالى، فهى عَشْرٌ مباركاتٌ كثيرةُ الحسنات، عالية الدَّرجات، متنوِّعة الطَّاعات، فهى أفضل أيام العام كله، حيث يجتمع فيها حجاج بيت الله الحرام فى أطهر بقعة من الأرض، حول الكعبة المشرفة يطوفون، ويتسابقون إلى الطاعات، ويتنافسون فى الخيرات،

وليتزودوا بخير زاد عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧).

تلك الأيام المباركة عرف الإسلام قدرها، وأمر المسلمين أن يسارعوا إلى الانتفاع بأوقاتها رغبة فى التقرب إلى الله عز وجل الذى يجزى الحسنة بعشر أمثالها، قال سبحانه: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام :١٦٠).

ومن فضائلها:

● أن الله تعالى أقسم بها فى كتابه الكريم، ولا يقسم الله تعالى إلا بعظيم، ولا يجوز لخلقه أن يقسموا إلا به، فالقَسَم بها يدلُّ على عظمتها ورفعة مكانتها وتعظيم الله تعالى لها، وتنويهًا بشأنها وفضلها، وإرشادًا لأهميتها ومكانتها ومنزلتها، قال سبحانه: ﴿وَالْفَجْرِ ● وَلَيَالٍ عَشْرٍ ● والشفع والوتر﴾ (الفجر:١ :٣)، والصحيح الذى عليه جمهور المفسرين أن الليالى العشر هى عشر ذى الحجة، وقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال فى تفسير هذه الآيات: «**العشر: عَشْرُ النَّحْرِ، وَالْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعُ يَوْمُ النَّحْرِ**» (رواه النسائى فى السنن الكبرى، عَنْ جَابِرٍ).

● أنَّ الله ـ تعالى ـ نصَّ فى كتابه العزيز على ذكره فيها ؛ تعظيمًا لله ـ تعالى ـ وإعلامًا بفضيلة هذه العشر، وإظهارًا لشعائرها، حيث سماها الأيام المعلومات، فقال تعالى:﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِى أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ (الحج: ٢٨)، وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ هى أيام العشر . فالأيام المعلومات هى العشر فى قول أكثر السلف والعلماء.

● أنها أفضل أيام الدنيا كما نص بذلك حديث النبى ﷺ حيث قال: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ**» يَعْنِى الْعَشْرَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلاَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «**وَلاَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَىْءٍ**» (أخرجه البخارى).

● أنها مكان لاجتماع العبادات فيها، فالصلاة، والصيام، والدعاء، والصدقة، والجهاد، وقراءة القرآن، وذكْر الله ـ تعالى ـ وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف، والنَّهى عن المنكر، وغيرها من القُرُبات ـ هى فى عشر ذى الحجة أفضل منها فى غيرها ؛ لحديث ابن عَبَّاس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ قال: «**ما من عَمَلٍ أَزْكَى عِنْدَ الله عز وجل ولا أعْظَم أَجْرًا من خَيْرٍ يعمله فى عَشْرِ الأَضْحَى**»، قِيلَ: ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: «**ولا الجِهَاد فى سبيل الله عز وجل إلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فلم يَرْجِعْ من ذلك بِشَىْءٍ**» (رواه الدارمى).

١ ونحن نعيش فى ظلال هذه الأيام المباركة من شهر ذى الحجة ينبغى علينا أن نغتنمها ولا نضيعها، وأن نتسابق إلى الخيرات فيها، وأن نشغلها بالعمل الصَّالح، فالعمل الصالح فيها أحبّ إلى الله سبحانه وتعالى مما سواها من الأيام، لقول رسولنا ﷺ فى الحديث: «**أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَيَّامُ الْعَشْرِ**» ـ يَعْنِى عَشْرَ ذِى الْحِجَّةِ ـ قِيلَ: وَلاَ مِثْلُهُنَّ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ: «**وَلاَ مِثْلُهُنَّ فِى سَبِيلِ اللَّهِ إِلاَّ رَجُلٌ عَفَّرَ وَجْهَهُ فِى التُّرَابِ**» (رواه البزار وأبو يعلى).

ومن هذا الحديث يتضح أن هذه الأيام أفضل أيام السنة كلها، وأن العمل الصالح فيها ـ أيًا كان نوعه ـ أفضل منه فى غيرها، وأن العامل فى هذه العشر أفضل من المجاهد فى سبيل الله الذى رجع بنفسه وماله .

ويستحب الإكثار من العبادات من صلاة وصيام وذكر فى هذه الأيام، وآكدها صوم يوم عرفة لغير الحاج، وقد خص النبى ﷺ صيام يوم عرفة من بين أيام عشر ذى الحجة بمزيد عناية، وبيّن فضل صيامه، فقد ثبت عن أبى قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم عرفة فقال: «**يكفّر السنة الماضية والباقية**» (رواه مسلم)، وقال ﷺ: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِى قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِى بَعْدَهُ**» (رواه مسلم).

فالصيام من أفضل الأعمال الصالحة، وقد أضافه الله إلى نفسه لعظم شأنه وعلو قدره، فقال سبحانه فى الحديث القدسى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به» (متفق عليه)،

فللصوم فضل عظيم وثواب عميم، وقد صح فى الحديث (من صام يوما فى سبيل الله باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام). وعليه فيسن للمسلم أن يصوم التسع ؛ لأنها من العمل الصالح .

● **التكبير والتحميد والتهليل والذكر:**

ومن الأعمال التى ورد فيها النص على وجه الخصوص الإكثار من ذكر الله عموما ومن التكبير خصوصًا لقول الله تعالى: ﴿**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام**﴾ (الحج ٢٨)، وجمهور العلماء على أن المقصود بالآية : أيام العشر.

وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ قال: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلاَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ**» (رواه أحمد)، وقال البخارى: كان ابن عمر وأبو هريرة (رضى الله عنهما) يخرجان إلى السوق فى أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما. وقال: وكان عمر يكبر فى قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً. وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه، وفى مجلسه وممشاه تلك الأيام جميعًا.

ويستحب للمسلم أن يجهر بالتكبير فى هذه الأيام ويرفع صوته به فى المساجد والمنازل والطرقات والأسواق وغيرها، يجهر به الرجال، وتسر به النساء، إعلاناً بتعظيم الله تعالى، وذلك من أول يوم من أيام ذى الحجة ويستمر إلى عصر آخر يوم من أيام التشريق، وهو من السنن المهجورة التى ينبغى إحياؤها فى هذه الأيام.

وأما التكبير الخاص المقيد بأدبار الصلوات المفروضة، فيبدأ من فجر يوم عرفة ويستمر حتى عصر آخر يوم من أيام التشريق؛ لقوله تعالى: ﴿**واذكروا الله فى أيام معدودات**﴾ (البقرة: ٢٠٣).

ولقوله ﷺ: «**أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرِ اللَّهِ**» (رواه مسلم وغيره).

● الصدقة: وهى من جملة الأعمال الصالحة التى يستحب للمسلم الإكثار منها فى هذه الأيام، وقد حث الله - تعالى - عليها، فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾(البقرة:٢٥٤) وقال ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال**» (رواه مسلم)

وبالنظر إلى هذه الأيام - عشر ذى الحجة - نجد أنها حظيت بهذه المكانة وتلك المنزلة ؛ لاجتماع أمهات العبادات فيها، وهى الصلاة، والصيام، والصدقة، ووقوع غالب مناسك الحج فيها، ولا يتأتى ذلك فى غيرها، ففيها يوم التروية، وهو اليوم الثامن من ذى الحجة، وفيها يوم عرفة، وهو اليوم التاسع من ذى الحجَّة، وهو يومٌ معروفٌ بالفضل وكثرة الأجر وغفران الذنب، فعن جَابِرٍ (رضى الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلائِكَةَ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِّينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ**»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَمَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ عَتِيقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ**». (رواه البيهقى فى شعب الإيمان، وابن خزيمة فى صحيحه).

يوم عرفة معروف بالفضل وكثرة الأجر وغفران الذنوب وسعيد من اغتنمه وتقرب فيه بالطاعات

وفى صحيح مسلم عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلائِكَةَ**».

وفيها كذلك يوم النَّحر، وهو اليوم العاشر من ذى الحجَّة، وهو أفضل الأيام، وفيه معظم أعمال النُّسُك: من رمى الجمرة، وحلْق الرَّأس، وذبح الهَدْى، والطَّواف، والسَّعى، وصلاة العيد، وذبح الأُضحية، واجتماع المسلمين فى صلاة العيد، وتهنئة بعضهم بعضًا، ففى حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ**

يَوْمُ الْقَرِّ وَهُوَ الَّذِى يَلِيهِ» (رواه أبو داود والبيهقى).

فالسعيد من اغتنم هذه الأيام، وتقرب فيها إلى مولاه بالطاعات، حتى يكون مشاركًا للحجيج فى أعمال البر والطاعة، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رضى الله عنها- عَنِ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْحَرَ فِى هِلَالِ ذِى الحَجَّةِ، فَلَا يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ**» (مسند أحمد).

إنها قمة المشاركة للحجيج فى العبادة والطاعة، حيث بين النبى ﷺ فى الحديث أن المسلم الذى لم يُقَدَّر له الحج فلا يحرم الثواب من المشاركة للحجيج فى أعمالهم، من عدم قص الشعر، وتقليم الظفر، تشبها بالمحرمين حتى ينتهوا من صلاة العيد وذبح الأضاحى..

والأضحية سنة مؤكدة فعلها رسول الله ﷺ وحثَّ على فعلها لما فيها من التقرب إلى الله عز وجل بإراقة الدماء، ولما فيها من سدٍّ لحاجة الفقراء والمساكين، وفيها إحياء لسنة أبينا إبراهيم عليه السلام، فهى سنة مؤكدة على كل مسلم حاجّا أو غير حاج ذكرًا أو أنثى، ينبغى لكل قادر موسر ألا يدعها، لأنها شعيرة عظيمة من شعائر الدين الإسلامى الحنيف قال الله تعالى: ﴿**لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (الحج: ٣٧)، وقال تعالى: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ (الكوثر: ٢)، و عَنْ أَنَسٍ قَالَ: ضَحَّى النَّبِىُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا» (رواه مسلم)، وعن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما): «**أن رسول الله ﷺ نحر يوم الأضحى بالمدينة، قال: وكان إذا لم ينحر يذبح بالمصلى**» (رواه النسائى).

والأضحية من أفضل الأعمال التى يتقرب بها الإنسان إلى ربه فى هذا اليوم، فعن عَائِشَةَ- رضى الله عنها- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا عَمِلَ آدَمِىٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ إِنَّهَا لَتَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا**» (سنن الترمذى).

ويجب على المسلم الذى يريد أن يُضحى ويحرص على اتباع السنة أن يتأكد من سن الأضحية عند شرائها وذلك بسؤال أهل الخبرة، ففى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَذْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً إِلَّا أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ**». (والجَذعة: ما استكمل سنة ولم يدخل فى الثانية).

كما اشترط الإسلام أن تكون الأضحية خالية من العيوب، فقد روى أبو داود عن البراء بن عازب أن النبى ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ لَا تَجُوزُ فِى الأَضَاحِى: الْعَوْرَاءُ بَيِّنٌ عَوَرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ بَيِّنٌ مَرَضُهَا، وَالْعَرْجَاءُ بَيِّنٌ ظَلْعُهَا، وَالْكَسِيرُ الَّتِى لَا تَنْقَى**». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنِّى أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ فِى السِّنِّ نَقْصٌ. قَالَ: «**مَا كَرِهْتَ فَدَعْهُ وَلَا تُحَرِّمْهُ عَلَى أَحَدٍ**». قَالَ أَبُو دَاوُدَ لَيْسَ لَهَا مُخٌّ.(سنن أبى داود).

١ هذا وقد وجه الإسلام إلى الإحسان فى يوم الأضحية إلى الفقراء والمحتاجين، وإن من الأفضل لمن وسع الله عليهم أن يتصدق بالأضحية كلها فهذا أقرب للتقوى وأعظم للثواب، وقد أجاز الإسلام للمضحى أن يأكل منها وأن يهدى لقرابته وأصدقائه، أو أن يجعل ذلك أثلاثًا، وكل ذلك مقبول إن شاء الله كما كان يفعل النبى ﷺ ففى حديث عائشة (رضى الله عنها) لما ذَبحَ الرسول ﷺ الشّاة وأمر بالتصدق بها جميعًا، فلما سأل عائشة فقالت: ذَهَب كلها إلا الكَتف، فقال: «**بقِى كلُها إلا الكَتِف**» (أخرجه الترمذى).

وإذا كنا قد عرفنا عظمة هذه الأيام وفضلها وشرفها وفضل العمل الصالح فيها، فلنحرص على الخير فى هذه الأيام حتى نكون أهلا بقبول دعوة الرسول ﷺ لنا، فإن النبى ﷺ دعا لنا من غير أن يرانا، ففى حديث عائشة - رضى الله عنها - قالت: لما رأيت النبى ﷺ طيب النفس، قلت: يارسول الله، ادع الله لى، فقال: «**اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر، وما أسرّت وما أعلنت**»، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها فى حجرها من الضحك، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أيسرك دعائى؟**» فقالت: وما لى لا يسرنى دعاؤك، فقال ﷺ: «**والله إنها لدعائى لأمتى فى كل صلاة**» (صحيح ابن حبان ٢٩/٢٥٥ باب ذكر مغفرة الله جل وعلا).

فحَرِىٌّ بالمسلم أن يشكرَ الله تعالى على فضلها وفضل العمل الصالح فيها، وأن يشكرَه عز وجل على بلُوغها وهو فى أمْن وعافية، وأن يعرف لهذه الأيام فضلها، ويقدر لها قَدرها، ويحرص على الاجتهاد فيها بالأعمال الصالحة.

من أخلاق القرآن: الاعتصام بالله

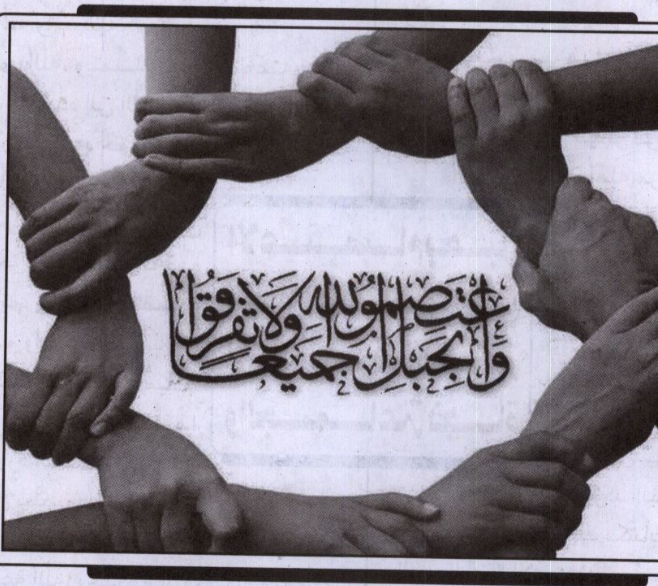

فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الشرباصي (رحمه الله)
أعده للنشر: د. حسن أحمد خليل

العصمة» بمعنى الحفظ والمنع، وعصمه: منعة وصانه ووقاه. واعتصم واستعصم - استمسك، والاعتصام: الاستمساك والتحصن بما يعصم ويمنع من المحذور والمخوف، والاعتصام بالله خلق من أخلاق القرآن الكريم، وفضيلة من فضائل الإسلام العظيم، وجانب من هدى الرسول عليه الصلاة والتسليم. وقد تحدث كتاب الله تعالى عن هذه الفضيلة فى أكثر من موطن، وجعلها طريق النجاة والسعادة، وأمر بها أتباع دينه.

فنراه فى سورة آل عمران يقول: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ● يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ● وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة آل عمران الآيات ١٠١، ١٠٣).

هنا يتحدث القرآن الكريم على طريقة التعجيب والإنكار، فيقول لهم: كيف تنحرفون عن الإيمان، وأنتم تسمعون القرآن العظيم يتلى عليكم، وفيكم رسول الله محمد ﷺ، ترونه وتشاهدونه.

ويدخل فى هذا الخطاب من لم ير النبى ﷺ لأن ما فيهم من سنته يقوم مقام رؤيته. ويجوز أن يكون

* نشر هذا المقال فى عدد شهر رجب ١٣٩٤هـ - يوليه ١٩٧٤م من مجلة منبر الإسلام أى ما يقرب من أربعين عاما.

الخطاب لصحابة النبى خاصة، لأن رسول الله ﷺ كان فيهم وكانوا يشاهدونه. وقيل: إن هاهنا أمرين جليلين: كتاب الله ونبى الله، فأما النبى فقد مضى إلى ربه وأما كتاب الله فباق قائم: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (سورة الحجر الآية ٩) وقد أبقاه الله رحمة منه ونعمة، فيه بيان الحلال والحرام، والطاعة والمعصية.

ومن يعتصم بالله، ويتمسك بدينه وطاعته، فقد وفقه ربه تعالى، وأرشده إلى الصراط المستقيم، ثم أمر الله المؤمنين بأن يتقوه حق تقواه، بأن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يجاهد المؤمن فى سبيل ربه حق الجهاد، ولا تأخذه فى الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وأبنائهم. ويالها من تقوى مثالية، ولذلك تلطف الله بعباده، فقال فى مقام آخر: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ (سورة التغابن الآية ١٦).

وأمرهم كذلك أن يعتصموا جميعا بحبل الله، وهو القرآن الكريم، أو الدين، أو الجماعة، أو عهد الله، أو طاعة الله، وحذرهم التفرق والتمزق، لأن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة، وابن المبارك يقول:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا

منه بعروته الوثقى لمن دانا

وإذا كانت آراء المفسرين قد تعددت فى المراد بحبل الله هنا، فإن للأستاذ الإمام محمد عبده عبارة يقرر فيها أن الأشبه بأسلوب القرآن الجليل أن تكون العبارة تمثيلا، كأن الدين فى سلطانه على النفوس، واستيلائه على الإرادات، وما يترتب على ذلك من جريان الأعمال على حسب هديه - حبل متين يأخذ به الآخذ فيأمن السقوط، كأن الآخذين به قوم على مكان مرتفع من الأرض يخشى عليهم السقوط منه، فأخذوا بحبل متين، جمعوا به قوتهم فامتنعوا من السقوط.

ويقول السيد رشيد رضا: «إن المختار هو ما ورد فى الحديث المرفوع من تفسير حبل الله بكتابه، ومن اعتصم به كان آخذا بالإسلام، ولا يظهر تفسيره بالجماعة والاجتماع، وانما الاجتماع هو نفس الاعتصام، فهو يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه، عليه نجتمع، وبه نتحد، لا بجنسيات نتبعها، ولا بمذاهب نبتدعها، ولا بمواصفات نضعها، ولا بسياسات نخترعها، ثم نهانا عن التفرق والانفصام، بعد هذا الاجتماع والاعتصام لما فى التفرق من زوال الوحدة، التى هى معقد العزة والقوة، وبالعزة يعتز الحق فيعلو فى العالمين، وبالقوة يحفظ هو وأهله من هجمات الواثبين وكيد الكائدين.

الاعتصام بحبل الله أمر إلهى لأن الفرقة هلكة والجماعة نجاة

فهذا الأمر والنهى فى معنى الأمر والنهى فى قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ (الأنعام ١٥٣) فحبل الله هو صراطه وسبيله.

ويؤكد القرطبى أن الله تعالى قد أوجب علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه، والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا الله بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادا وعملا، وذلك سبب اتفاق الكلمة، وانتظام الشتات الذى تتم به مصالح الدين والدنيا.

وينبغى أن نتذكر أن فضيلة «الاعتصام» قد تكون فضيلة فردية حين يتمسك صاحبها بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله، يتقيد بهما، ويسير على ضوئهما، ويستمد منهما العون، وقد تكون فضيلة جماعية حين يلتقى أبناء القرآن وأتباع محمد عليه الصلاة والسلام فيعتصمون بالقرآن والسنة يتخذونهما إماما لهم فى أمور دينهم وأمور دنياهم.

ويقرر ابن القيم فى «مدارج السالكين» أن الاعتصام نوعان: الاعتصام بحبل الله، والاعتصام بالله، والاعتصام بحبل الله هو المحافظة على طاعته، مراقبًا لأمره - كما يعبر الهروى - والاعتصام بالله هو التوكل عليه، والاحتماء به، وهو الترقى عن كل موهوم، أى عن كل ما سوى الله تعالى.

يقول ابن القيم: «فأما الاعتصام بحبله فأنه يعصم من الضلالة، والاعتصام به يعصم من الهلكة، فإن السائر إلى الله كالسائر على طريق نحو مقصده، فهو محتاج إلى هداية الطريق والسلامة فيها، فلا يصل إلى مقصده إلا بعد حصول هذين الأمرين له، فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة، وأن يهديه إلى الطريق، والعدة والقوة والسلاح التى بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفاتها.

فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية واتباع الطريق، والاعتصام بالله يوجب له القوة والعدة والسلاح.

ويقرر كتاب الله فى آية أخرى أن المعتصمين بالله يحشرهم ربهم مع المؤمنون المجزيين بأحسن الجزاء فيقول فى سورة النساء ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا • إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء الآيات ١٤٥، ١٤٦).

فالله جل جلاله قد استثنى هنا المعتصمين به من بين المنافقين. ووعد هؤلاء المعتصمين بالأجر العظيم مع المؤمنين التائبين المصلحين المخلصين، والاعتصام بالله إنما يكون بالتمسك بكتابه، والتخلق بأخلاقه وآدابه، والاعتبار بمواعظه، والرجاء فى وعده، والخوف من وعيده.

ويقول القرآن فى سورة النساء أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا • فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (سورة النساء الآيات ١٧٤، ١٧٥).

وهذه الكلمات الربانية تفيدنا أن المتحلِّين بفضيلة الاعتصام بالله هم أهل الرحمة والفضل والهداية إلى الصراط المستقيم، فالله جل جلاله يقول للناس إنه قد جاءكم برهان من عند ربكم وهو رسول الله محمد ﷺ، لأن معه البرهان وهو المعجزة والحجة، وأنزل إليكم نورا مبينًا وهو القرآن، فيه تفصيل الأحكام، فالذين آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن، فإنهم أهل الرحمة والفضل والاهتداء.

وفى تفسير المنار: فالذين يهتدون بهذا القرآن

يدخلهم الله تعالى فى رحمة خاصة منه، لا يدخل فيها سواهم، وفضل خاص لا يتفضل به على غيرهم، ويدل على هذا التخصيص تنكير الفضل والرحمة، ورحمة الله وفضله غير محصورين، ولكنه يختص من يشاء بما شاء من أنواعهما.

وقد فسرت الرحمة هنا بالجنة، والفضل بما يزيد الله به أهلها على ما يستحقون من الجزاء، كما قال فى آية أخرى «ويزيدهم من فضله».

ويمكن أن يفسرا بما هو أعم من نعيم الآخرة جزاء وزيادة، فيشملا ما يكون لأهل الاعتصام بالقرآن - الذى هو حبل الله المتين - من الخصوصية فى الدنيا، إذ يكونون رحمة للناس بعلومهم وأعمالهم وفضائلهم، واجتماعهم وتعاونهم وتراحمهم: يرحم الناس بالاقتداء بهم والاقتباس منهم، ومن ذلك أنهم يكونون رحماء للناس، وتحملهم رحمتهم على السعى لخير الناس، وبذل فضلهم من علم وعمل ومال لهم، فيكونون أئمة للناس برحمتهم وفضلهم، ويهديهم إليه صراطا مستقيما: أى ويهديهم تعالى هداية خاصة موصلة إليه صراطًا مستقيمًا، أى طريقًا قويمًا قريبًا، يبلغون به الغاية من العمل بالقرآن، أما فى الدنيا فبالسيادة والعزة والكمال، وأما فى الآخرة فبالجنة والرضوان، فهذا الصراط المستقيم لا يهتدى إليه إلا بالاعتصام بالقرآن الكريم.

فيا خسارة المعرضين، ويا طوبى للمعتصمين، وقد صدق وعد الله للصادقين، ففاز من اعتصم من الأولين، وخاب وخسر من أعرض من الآخرين، فعسى أن يعتبر بذلك المنتمون فى هذا العصر إلى هذا الدين»!!

المتحلون بفضيلة الاعتصام بالله هم أهل الرحمة والفضل والهداية إلى الصراط المستقيم

ويقول القرآن فى ختام سورة الحج: **﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾** (سورة الحج الآية ٧٨) أى اعتصموا بدلائله العقلية والسمعية، وألطافه وعصمته، وقال ابن عباس: سلوا الله العصمة عن كل المحرمات، وقال القفال: اجعلوا الله عصمة لكم مما تحذرون. هكذا نقل الرازى.

ويقول الله تعالى فى سورة المائدة: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾** (سورة المائدة ٦٧).

أى: يا أيها الرسول، أظهر تبليغ الدعوة إلى الناس، ولا تكتف بالدعوة خفية، وسرا، وبلغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت منه شيئًا فما بلغت رسالته، وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت: **«من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئًا من الوحى فقد كذب»** (رواه البخارى)، ثم أخبر الله تعالى رسوله بأنه سيعصمه ويحفظه من الناس، ويا لها من بشرى.

ويروى أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان نائمًا، فجاء أعرابى، ورفع السيف عليه، ثم قال للرسول: من يعصمك منى الآن؟ فأجابه الرسول ﷺ قائلا: الله، فسقط السيف من يد الأعرابى، فتناوله الرسول ﷺ وقال للأعرابى: من يمنعك منى؟ فقال: كن خير آخذ فعفى عنه الرسول ﷺ فعاد الرجل إلى قومه يقول لهم: «جئتكم من عند خير الناس» ﷺ (رواه البخارى).

وعصمة الله للأنبياء هى حفظهم أولا بما خصهم الله تعالى به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الحسية والنفسية، ثم بالنصر وتثبيت الأقدام، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق. هكذا ذكر الأصفهانى فى «مفردات القرآن».

ومع ما من به على رسوله من العصمة، كان عليه الصلاة والسلام يدعو ربه بمثل قوله: **«اللهم أصلح**

لى دينى الذى هو عصمة أمرى»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**اللهم اعصمنى من الشيطان الرجيم**» (رواه ابن ماجة والطبرانى)، وقوله: «**واعصمنى فيما بقى من عمرى**» (رواه أحمد)،

ولقد عنى سيدنا رسول الله ﷺ بفضيلة الاعتصام بالله وما تفيضه على صاحبها المخلص فيها من الصيانة والرعاية، وقد روى البخارى قوله ﷺ: «**ما بعث الله من نبى، ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله**».

أى المعصوم من وقاه ربه وحماه من الوقوع فى الهلاك أو ما يجر إليه، وقال ابن حجر فى «فتح البارى» أن عصمة الله للأنبياء عليهم الصلاة والسلام هى حفظهم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفسية، والنصرة والثبات فى الأمور، وإنزال السكينة عليهم. والفرق بينهم وبين غيرهم أن العصمة فى حق الأنبياء بطريق الوجوب، وفى حق غيرهم بطريق الجواز.

ويعلمنا القرآن أن التجاءنا إلى الله، واعتمادنا عليه، واستمدادنا منه، هو المفتاح لعصمته لنا، ولا نجاة لنا دون هذه العصمة الواقية منه. ولذلك يقول سبحانه فى سورة الأحزاب: ﴿**قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًا وَلاَ نَصِيرًا**﴾ (سورة الأحزاب الآية ١٧). وقريب من هذا قوله فى سورة يونس: ﴿**مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ**﴾. وقوله فى سورة غافر: ﴿**يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ (آية ٣٣). وقوله فى سورة هود: ﴿**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**﴾ (آية ٤٣).

وقد أكد الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن باب الاعتصام بالله هو الاعتصام بكتابه قال: «**وإنى قد تركت فيكم ما لن تضلوا به أن اعتصمتم به كتاب الله**» (رواه مسلم)، وقال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا. وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

وأعطانا القرآن موقفا رائعا من مواقف الاعتصام بالله، والاستمساك بحبله وحماه، وهو موقف يوسف الصديق عليه السلام، حين تواطأت عليه قوى الإغراء المتجبر، فأبى واستعصم، يقول القرآن فى سورة يوسف: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ● وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ (سورة يوسف الآيات ٢٣، ٢٤).

ويقول أيضا: ﴿**قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ● قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ● فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (سورة يوسف ٣٢، ٣٤).

ومعنى قوله: ﴿**فَاسْتَعْصَمَ**﴾ هو أنه طلب ما يعتصم به من الاستجابة وركوب الفاحشة، أى تحرى ما يعصمه فلم يجد أمامه إلا الاعتصام بالله والالتجاء إلى حماه.

وللصوفية حديث طويل عن الاعتصام بالله، على طريقتهم الخاصة بهم، فهذا هو ابن القيم فى «مدارج السالكين» ينقل عنهم أنهم يجعلون الاعتصام بالله ثلاث درجات.

الأولى اعتصام عامة الناس بالخبر الوارد عن الله عز وجل، إذعانا وانقيادا واستسلاما، دون شك أو تردد أو منازعة، والدرجة الثانية أعلى منها وهى اعتصام الخاصة، وهو أن تنقطع النفس عن أغراضها، ولا تريد غير الله جل جلاله، والدرجة الثالثة وهى أعلى الدرجات عندهم، وهو اعتصام خاصة الخاصة، وهو أن يشهد الإنسان ربه وحده منفردا ولا شىء معه. اللهم هبنا نعمة الاعتصام بك، والاعتماد عليك.

مكارم الأخلاق فى شعر أحمد شوقى

أحمد شوقى

صار اسم أحمد شوقى فى نفسه قصيدة طبقت شهرته الآفاق، وحدا بشعره الركبان، فى مصر وخارجها على ألسنة العرب والمسلمين والمستشرقين؛ بل وسمع العوام شعره فطربوا له فى لحنه البديع، و أصحاب الصوت الشجى يتغنون به.

ولد شاعرنا فى مصر لجد كردى وجدة يونانية؛ فاختلط فى دمه جَلادَة الأكراد ودماثتهم، وحكمة اليونان، وأدب العرب، واستولت عليه الروح المصرية والطبيعة المصرية؛ فاكتسب من ثم هذه العبقرية فى الشعر والأدب. عُرف شوقى بأمير الشعراء منذ عام ١٩٢٧م، وبشاعر القصر، وشاعر الأمراء، وشاعر العروبة والإسلام؛ ويمكن لى أن أضيف إلى هذه الألقاب شاعر القيم والأخلاق والمبادئ.

كتب شوقى العديد من الأشعار فى العديد من الأحداث التاريخية العظمى، والقضايا المعاصرة، ويتميز شعره بالرصانة وجمال الحبكة، وبالحكمة وتمجيد القيم والدين، والدفاع عن الهُوية، والدعوة إلى مكارم الأخلاق. كتب فى شعره عن عظماء التاريخ فى القديم والحديث، وخاطب بشعره الملوك، وكتب للأطفال ديوانا خاصا، وأنشد قصيدته الرائعة فى مدح الأزهر وعلمائه يقول فيها:

قُم فى فَمِ الدنيا وحَىِّ الأزهرا
وانثر على سمعِ الزمانِ الجوهرا
واجعل مكانَ الدرِّ إن فصَّلتَه
فى مدحه خرزَ السماءِ النيِّرا
واذكُره بعدَ المسجدَينِ معظمًا
لمساجدِ اللهِ الثلاثةِ مكبرا
واخشع مليًا واقضِ حقَّ أئمة
طلَعوا به زُهرًا وماجوا أبحُرا
كانوا أجلَّ منَ الملوكِ جلالةً
وأعزَّ سُلطانًا وأفخمَ مظهرا
زمَنَ المخاوفِ كانَ فيه جنابُهُم
حرَمَ الأمانِ وكانَ ظلُّهُمُ الذُّرا

د. محمد محمد أبو لتلة*

يهتم شوقى فى شعره ونثره بالدعوة إلى الله والتمسك بالأخلاق وبالهوية الوطنية، وفى القلب من شعره اهتمامه بالدين والقيم الدينية .

يقول على سبيل المثال عن الدين والمروءة وهو يخاطب النيل:

دينُ الأوائلِ فيكَ دينُ مُروءة
لِمَ لايؤلِّه مَن يَقوتُ ويرزقُ
لو أنّ مَخلوقًا يُؤلّه لم تكن
لِسواكَ مَرتبةُ الألوهةِ تخلَقُ
جعَلُوا الهوى لك والوقارَ عبادةً
إنّ العبادَةَ خشيةٌ وتعلُّقُ

ومعنى تخلق أى تجدر(١).

اعتبر شوقى أن المروءة هى لُب ديانة قدماء المصريين ،وأن الحب عندهم يقترب من العبادة؛ وما العبادة إلا خشية وحضور فى معية المحبوب. ولقد تميز المصرى بحبه لوطنه وارتباطه بترابه وقيمه، ويقول:

الموردُونَ الناسَ منهلَ حكمة
أفضى إليه الأنبياءُ ليستَقوا
وتَبَيَّنوا معنى الوُجود فلَم يَروا
دونَ الخُلودِ سعادةً تتحقّقُ

منذ القدم والمصريون أصحاب حكمة أفاد منها الأنبياء الذين مروا على مصر أو عاشوا فيها؛ ولقد توصل المصريون إلى السر الحقيقى من وراء هذه الحياة، فربطوا بين الحياتين الدنيا والآخرة، وعملوا للموت والحساب، ورأوا أن السعادة فى الحياة

* أستاذ بجامعة الأزهر.

وهما معا يعينان على حمل الرسالة التى من أجلها خُلق الإنسان .

وفى نفس القصيدة يقول شوقى عن عمر ابن الخطاب وعن فتح مصر:

بعث الصحابة يحملون من الهدى
والحق ما يحيى العقول ويفتق
تطوى البلاد لهم وينجد جيشهم
جيش من الأخلاق غاز مورق
فى الحق سُلَّ وفيه أغمد سيفهم
سيف الكريم من الجهالة يفرَق

ومعنى يفرق: يحذر ويخاف من أن يظلم أو يجور على حق أحد.

يقرر شوقى أن جيوش المسلمين تأسست على التقوى والحق، وكانت تحكمها الأخلاق، لا البغى والعدوان؛ لذلك فقد كان هذا الجيش يخرج صغيرًا فى عَدده وعُدده ثم لم يلبث أن يكثر عَدده بمن ينضم إليه من أهالى البلاد المفتوحة الذين وجدوا فيه العدل والرحمة والتسامح؛ فلا قداسة إذًا للحرب؛ حتى وإن كانت باسم الدين؛ اللهم إلا إذا كانت لدفع الظلم، وتمكين العدل، واحترام حقوق الإنسان والدفاع عنها؛ وكانت المصلحة فيها دفاعًا عن الحق، وحماية للحريات لا للمصالح الآنية، والمنافع المادية، والدعوة إلى الله، وإبلاغ رسالته لعموم الناس بالحكمة والموعظة الحسنة تعد من صميم هذه الحقوق.

ولشوقى نشيد فى حب مصر وأهلها لحنَّه له سيد درويش عام ١٩٢١م وفاز بجائزة مسابقة التلحين يقول فيه:

عَلى الأخلاقِ خُطّوا المُلكَ وَابنوا
فَلَيسَ وَراءَها لِلعِزِّ رُكنُ

والتفكير فى الدين، والتذكير به، واستلهام عظمته وفيوضاته الروحية جد ظاهر فى وعى شوقى الإنسان والشاعر؛ هذا على الرغم مما كان يحيط به من زخارف الدنيا، ومُتعها وصوارفها الكثيرة. والملاحَظ أن أمير الشعراء لم يوظّف الدين

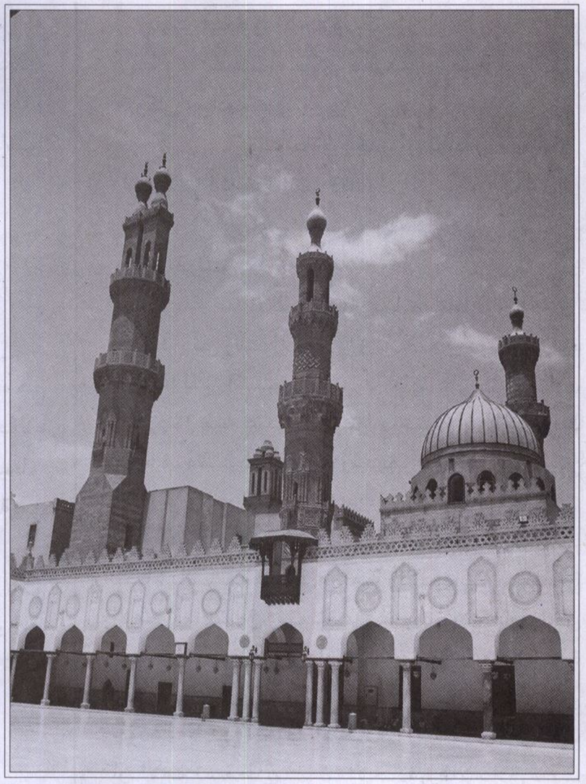

الأبدية التى تكون بعد هذه الحياة.

ويقول عنهم أيضًا ـ وما أحوج المصريين اليوم أن يقال عنهم ذلك ـ:

قَومٌ وَقارُ الدينِ فى أَخلاقِهِم
وَالشَعبُ ما يَعتادُ أَو يَتَخَلَّقُ
وَاِستَحدَثَت دينًا فَكانَ فَضائِلاً
وَبِناءَ أَخلاقٍ يَطولُ وَيَشهَقُ

حقًّا إن الدين أخلاق ومعاملة وسلوك لابد أن نعتادها حتى تكون لنا بمثابة الطبيعة الثانية؛ وأن الأخلاق والقيم الدينية الفاضلة لابد أن تكون عملية ظاهرة فى سلوك الناس ومعاملاتهم؛ لا فى كلامهم وخطبهم ومواعظهم وأشعارهم وأمثالهم فحسب؛ وإن الذى لايكتسب من جمال الطبيعة التى يعيش فيها جمالاً فى طبعه ورقةً فى نفسه هو غير صحيح النسبة إلى بلده ووطنه، ولاصحيح الانتماء إلى دينه؛ فالخَلق والخُلق كلاهما من فعل الله تعالى،

توظيفًا أدبيًا باعتباره شكلاً تراثيًا أو رمزًا أو أسطورة وإنما باعتباره جوهرًا، ومنهج حياة، وغذاءً للروح، وضياء للعقل، ونورًا للقلب والوجدان .

ولنقرأ له هذه الأبيات عن الأنبياء الذين عاشوا فى مصر وخالطوا أهلها.

لهم الحب خالصا من رعايا
هم وكل الهوى لهم والولاء
إنما ينكر الديانات قوم
هم بما ينكرونه أشقياء

صحيح ما يقوله شوقى:فإن أشقى الأشقياء هم الذين ينكرون الأديان، ولا يؤمنون بالله تعالى، وهؤلاء الجاحدون إنما يعيشون على أرض ليس لها سماء، وطين ليس فيه حياة ولا نماء، وقلوب خالية من الإيمان، وضمائر خاوية من اليقين .

واقرأ له، وهو يتكلم عن الحالة الوثنية لأمم ما قبل الإسلام، وكيف توارى العلم، وبرزت الرذائل، وكشَّر الجهلاء والحمقى عن أنيابهم؛ يقول:

أظلم الشرق بعد قيصر والغر
ب وعم البرية الإدجاء
فالورى فى ضلاله متماد
يفتك الجهل فيه والجهلاء
عَرَف الله ضلَةً فهو شخص
أو شهاب أو صخرة صماء
وتولى على النفوس هوى الأو
ثان حتى انتهت له الأهواء
فرأى الله أن تُطهر بالسيـ
ـف وأن تَغْسل الخطايا الدماء
وكذاك النفوس وهى مِرَاضٌ
بعض أعضائها لبعض فداء

معنى كلام شوقى فى الأبيات السابقة أن الجهاد قيمة وأخلاق ، وأنه فى جانبه القتالى إنما كان لتطهير الأرض من الفساد والمفسدين بعد أن استعصت الأمراض المزمنة على كل أنواع العلاج الأخرى، ولم يكن بأى حال من الأحوال لجلب الغنائم أو فرض الإيمان على الناس بالقوة.

ويقول عن الأخلاق وهو يمدح رسول الله ﷺ:

بَنَيت لَهُم مِنَ الأَخلاقِ رُكنًا
فَخانوا الرُكنَ فَانهَدَمَ اضطِرابا
وَكانَ جَنابُهُمْ فيها مَهيبًا
وَلَلأَخلاقِ أَجدَرُ أَن تُهابا
فَلَولاها لَساوى اللَيثُ ذِئبًا
وَساوى الصارِمُ الماضى قِرابا
فَإِن قُرِنَت مَكارِمُها بِعلمٍ
تَذَلَّلَتِ العُلاَ بِهِما صِعابا

لقد بنى رسول الله ﷺ للأخلاق دولة عزيزة الجناب؛ لكن المسلمين لم يحافظوا على هذا البناء، بل فرطوا فيه عندما تفرقوا واختلفوا؛ فاضطربت أمورهم، وفشلوا، وذهبت ريحهم؛ فلم يعد لهم تأثير يذكر فى واقع الحياة.

إن الأخلاق هى التى توفر الهيبة والقوة، وتماسك النظام بالنسبة للفرد والأمة والإنسانية جمعاء. والأمم إنما تتفوق وتتميز عن غيرها بالأخلاق وليس بالعلم أو الثروة أو الأيدلوجيات وحدها، والحضارة لا تنمو ولا تزدهر، ولا يمكن أن تحافظ على وجودها إلا فى محيط الأخلاق وبسند منها؛ وكذلك فإن الأمم تسقط بسقوط الأخلاق؛ فالأخلاق سبب الأسباب فى تماسك الإنسانية، وفى إنشاء تلك الحضارات وازدهارها وفى علاقة الناس بعضهم ببعض؛ وتحصين المجتمع من الانهيار .

وفى نفس السياق يقول شوقى:

وَإِذا ما أَصابَ بُنيانَ قَومٍ
وَهْىُ خُلقٍ فَإِنَّهُ وَهْىُ أُسِّ

والوهى: الوهن والضعف الشديد. والأس: قاعدة البناء، فأول ما ينهار فى الأمة أخلاقها؛ فإذا انهارت الأخلاق سقط على إثرها كل شىء.

وهكذا يرى شوقى أن الأخلاق تمثل قاعدة البناء فى أى مجتمع أو أى حضارة؛ فإذا أصابها ضعف أو وهن فهذا راجعٌ إلى ضعف الأخلاق ووهنها. وأى مشكلة فى المجتمع لا تُحل إلا عن طريق الأخلاق؛ لأن الأخلاق هى بمثابة مركز العصب لكل الوجود الإنسانى، وما هذه الكوارث والمفاسد التى تضرب فى صميم كيان المجتمعات البشرية اليوم إلا نتيجة مباشرة لضعف الأخلاق وانتشار الفساد.

ومن قصيدته فى التحسر على ضياع الأندلس والتحذير من التفرق يقول:

حِصنُ غرناطَةَ وَدارُ بَنى الأحـ
مَرِ مِن غافلٍ ويَقظانَ نَدسِ
آخرَ العَهد بالجَزيرةِ كانَتْ
بَعدَ عَركٍ مِنَ الزمانِ وَضَرسِ
فَتَراها تَقولُ رايَةُ جَيْشٍ
بادَ بالأمسِ بَينَ أسرٍ وَحَسّ
وَمَفاتيحُها مَقاليدُ مُلكٍ
باعَها الوارِثُ المُضيعُ بِبَخسِ

وتوالت المأسـاة، وتتـابعت الهـزائم، والوارثون للأوطان يسرقون ويُسرقون ، مضيعون أو مسلوبون لا يأبهـون ولا يتـعظون؛ وهكذا سـقطت الأندلس بسقوط الأخلاق.

ويقول فى تمجيد قيمة العمل بصيغة وعظية جميلة:

وَاطلُبِ الخُلدَ وَرُمهُ مَنزِلاً
تَجِد الخُلدَ مِنَ التاريخِ بابا
عاشَ خَلقٌ وَمَضَوا ما نَقَصوا
رُقعَةَ الأرضِ وَلا زادوا التُرابـا
أخَذَ التاريـــخُ ممّا تَركوا
عَمَلاً أحسَنَ أو قَولاً أصابا
وَمِنَ الإحسانِ أو مِن ضِـدِّه
نَجَحَ الراغِبُ فى الذِكرِ وَخابا
مَثَلُ القَومِ نَسوا تاريخَهُمْ
كَلَقيطٍ عَىَّ فى الناسِ انتِسابا
أو كَمَغلوبٍ عَلى ذاكِرَةٍ
يَشتَكى مِن صِلَةِ الماضى انقِضابا

اطلب الخلد، أى اعـمَل على دوام الذكـر فى الدنيا، والفوز بالخلود فى الآخرة؛ فإن من لا يعمل لدينه ودنياه يجرفه سيل الحياة العاتى؛فبالعمل تجد لك مكانا فى التـاريخ وإلا طحنك التـخلف وأبادك الفساد من الوجود .

ويقول فى ضرورة الجمع بين الدنيا والآخرة:

فلا تحتقر عالمًا أنت فيه
ولا تجحد الآخر المنتظر
وخذ لك زادين من سيرة
ومن عمل صالح يدخـر
وكن فى الطريق عفيف الخطا
شريف السماع كريم النظـر
ولا تخل من عمل فوقه
تعش غير عبد ولا محتقر
وكن رجلاً إن أتوا بعده
يقولون مر وهذا الأثر

ومن قـصـيـدة له ألقاها فى مـؤتمـر جنيف فى سبتمبر ١٨٩٤ م:

يولَدُ السَيِّدُ المُتَوَّجُ غَضًّا
طَهَّرَتهُ فى مَهدِها النَعماءُ
لَم يُغَيِّرهُ يَومَ ميلادِه بُؤ
سٌ وَلا نالَهُ وَليداً شَقاءُ
فَإِذا ما المُمَلـونَ تَوَلَّو
هُ تَوَلّى طِباعَهُ الخُيَلاءُ
وَسَرى فى فُؤادِه زُخرُفُ القَو
لِ تَراهُ مُستَعذَبًا وَهوَ داءُ
فَإِذا أبيَضُ الهَديلِ غُرابٌ
وَإِذا أبلَجُ الصَباحِ مَساءُ

هذا هو عمل المنافقين والمتملقين فى المجتمعات ؛ ينحـرفـون دائمـا بالطبـيـعـة السـوية إلى ذميم الأخلاق؛ كالكبرياء والخيلاء والتعالى على الناس ثم ظلمهم، وهضم حقوقهم.

وفى السياق نفسه يقول هذه الأبيات الرائعة فى فضيلة حب الوطن:

كُن إِلى المَوتِ عَلى حُبِّ الوَطَن
مَن يَخُـن أوطانَهُ يَومًا يُخَن
وَطَنُ المَرءِ حِماهُ المُفتَدى
يَذكُرُ المِنَّـةَ مِنـهُ وَاليَدا
قَد عَرَفتَ الدارَ وَالأهلَ بِه
كُلُّ حُبٍّ شُعبَـةٌ مِن حُبِّهِ
هُوَ مَحبوبُكَ بادٍ مُحتَجِب
يَعرِفُ الشَـوقَ لَهُ مَن يَغتَرِب
لَكَ مِنهُ فى الصِبا مَهدٌ رَحيم
فَإِذا وُريتَ فَالقَبرُ الكَريم

ويواصل كلامه فى سياق حب الوطن فيوصى بالأيتام والضعاف فى المجتمع خيرًا كما يوصى باجتناب الرذائل توصلا إلى سعادة الدنيا والآخرة فيقول:

وَاعمَلِ الخَيرَ فَإِن عِشتَ لَقى
طَيِّبَ الحَمدِ وَإِن مُتَّ بَقى
مَن يَمُت عَن مِنَّةٍ عِندَ يَتيم
فَرَحيمٌ سَوفَ يُجزى مِن رَحيم
كُن كَريمًا إِن رَأى جُرحًا أَسا
وَتَعَهَّد وَتَوَلَّ البُؤسَا
وَاسخُ فى الشِدَّةِ وَازدَد فى الرَخاء
كُلُّ خُلقٍ فاضِلٍ دونَ السَخاء
فَبِهِ كُلُّ بَلاءٍ يُدفَعُ
لَستَ تَدرى فى غَدٍ ما يَقَعُ
جامِلِ الناسَ تَحُز رِقَّ الجَميع
رُبَّ قَيدٍ مِن جَميلٍ وَصَنيع
عامِلِ الكُلَّ بِإِحسانٍ تُحَب
فَقَديماً جَمَّلَ المَرءَ الأَدَب
وَتَجَنَّب كُلَّ خُلقٍ لَم يَرُق إِنَّ
ضيقَ الرِزقِ مِن ضيقِ الخُلُق
وَتَواضَع فى ارتِفاعٍ تُعتَبَر
فَهُما ضِدّانِ كِبرٌ وَكِبَر
كُلُّ حَىٍّ ما خَلا اللَهَ يَموت
فَاترُكِ الكِبرَ لَهُ وَالجَبَروت
وَأَرِح جَنبَكَ مِن داءِ الحَسَد
كَم حَسودٍ قَد تَوَفّاهُ الكَمَد
وَإِذا أُغضِبتَ فَاغضَب لِعَظيم
شَرَفٍ قَد مُسَّ أَو عِرضٍ كَريم
وَتَجَنَّب فى الصَغيراتِ الغَضَب
إِنَّهُ كَالنارِ وَالرُشدُ الحَطَب
اطلُبِ الحَقَّ بِرِفقٍ تُحمَدِ
طالِبُ الحَقِّ بِعُنفٍ مُعتَدِ
وَاعصِ فى أَكثَرِ ما تَأتى الهَوى
كَم مُطيعٍ لِهَوى النَفسِ هَوى

ويقول فى قصيدته «رمضان ولّى هاتها يا ساقى» وهو يرثى لحال الوطن حتى إنه لم يفرح لقدوم العيد والشعب المصرى على هذا النحو من التفرق والتمزق:

وَطَنى أَسِفتُ عَلَيكَ فى عيدِ المَلا
وَبَكَيتُ مِن وَجدٍ وَمِن إِشفاقِ
لا عيدَ لى حَتّى أَراكَ بِأُمَّةٍ
شَمّاءَ راوِيَةٍ مِنَ الأَخلاقِ
ذَهَبَ الكِرامُ الجامِعونَ لِأَمرِهِم
وَبَقيتُ فى خَلَفٍ بِغَيرِ خَلاقِ
أَيَظَلُّ بَعضُهُمُ لِبَعضٍ خاذِلاً
وَيُقالُ شَعبٌ فى الحَضارَةِ راقِ
وَإِذا أَرادَ اللَهُ إِشقاءَ القُرى
جَعَلَ الهُداةَ بِها دُعاةَ شِقاقِ
العيدُ بَينَ يَدَيكَ يا ابنَ مُحَمَّدٍ
نَثَرَ السُعودَ حُلىً عَلى الآفاقِ
بَلَغَ الكِرامُ المَجدَ حينَ جَرَوا
لَهُ بِسَوابِقٍ وَبَلَغتَهُ بِبُراقِ

ويقول عن صبيحة عيد الفطر:

يَتَنَزَّلُ الأَجرانِ فى صُبحَيهِمَا
جَزلَينِ عَن صَومٍ وَعَن إِنفاقِ
إِنّى أُجِلُّ عَنِ القِتالِ سَرائِرى
إِلّا قِتالَ البُؤسِ وَالإِملاقِ
وَأَرى سُمومَ العالَمينَ كَثيرَةً
وَأَرى التَعاوُنَ أَنجَعَ التِرياقِ

وبهذا يتبين عمق الوعى الدينى، والسمو الروحى والخلقى عند أمير الشعراء؛ ففى معظم قصائده راح يمجد الأخلاق، ويدعو إليها، ويحببها إلى النفوس، ويبين لقرائه الآثار المدمرة لسوء الأخلاق سواء على مستوى الفرد أو الأسرة والمجتمع.

الهوامش:

١ ـ الشوقيات تحقيق على عبد المنعم لونجمان ٢٠٠٠ صـ ٥٧٦ .
٢ ـ يوسف نوفل عيون الشعر العربى الحديث صـ٩٦.
٣ ـ الشوقيات ٧٠ / ٧٤ .
٤ ـ الشوقيات ٥٢/٢.
٥ ـ الشوقيات ٥٢/٢.
٦ ـ الشوقيات ١٧/١-٣٢ تقديم حسين هيكل دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.
٧ ـ جـ٢ صـ٨٢ .
٨ ـ جـ٢ صـ٥٢ .

الشكر حقيقته وفضله وثمراته

د. طه عبدالسلام خضير*

الشكر طاعة مخصوصة يقدمها الإنسان لمن أنعم عليه اعترافًا بفضله، والشكر لمن فوقك يكون بالطاعة، ولمثيلك ونظيرك يكون بالمكافأة، ولمن تحتك يكون بالفضل والإحسان.

ولقد أفاض العلماء فى تعريف الشكر وذكروا تعريفات تتلاقى كلها حول عنصرين لا تخرج عنهما وهما :

بذل الجهد فى طاعة الله عز وجل.

اجتناب معاصيه فى السر والعلن.

والشكر مقام عظيم، وهو أسمى من مقام الرضا لأنه بمثابة الدليل على صدقه وتحقق السالك به.

وفضيلة الشكر من أسمى الفضائل وأعظمها قدرًا لأنها تقرب العبد من مولاه وتجعله موضع حبه ورضاه والشكر من مقامات المقربين، وهو خلق من أخلاق الربوبية. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (التغابن: ١٧)، وقد حث الله تبارك وتعالى على الشكر فى كثير من آياته، ولعظيم مقام الشكر قرنه بذكره تعالى فقال: ﴿فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِى وَلاَتَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢). كما أخبر جل شأنه أنه لا يعذب قومًا ما داموا مؤمنين شاكرين. فقال: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٧) والشكر مفتاح كلام أهل الجنة فى الجنة: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ• وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ (الزمر: ٧٣، ٧٤).

ومن تأمل الكتاب الكريم وتدبر آياته. ظهر له أن كثيرًا من الأمور قد علقها الله تعالى على المشيئة، كالرزق مثلاً. فقال تعالى: ﴿**يرزق من يشاء**﴾. وكالمغفرة ﴿**ويغفر لمن يشاء**﴾. وكالتوبة ﴿**ويتوب الله على من يشاء**﴾. وكالغنى: ﴿**فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ**﴾ (التوبة : ٢٨)، بل إن إجابة الدعاء معلقة بمشيئته تبارك وتعالى؛ إذ يقول: ﴿**بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**﴾ (الأنعام: ٤١).

أما جزاء الشكر فإن الله عز وجل لم يعلقه على مشيئة كما علق غيره، بل جعله منجزًا فقال تبارك وتعالى: ﴿**وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (آل عمران : ١٤٤). وقال: ﴿**سَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ**﴾

* أستاذ بجامعة الأزهر.

(آل عمران : ١٤٥).

وقال تعالى: ﴿**نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ**﴾ (القمر: ٣٥).

ولقد أثنى الله تبارك وتعالى على أنبيائه بهذا الشكر العظيم فقال فى أمر نوح عليه السلام: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إنه كان عَبْدًا شَكُورًا**﴾ (الإسراء : ٣).

وأى جزاء، بل أى إكرام أعظم من من إكرام الله لنبيه وخليله إبراهيم عليه السلام؛ جزاء شكره لأنعم ربه، يقول تبارك وتعالى: ﴿**إن إِبْرَاهِيمَ كان أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ• شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ• وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ (النحل: ١٢٠ : ١٢٢)

بل إنه عز وجل علق المزيد من الخير على دوام شكره، ولا ينقطع المزيد من العطاء إلا بانقطاع الشكر، بذلك وعد وعدًا مؤكدًا فقال: ﴿**وإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ (إبراهيم: ٧).

ولما عرف عدو الله إبليس قدر الشكر وعظيم مقامه جعل قصارى جهده ومبلغ همه فى أن يصرف الناس عن الشكر ويقطعهم عنه، والقرآن يحكى قوله فيقول: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ• ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾ (الأعراف: ١٦ : ١٧).

والشكر أول وصية وصى الله بها الإنسان بعدما عقل، وعرف أن له ربًا قال تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ (لقمان : ١٤).

ولما كان الشكر مقامًا لا يبلغه إلا الصفوة الممتازة من العابدين وهم قلة فإن الله تعالى يقول: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ (سبأ : ١٣).

وفى عظيم فضل الشكر والشاكرين يقول ﷺ: «**ينادى يوم القيامة ليقم الحمادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة**». قيل: يا رسول الله من الحمادون؟، فقال عليه الصلاة والسلام: «**الذين يشكرون الله على كل حال**». (حلية الأولياء لأبى نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه).

الشكر إذًا ديدن الصديقين من الأنبياء وصفوة الصالحين، أما إمام الشاكرين بحق وأما سيد الحمادين بإطلاق فهو الرسول الأعظم والنبى الأكرم محمد ﷺ الذى كان يقوم الليل حتى تتورم منه القدم ولما سئل فى ذلك. قال: «**أفلا أكون عبداً شكورا ...**» (رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها).

ولقد روى أن عطاء بن يسار دخل - ومعه بعض أصحابه - على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقال: أخبرينا بأعجب شىء رأيته من رسول الله ﷺ، قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالى، قال: «**يا عائشة ذرينى أتعبد الليلة لربى**». قلت: والله إنى لأحب قربك، وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلى، قالت: فلم يزل يبكى حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكى حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكى حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكى، قال: يا رسول الله، لم تبكى وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟، قال: «**أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت علىَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾**» (آل عمران: ١٩٠) (صحيح ابن حبان).

أركان الشكر

وأركان الشكر التى لابد منها ثلاثة:

الركن الأول: اعترافك بنعم الله تعالى عليك.

الركن الثانى: ثناؤك على المنعم بسبب إنعامه عليك.

الركن الثالث: أن تستعين بالنعمة على إرضاء المنعم. ولذلك قال بعضهم : الشكر ألا تتقوى بنعم الله على معاصيه.

ولكن هناك كثيرًا من الناس يستخدم نعمة الله تعالى فى معصيته، وفى هؤلاء يقول الشاعر :

أنالك رزقه لتقوم فيه
بطاعته وتشكر بعض حقه
فلم تشكر لنعمته ولكن
قويت على معاصيه برزقه

كيفية الشكر

ليس لشكر النعمة كيفية معينة، وإنما لكل نعمة شكر يناسبها، فهو يختلف باختلاف النعم، فنعمة الصحة شكرها مساعدة الضعفاء ومعاونة المرضى وإغاثة الملهوف وبذل الجهد فى سبيل نصرة الوطن والحق والدين، ونعمة المال شكرها أن تكون سخيًا جوادًا كريمًا بالإنفاق فى وجوه الخير والعطف على الفقراء والمساكين، ونعمة الأولاد شكرها أن تحسن تربيتهم على الدين وكريم الأخلاق، ونعمة العلم شكرها أن تكون دائم التوجيه، والنصح والإرشاد، وألا تبخل على أحد بعلمك، ونعمة الجاه شكرها أن تيسر مصالح الناس، وأن تقضى حوائج العباد من غير إذلال لهم، ولا إهدار لكرامتهم.

وأد زكاة الجاه واعلم بأنها
كمثل زكاة المال تم نصابها

ولابد أن يكون الشكر بالقلب واللسان وبجميع الجوارح، فأما شكر القلب بأن يكون راضيًا بما قضاه المنعم وقدره، وأما شكر اللسان بأن يلهج بالحمد والثناء على الله.

إن كثيرًا من الناس من إذا سألته عن حاله، أجابك بكلمات تعنى أنه بخير مثل : على ما يرام، أو : تمام، أو : بخير، وغيرها من الكلمات، ولا يحمد الله تعالى على نعمة أنه بخير، وليس هذا من خلق المسلم الشاكر أنعم الله تعالى، بل الصواب أن يختم المسلم جوابه بحمد الله تعالى وشكره؛ فلقد سأل رسول الله ﷺ رجلاً فقال له: «**كيف أصبحت؟**»فقال الرجل: بخير يا رسول الله. فأعاد الرسول عليه السؤال مرة ثانية فقال الرجل: بخير يا رسول الله. فأعاد الرسول السؤال مرة ثالثة فقال الرجل: بخير والحمد لله يا رسول الله. فقال النبى ﷺ: «**هذا الذى أردت منك**» (رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما).

ولا يظن إنسان مهما كان مريضًا أو فقيرًا أو ضعيفًا أنه لا يجب عليه الشكر، وأنه مادام لا يملك ثروة عظيمة أو جاهًا كبيرًا فلا شكر عليه ؛ فإن الشكر واجب على كل إنسان، صحيحًا كان أو مريضًا، غنيّا كان أو فقيرًا، ضعيفًا كان أو قويًا، ففى الحق أنه ما من كائن فى هذا الكون إلا وهو مغمور بنعم الله تعالى، حتى أصغر الحيوانات وأضعف الكائنات، والغريب أن هذه الكائنات أكثر شكرا لله من الإنسان، الذى هو أكثر نعمًا منها. يقول تعالى: **﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إنه كان حَلِيمًا غَفُورًا﴾** (الإسراء: ٤٤).

الشكر ديدن الصديقين من الأنبياء وصفوة الصالحين

وتذكر آية من كتاب الله أن الكائنات أكثر شكرًا لله من الإنسان، فقال سبحانه: **﴿أَلَمْ تَرَ أن اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَمَن فِى الأرضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾** (الحج : ١٨)، فلم يقل عز من قائل بعض النجوم، وبعض الجبال، وبعض الدواب، ولكنه قال: «وكثير من الناس ـ وليس جميع الناس ـ ثم قال تعالى ـ وكثير حق عليه العذاب ـ والمفروض أن يكون الإنسان الذى هو أكثرها شكرًا لأنه أكثرها نعمًا.

يروى ابن القيم فى كتابه ـ عدة الصابرين ـ عن

صدقة بن يسار يقول: بينما كان نبى الله داود جالسًا فى محرابه إذ رأى ذرة فنظر إليها وتعجب منها لضآلتها ثم قال: ما يعبؤ الله بهذه وكأنما استهان بها لشدة صغرها. فأراد الله أن يعطيه درسًا فى احترام المخلوقات، فأنطق الله الذرة بعد أن أسمعها ما قال داود. فقالت: ياداود أتعجبك نفسك؟ فوالذى نفسى بيده لأنا على ما آتانى الله من فضل أشكَر منك على ما آتاك الله من فضله.

على أن الله قسم نعمه بين خلقه بمنتهى الحكمة والعدالة فما حرم أحدًا من جميع النعم وما جمع الدنيا كلها لإنسان، وإنما أعطى من يشاء ما يشاء بما يعلم أنه يناسبه وينفعه ويصلح شأنه. وقد جاء ذلك واضحًا فى الحديث القدسى، يقول الله عز وجل: «**إن من عبادى من لايصلح له إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادى من لا يصلح له إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادى من لا يصلح له إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادى من لا يصلح له إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، إنى أدبر لعبادى، إننى بهم خبير بصير**» (أخرجه الترمذى والبيهقى والحاكم والطبرانى، كلهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألبانى).

ومن كمال تدبيره وتمام حكمته فى إعطائه ومنعه أن من أعطاه نعمة المال لم يعطه نعمة الأولاد، ومن أعطى المال والأولاد لم يعط نعمة الصحة، ومن أوتى نعمة المال والأولاد والصحة،لم يؤت نعمة العلم، ومن أوتى ذلك كله لم يرزق الهداية والتوفيق.

والحكمة فى ذلك أن الدنيا ليست دار مقام وأن نعيمها ليس له دوام. يقول تعالى: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ (الزخرف: ٣٢).

ورسول الله ﷺ يوجهنا إلى أمر مهم فى احترام النعمة ووجوب شكرها فيقول: «**إذا أراد أحدكم أن يرى قدر نعمة الله عليه فلينظر إلى من تحته، ولا ينظر إلى من فوقه**» (رواه الترمذى وأحمد عن أبى هريرة رضي الله عنه ورواه البيهقى فى الشعب عن أنس رضي الله عنه).

والعاقل الرشيد ينظر فى أمور الدنيا إلى من تحته ليعرف فضل الله عليه، وأنه أعطى ما حرم منه الكثيرون، وينظر فى أمور الدين إلى من فوقه ليقتدى به وليشاركه خيره وفضله. لقد قال داود لربه يومًا: يا رب أخبرنى ما أدنى نعمتك على قال: تنفس فتنفس فقال الله تعالى: «**هذا أدناها**» (فيض القدير للمناوى ٣١٨/٥)، فمن يحصى هذه النعمة آناء الليل وأطراف النهار؟! ذلك أن فى كل لحظة نفسًا وفى كل نفس نعمة، بل خروجه نعمة ودخوله نعمة، فأى عداد يستطيع إحصاء هذه النعم الدائمة بدوام حياة الإنسان.

ولقد شكا رجل إلى يونس بن عبيد الزاهد فقره وسوء حاله. فقال له يونس: يا هذا أيسرك أن تبيع بصرك بمائة ألف درهم. فقال: لا. قال أفترضى أن تبيع سمعك بمائة ألف درهم. قال: لا. قال: فيديك بمائة ألف درهم. قال: لا. قال: فرجليك بمائة ألف درهم. قال: لا. قال: عجبًا لك تشكو مولاك وله عندك ما يساوى مئات الألوف (جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى ٧٦/٢ تحقيق الأرناؤوط).

على أن الخير ليس محصورًا فى المال ولا فى الأولاد ولا فى الجاه، بل قد يكون الخير فى غير ذلك كله، يروى ابن عباس - رضى الله عنهما - عن رسول الله ﷺ: «**أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة، قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وبدنًا على البلاء صابرًا، وزوجة لا تبغيه حوبًا فى نفسها ولا فى ماله**» (رواه الطبرانى والبيهقى عن ابن عباس بإسناد جيد).

مظاهر شكر النعمة

إن مقتضى شكر النعمة إذا وسع الله عليك أن يظهر أثر هذه النعمة عليك وعلى من تعولهم فى الحياة العامة من مسكن ولباس وغذاء وتعليم... إلى غير ذلك مما يليق بحالك. يقول تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ (الضحى: ١١).

ويروى شعبة عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص أن أباه أتى رسول الله ﷺ قشف الهيئة - يعنى فى هيئة تقشف - فقال له رسول الله ﷺ: «**هل لك من مال؟**». قال نعم. قال: «**من أى المال؟**». فقال الرجل: من كل المال. قد أتانى الله من الإبل والخيل والرقيق والغنم. فقال عليه الصلاة والسلام: «**فإذا أتاك الله**

مالاً فلير عليك» (رواه أحمد والطبرانى والبيهقى بإسناد صحيح على شرط مسلم وأبو الأحوص هو: مالك بن عوف بن نضلة الجشمى، وأبوه: عوف بن نضلة الجشمى من الصحابة)، يعنى فليظهر أثر هذا المال عليك فى مظهرك. ويقول عليه الصلاة والسلام: «**كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير مخيلة ولا سرف. فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**» (رواه الإمام أحمد فى المسند عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده بإسناد صحيح).

ولقد فضل الله الغنى الشاكر على الفقير الصابر، لأن الفقير الصابر لا يملك إلا أن يصبر، أما الغنى فإنه يستطيع أن ينفق ماله فيما يغضب الله بدلاً من أن ينفقه فيما يرضيه وفى معاصيه بدلاً من أن ينفقه فى الطاعات فإذا ما بذل هذا المال فى طاعة الله ورضاه فقد استحق بذلك التكريم والتقدير.

ثمرات شكر النعمة

وللشكر فى حياة المؤمن ثمرات طيبة وفوائد جليلة ومن أعظم هذه الثمرات أنه ضمان وتأمين لبقاء النعمة ذلكم أن المعاصى تذهب بالنعم. يقول الشاعر:

إذا كنت فى نعمة فارعها

فإن المعاصى تزيل النعم

ومصداق ذلك قول رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**» (رواه ابن ماجة وأحمد والنسائى وابن حبان والبيهقى وهو حديث صحيح عن ثوبان).

ومن هذه الثمرات كذلك أنه ضمان لزيادة النعمة فإن الله عز وجل علق الزيادة فى النعمة بالزيادة فى الشكر دونما حدود ولا قيود. يقول تبارك وتعالى ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ (إبراهيم: ٧).

ولذلك يسمون الشكر بالحافظ الجالب.

حافظ لأنه يحفظ النعمة الموجودة، وجالب يجلب النعمة المفقودة.

ومن ثمرات الشكر إجابة الدعاء. فقد روى الإمام أحمد عن وهب. قال: بلغنى أن نبى الله موسى عليه السلام مر برجل يدعو ويتضرع. فقال موسى: يا رب ارحمه؛ فإنى قد رحمته. فأوحى الله إليه لو دعانى حتى تنقطع قواه ما استجبت له حتى ينظر فى حقى عليه.

على أن الشاكر مهما بذل من طاعات وعبادات فلن يوفى المنعم حقه، ولن يدخله ذلك الجنة، إنما يدخلها بمحض فضل الله تعالى عليه، لا بكثير عمله، يؤكد هذا المعنى ما ذكره ابن القيم فى عدة الصابرين: إن عابداً عبد الله خمسين سنة، وكأنما ألقى الشيطان فى نفسه الغرور بكثرة العبادة، ثم نام الرجل، فأوحى الله إليه: إنى قد غفرت لك.

فقال الرجل: يارب، وما تغفر لى ولم أذنب؟

فأذن الله لعرق فى عنقه يصرخ عليه، فجعل الرجل يتألم، ولم يستطع أن يصلى ولا أن ينام.

وبعد فترة تأديبية أذن للعرق أن يسكن فسكن، فاستراح الرجل ونام، فجاءه ملك فى منامه، فجعل العابد يشكو للملك ما أصابه.

فقال له الملك: يا هذا، إن ربك يقول لك: إن عبادتك خمسين سنة تعدل سكون العرق.

ويؤكد هذا المعنى الحديث الذى رواه زيد بن ثابت وعبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ: «**لو أن الله تعالى عذب أهل السماوات وأهل الأرض لعذبهم جميعاً، وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم**» (رواه أحمد والطبرانى وابن ماجه والبيهقى بإسناد قوى).

ومن تمام شكر النعمة أن يشكر الإنسان كل من أسدى إليه معروفاً، فإن رسول الله ﷺ يقول: «**من أتى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافئتموه**» (رواه أحمد وأبو داود عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما).

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر**» (رواه الإمام أحمد).

على أن الشاكر مهما بذل من طاعات وعبادات فلن يوفى المنعم حقه، ولن يدخله ذلك الجنة إنما يدخلها بعظيم فضل الله لا بكثير عمله، وهذا إمام الشاكرين وسيد الخلق محمد ﷺ يقول لأصحابه: «**لن ينجى أحداً منكم عمله**. قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل**» (متفق عليه من حديث أبى هريرة).

جعلنا الله من عباده الشاكرين الحمادين له فى كل حال، آمين

أثر الصدق فى انتشار الإسلام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن الصدق ليهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا

متفق عليه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من اشتهر بين قومه ـ قبل مبعثه ـ بالصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه الموصوفين بـ ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣) فكانوا بين الأمم من السابقين رغم كونهم الآخرين، وبعد،

فإنه من الحقائق الثابتة فى تاريخ هذا الدين العظيم أن نبيه محمداً ﷺ توفى ولم ينتشر الدين خارج حدود شبه الجزيرة العربية، ومن الحقائق المتفق عليها أيضاً أن محمداً ﷺ كان معروفًا بين قومه ـ قبل بعثته ـ بالصادق الأمين، ولما كان من عادة الناس أن يؤمنوا بشخصية الداعى قبل إيمانهم برسالته فإن كفار مكة لم يستطيعوا أن ينعتوه بالكذب؛ إذْ إن سلوك المرء لا يتجزأ فكيف يوصف ﷺ بالصدق والأمانة تارة وبضدهما أخرى؟!

د. سيد زكريا سيد محمد

وفى هذا المقال سنلقى الضوء على أثر الصدق فى الأقوال والأعمال فى نشر الدين الإسلامى فى العالم،وذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً : تعريف الصدق:

الصدق فى لغة العرب: هو الإخبار بالواقع، والصدق خلاف الكذب؛ سمى بذلك لقوته فى نفسه، ولأن الكذب لا قوة له فهو باطل(١).

واصطلاحًا: هو مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم. وقيل: هو ما خرج من الأخبار والأنباء من مخبره على ما أخبر به،بأن يكون الخبر مطابقًا للواقع(٢).

ثانياً: دلالة ورود الصدق فى القرآن الكريم:

وردت مادة صدق ومشتقاتها (صدّق ـ صادقين ـ مصدقًا ...إلخ) فى القرآن العظيم مائة وثلاث وعشرين مرة، وهذا إن دلّ على شىء فإنما يدل على أن الصدق رأس الفضائل كلها، ومن أجمل

الصفات الحميدة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان عمومًا والمسلم على وجه الخصوص؛ لأنها تزيده هيبة ووقارًا، فالصدق مطلب أساس فى حياة المؤمن،قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ (التوبة : ١١٩) أى راقبوا الله فى جميع أقوالكم وأفعالكم وكونوا مع أهل الصدق واليقين، الذين صدقوا فى الدنيا: نية وقولاً وعملاً(٣).

الصدق مطلب أساسى فى حياة المؤمن ويزيده هيبة ووقاراً

وعليه،فإن من تحلى بهذا الخلق العظيم دخل فى زمرة من أثنى الله تبارك وتعالى عليهم بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ**﴾ (الحديد: ١٩) .

ثالثا: فضل الصدق

يكفى فى فضل الصدق أن الصدّيق مشتق منه، والله تعالى وصف الأنبياء به فى معرض المدح والثناء فقال سبحانه: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾ (مريم : ٤١).

وللدلالة على عظم هذه الفضيلة ومكانة هذا الخلق قول النبى ﷺ: «**إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدّيقًا**.......» الحديث(٤).

قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ: قال العلماء: معناه أن الصدق يهدى إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم، والبر اسم جامع للخير كله، وقيل: البر الجنة، ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة(٥).

ولذا لا نعجب إذا رأينا فضيلة الصدق تعلو على غيرها، فإن المؤمن قد يضعف أحيانًا فيكون بخيلاً أو جبانًا،لكنه لا يكون كاذبًا أبدًا، قيل لرسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ فقال: «**نعم**»، فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ فقال : «**نعم**»، فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال: «**لا**»(٦).

رابعـًا: أنواع الصدق

للصدق أنواع كثيرة، فهناك صدق فى النية والاعتقاد، وهناك صدق فى الأقوال، وصدق فى الوفاء بالعهود والعقود، وهناك صدق فى العمل، وهو - بعد صدق الاعتقاد - أهم أنواع الصدق على الإطلاق، وصدق العمل لابد أن يتوافر فيه ما يلى:

١ - أن يكون العمل بمقتضى العلم الشرعى.

٢ - استواء السر والعلانية فى الحق بأن يكون الباطن مثل الظاهر.

٣ - الإتقان فى كل عمل صالح يقوم به المسلم.

وهذا وغيره هو ما كان يتمسك به الأوائل من المسلمين؛ حيث إنهم جسدوا هذه المعانى فى كل أمور حياتهم، وكان التجار يضعون نصب أعينهم قول النبى ﷺ: «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**»(٧).

خامسًا: من ثمرات الصدق

من ثمرات الصدق تحقيق العبودية لله تعالى بالإخلاص له، والمتابعة للنبى ﷺ، وحسن العاقبة لأهله فى الدنيا والآخرة، وتيسير الأمور وإصلاح الأحوال، وحصول الثواب الأخروى، وقبل كل ذلك ومعه هداية الناس على أيدى الصادقين؛ لأن الناس تنظر إلى سلوك الداعى قبل إيمانهم برسالته، والحق تبارك وتعالى يقول: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ (النحل: ١٢٥) . ويقول أيضًا: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ (الأحزاب: ٢١) .

وصح فى السنة عن رسول الله ﷺ فى شأن الدعوة وفضلها قوله عليه الصلاة والسلام لما بعث عليًّا رضي الله عنه إلى خيبر: «**ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**»(٨).

سادسًا: التجارة وأثرها فى نشر الإسلام

الاقتصاد الإسلامى اقتصاد أخلاقى، وهذه سمة تميزه عن غيره من الأنظمة الاقتصادية الوضعية الأخرى، فمن أخلاق التاجر المسلم: السماحة فى المعاملة، وتحرى الصدق والأمانة، والقناعة، وترك الشبهات، وترك المشاحنة والتضييق على الناس. والنصوص والآثار الواردة فى ذلك كثيرة.

وكان من أسباب انتشار الإسلام فى العالم انتشار تجار المسلمين يبتغون من فضل الله تعالى، وينشرون دين الله عز وجل وتعاليم الإسلام، وأخلاق النبى ﷺ وسلم، وكان للتجار المسلمين الذين انتشروا فى قارة آسيا وأفريقيا أثر كبير فى دخول كثير من دول تلك القارتين فى الإسلام والقضاء على الوثنية، وإقامة المدن الإسلامية، وذلك بسبب ما كان يتمتع به هؤلاء التجار من الصدق والأمانة وحسن المعاملة والبعد عن الغش والخداع مستمسكين فى ذلك بهدى نبيهم محمد ﷺ.

يقول الدكتور مصطفى الجمال فى خاتمة كتابه

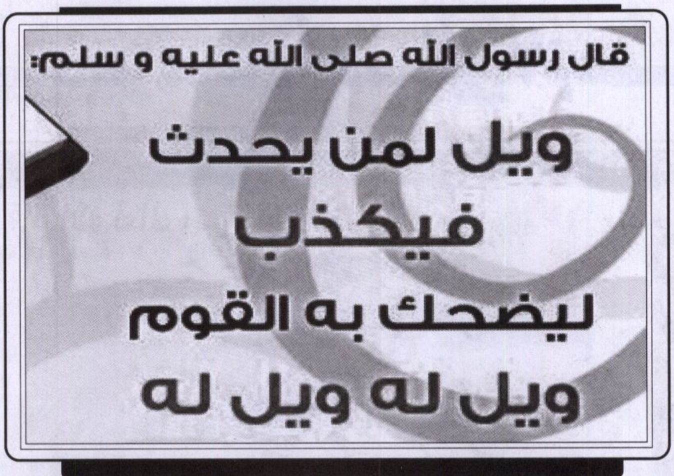

من ثمرات الصدق تحقيق العبودية لله تعالى بالإخلاص له والمتابعة للنبى ﷺ

(أمة التجارة) : «وتحدثت عن انتشار الإسلام فى مالى على أيدى التجار، وما ذكره ابن خلدون من أن أول ملك أعلن إسلامه هو«برمندانة»»، وقال أيضًا: ويمكن فى هذا المقام أن نقول كلمة حق بأنه كان من حصاد أخلاق هؤلاء التجار تلك الإمارات والدول والإمبراطوريات الإسلامية التى سبق ذكرها.

وقال أيضًا: يمكن القول: إن الجهد الذى بذله التجار العرب والبربر الذين جابوا الديار الأفريقية؛ حيث كانوا خير دعاة للإسلام بعملهم وسلوكهم ونشرهم للدين الحنيف،فأسلم على أيديهم خلق كثير،كما قاموا ببث العلوم الإسلامية، ونبغ على أيديهم جيل من أبناء أفريقية حملوا أمانة الدعوة، فأضافوا إلى شعوبهم الإسلامية شعوباً، ولأمتهم الإسلامية مسلمين»(٩).

أقول: وكان لصدق التجار المسلمين أيضا أثر فى انتشار الإسلام فى أندونسيا والصين وغيرهما.

وبعد، فإن المتتبع لتاريخ هذا الدين العظيم الخالد وانتشاره فى شتى أنحاء المعمورة يجد أن كثيرًا من الشخصيات من رجال الدول والساسة ورجال الاجتماع وغيرهم يدخلون الإسلام بإرادتهم واختيارهم بعدما رأوا النور والحق والخير والهدى، كما نجد دولاً وشعوبًا بأسرها اعتنقت الإسلام لما رأوه فى أخلاق أتباعه الذين جسدوه أحسن تجسيد،وبخاصة خلق الصدق قولاً وعملاً. ولله در القائل:

وإذا بحثت عن التقى وجدته
رجلاً يصدّق قوله بفعال
وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه
فيداه بين مكارم ومعال
وعلى التقى إذا ترسخ فى التقى
تاجان : تاج سكينة ووقار
وإذا تناسبت الرجال فما أدرى
نسبًا يكون كصالح الأعمال

الهوامش:

١ ـ المعجم الوسيط،مادة صدق.
٢ ـ معجم مصطلحات أصول الفقه،ص ٢٥٦ .
٣ ـ صفوة التفاسير، (٥٢٨/١)، وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
٤ ـ متفق عليه .
٥ ـ شرح صحيح مسلم،للنووى (٨/ ٤٢٩) .
٦ ـ موطأ مالك (١٣١/٦).
٧ ـ أخرجه الترمذى فى البيوع وحسنه (٥١٥/٣) .
٨ ـ متفق عليه .
٩ ـ أمة التجارة، ص ٢٦٨ وما بعدها.

العفو من أخلاق الإسلام

قال الله تعالى:

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾

سورة الأعراف

د. إلهام محمد شاهين*

قلة الحلم وكثرة الغضب آفتان إذا استشرتا فى مجتمع ما قوضتا بنيانه، وهدمتا أركانه، وقادتا المجتمع إلى هوة ساحقة، وقطعت أواصر المحبة والألفة التى بين أفراده، وحينما أراد الإسلام أن يصلح المجتمع ويقيمه صحيحا قويا رأى أن ذلك لا يكون إلا بالعفو والتسامح وكظم الغيظ والإحسان إلى المسىء فجعل البداية بالعفو كجزء من أخلاق المسلمين وإيمانهم، عن عبد الله بن الزبير - رضى الله عنهما -: قال: ما نزلت ﴿خذِ العفوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأعراف: آية ١٩٩) إلا فى أخلاق الناس.

عن أبى هريرة عن رسول الله قال: «لن ينال عبد صريح الإيمان حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويغفر لمن شتمه ويحسن إلى من أساء إليه»، فالعفو جزء من الإيمان وشعبة من شعبه لا يكمل الإيمان إلا به، أما عن تعريف العفو فهو:

العفو: المحو، والإزالة. يقال: عفت الديار: إذا درست، وذهبت آثارها، وفى العرف: ترك المكافأة عند المقدرة قولا وفعلا.

وقيل: هو السكون عند الأحوال المحركة للانتقام

فعلى هذا: العفو فى حق الله تعالى عبارة عن إزالة آثار الذنوب بالكلية فيمحوها من ديوانِ الكرامِ الكاتبين، ولا يُطالبُهُ بها يومَ القيامة، ويُنسيها من قلوبِهم لئلا يخجلوا عند تذكيرها، ويُثْبتُ مكانَ كلِ سيئة حسنةً،

وقد ندب الإسلام إلى العفو والصفح بين المسلمين بطرق شتى ولم يفرضهما فرضا وفى مقابله شرع العقوبة ليشعر الإنسان أن حقوقه مصونة ومحفوظة، ويكون عفوهم بعد ذلك سماحة خالصة تتم عن طيب نفس لا طاعة مزيفة فليس فى طبيعة الإنسان أن يتخلى عن جميع حقوقه فى جميع الأحوال وقد جاء كثير من الآيات الكريمة التى ورد فيها ذكر العقوبة مع العفو قال تعالى: **﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾** (المائدة: ٩٥)، **﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**

* أستاذة بجامعة الأزهر.

وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٩٨)، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الرعد: ٦)، ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ • وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (الحجر ٤٩، ٥٠)، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل ١٢٦). ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ (غافر: آية ٣).

ومن خلال تتبعنا لهذه الآيات نجدها صريحة فى أن للعقوبة موضعها وللعفو موضعه، فهى قد انتهجت طريقًا وسطًا بين العقوبة والعفو فلو شرعت العقوبة وحدها لملأت البغضاء القلوب ولو شرع العفو وحده لسادت الفوضى واستهتر المجرمون

والعفو أبلغ من المغفرة؛ لأنَّ الغفرانَ يُشعرُ بالسترِ، والعفوُ يُشعرُ بالمحوِ، والمحوُ أبلغُ من السترِ، ولأنه ليس من طبيعة النفس البشرية العفو والصفح عمن أساء إليها أو اعتدى على حق من حقوقها بل من طبيعتها الانتقام والثأر فنجد أن الإسلام **قد رغب فى العفو ترغيبًا** وندب إليه ندبًا ولم يفرضه فرضًا، ومن وسائل وطرق الترغيب فى العفو نجد أن الله تبارك وتعالى وصف نفسه بالعفو فقال تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة ٥٢)، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٢)، وسمى نفسه بالعفو الغفور.

و لم يأت العفو بصيغة الأمر إلا قليلاً، وإنما جاء بصورة مرغبة نادبة ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (البقرة: ٢٣٧) فقد جعل العفو أقرب للتقوى إذاً عدم العفو أبعد عن التقوى.

ثم رغب فى العفو بأنه بين أن الجنة التى فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، طريقها معبَّد ميسَّر للذى استطاع أن يكظم غيظه، ويعفو عمَّن أساء إليه، فقال تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: الآيتان ١٣٣، ١٣٤).

كما أن العفو عن الظالم يجعل الحساب يسيرًا يوم يقف العباد أمام الله ليلقَى كل امرئ جزاء عمله؛ إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًا فشرٌّ.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاثٌ مَن كن فيه حاسبَه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته**»، قالوا: وما هى يا رسول الله، بأبى أنت وأمى؟ قال: «**تعطى مَن حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمَّن ظلمك، فإذا فعلت ذلك تدخل الجنة**».

العفو عن الظالم يجعل الحساب يسيرًا يوم يقف العباد أمام الله ليلقى كل امرئ جزاء عمله

وحَسْبُ العافين سموٌّ منزلة عند خالقهم أنهم يُدعَون يوم القيامة بأهل الفضل؛ لأنهم عقدوا لسانهم عن الفاحش من القول، ودرجوه على الطيب منه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى منادٍ: أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس وهم يسير، فينطلقون سراعاً إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقولون: إننا نراكم سراعًا إلى الجنة، فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقولون لهم: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظُلِمنا صبرنا، وإذا أُسِيء إلينا عفونا، وإذا جُهِل علينا حلمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فنِعْم أجر العاملين**».

وأعطى البشرية القدوة فى العفو هم الأنبياء، والعلماء، والأصفياء، لتكون مُثلاً عليا فى حياة المسلم وقدوة للعباد يهتدون بهم ويستنيرون بهداهم دون أن يلزمهم به قال الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور:٢٢) وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان:٦٣)، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ

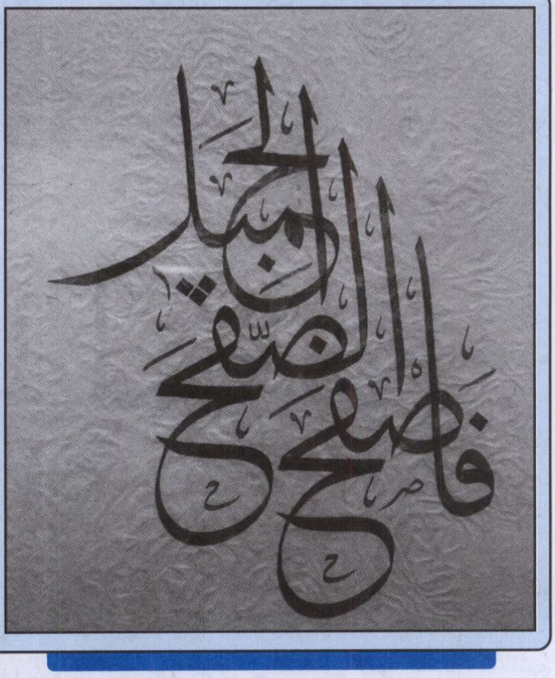

عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى:٤٠)، ومما يُحكَى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه: أنه دعا غلامًا له؛ فلم يجبه، ودعاه ثانيًا، فلم يجبه، وهكذا ثالثًا، فقام إليه، فرآه مضطجعًا، فقال: يا غلام! أما سمعت الصوت؟ فقال: بلى سمعت! قال: فما منعك من الإجابة؟ فقال: ثقتى بحلمك، واتكالى على عفوك، فقال علىٌّ رضي الله عنه: أنت حر لوجه الله تعالى.

أما صفوة الأنبياء فلأنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق فكان له خصوصية فى العفو ذلك الخلق الرفيع.

فنلاحظ أن الرسول ﷺ يتلقى صيغة الأمر المباشر من الله تعالى دون وجود المرغبات فى العفو وهذه الصيغة خاصة بالرسول صلوات ربى وسلامه عليه حيث أنه لديه الاستعداد الروحى لأن يؤمر بالعفو بصورة مباشرة، أما سائر الناس فليس لديهم تلك الروح العالية لتلقى الأمر المباشر بالعفو، بل يصحب الأمر بالكثير المرغبات، فتجد أن صيغ الأمر يسبقها أو يلحقها فى كثير من الآيات عبارات ملطفة لتتهيأ نفس الإنسان لقبول الأمر بالعفو عن خصمه والتنازل عن بعض حقوقه قال تعالى: **﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** (النور :٢٢).

وهذا من باب الإغراء، لأن هذه النفوس ليست لها القدرة كما للرسول فاحتاجت إلى الندب والإغراء والحث لتقدم على العفو بنفس راضية.

أما الرسول فيؤمر به أمره به فى قوله عز شأنه: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** (آل عمران ١٥٩)، **﴿وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** (المائدة:١٣).

أما معنى قولنا العفو عند المقدرة فهو ما يترجمه لنا الرسول الكريم فى صورة عملية وذلك فى موقفين الأول: حينما كان النبى ﷺ نائمًا فى ظل شجرة، فإذا برجل من الكفار يهجم عليه، وهو ماسك بسيفه ويوقظه، ويقول: يا محمد، من يمنعك منى. فيقول الرسول ﷺ بكل ثبات وهدوء: «**الله**» فاضطرب الرجل وارتجف، وسقط السيف من يده، فأمسك النبى ﷺ السيف وقال له: «**من يمنعك منى**»، فقال الرجل: كن خير آخذ. فعفا النبى ﷺ عنه.

والثانى: حينما وضعت امرأة يهودية السم فى شاة مشوية، وجاءت بها إلى النبى ﷺ وقدمتها له هو وأصحابه على سبيل الهدية، وكان النبى ﷺ لا يرد الهدية، لكن الله ـ سبحانه ـ عصم نبيه وحماه، فأخبره بالحقيقة .فأمر النبى ﷺ بإحضار هذه اليهودية، وسألها: **لم فعلتِ ذلك؟** فقالت: أردتُ قتلك، فقال لها النبى ﷺ: «**ما كان الله ليسلطك على**»، وأراد الصحابة أن يقتلوها، وقالوا: أفلا نقتلها؟ فقال ﷺ: «**لا وعفا عنها**».

ويتجلى عفو الرسول ﷺ حينما ذهب إلى

الطائف ليدعو أهلها إلى الإسلام، ولكن أهلها رفضوا دعوته، وسلَّطوا عليه صبيانهم وعبيدهم وسفهاءهم يؤذونه ﷺ هو ورفيقه زيد بن حارثة، ويقذفونهما بالحجارة حتى سال الدم من قدم النبى ﷺ فنزل جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال، واستأذن النبى ﷺ فى هدم الجبال على هؤلاء المشركين، لكن النبى ﷺ عفا عنهم، وقال لملك الجبال: «**لا بل أرجو أن يُخْرِج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا**».

وعندما دخل النبى ﷺ مكة منتصرًا، جلس ﷺ فى المسجد، والمشركون ينظرون إليه، وقلوبهم مرتجفة خشية أن ينتقم منهم، أو يأخذ بالثأر قصاصًا عما صنعوا به وبأصحابه. فقال لهم النبى: «**يامعشر قريش، ما تظنون أنى فاعل بكم؟**». قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم.. قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

وقال الرسول ﷺ: «**إن الله أمرنى أن أعطى من حرمنى وأعفو عمن ظلمنى وأصل من قطعنى**»...

لقد كان من أكثر دعاء النبى ﷺ وبخاصة فى ليالى رمضان وليلة القدر: «**اللهم إنك عفوّ تحب العفو فاعف عنى**» (رواه البخارى).

والله تعالى لا يُحبُ شيئاً إلا وفيه الخيرُ لنا، فهو عفوٌ يُحبُ العفوَ ولذلك فهذه الصفةُ لابدَّ أنْ تأتىَ بالخيرِ على من يتحلى بها. والله تعالى أعطى عبادَه الأملَ بالعفو عن الذنوب: يقول تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ (الشورى: آية ٢٥)، واليوم وبعدما تطور العلم لاحظ العلماء فى الغرب شيئًا عجيبًا ألا وهو أن الذى يمارس هذه العادة «عادة العفو» تقلُّ لديه الأمراضُ! وهى ظاهرةٌ غريبةٌ استدعت انتباهَ الباحثين فبدأوا رحلةَ البحث عن السبب، فكانت النتيجةُ أن الإنسانَ الذى يتمتعُ بحبِ العفو والتسامح يكونُ لديه جهازُ المناعة أقوى من غيره!

وقد اكتشفَ الباحثون أن ممارسةَ العفوِ تُنشطُ النظامَ المناعىَ لدى الإنسان، لأنَّ الإنسانَ عندَما يَغضبُ فإنَّ أجهزةَ الجسمِ تتنبهُ وتستجيبُ وكأنَّ خطراً ما يُهددُ وجودَها، مما يُؤدى إلى ضخ كمياتٍ كبيرةً من الدم، وإفرازِ كميات من الهرمونات ووضعِ الجسدِ فى حالة تأهبٍ لمواجهةِ الخطرِ. ضغط الدم سوف يرتفع، عملية الهضم سوف تضطرب، النظام العصبى سوف يتعب ويرهق، يضيق التنفس، والعضلات تتوتر...

إنَّ هذا التوترَ يُؤدى إلى إرهاقِ الجسدِ فى حالة تكرارِه، وبمجردِ أن يغفرَ ويعفوَ تزولُ هذه التوتراتُ وتزولُ الرغبةُ بالانتقام وتهدأُ أجهزةُ الجسدِ بسببِ زوالِ الخطرِ، وهذا ما يعطى فرصة للنظام المناعى بممارسة مهامه بكفاءة عالية

فالإسلام أمر بالعفو والمكافأةُ هى رضا الله تعالى فهو الذى يعوضك ويعطيك ما فقدته. ويقول الخبراء إن موضوع المكافأة مهم جدًا فى علاج الغضب وحب الانتقام، أى أن تجد بديلاً عن الانتقام وهذا ما جاء فى كتاب الله، يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ (الشورى: ٤٠)، وفى آية أخرى ربط القرآن العفو بمغفرة الله للذنوب، فإذا أردت أن يغفر الله ذنوبك فاغفر للناس ذنوبهم، واعف عنهم وهذه هى المعادلة التى تمنحك التوازن، لأن الباحثين يؤكدون أن العفو لابد أن يقابله شىء آخر يساعد الإنسان على تقبل العفو، وهنا تتجلى عظمة القرآن، يقول تعالى: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (النور: ٢٢).

وعن أجمل ما قيل فى العفو قول الله تعالى ﴿**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾، وقول رسولنا الكريم ﷺ: «**مازاد الله عبدا بعفو إلا عزا**».

«أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة» فهو لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه.

لما عفوت ولم أحقد على أحد

أرحت نفسى من هم العداوات

الإمام الشافعى

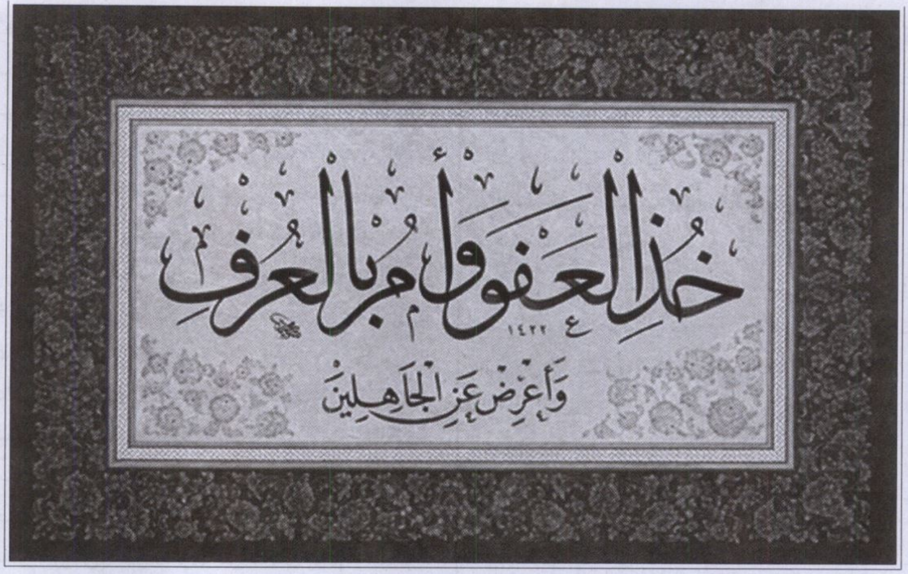

المروءة من مكارم الأخلاق

د. أحمد عبد اللطيف الكلحى*

المروءة هى كمال الرجولة، مصدر من: مَرُؤ يَمْرُؤ مُروءة، فهو مَرِىء أى: بَيِّن المروءة، وتَمَرَّأ فلان: تكَلَّف المروءَة. وقيل: صار ذا مُروءَة، وفلان تَمَرَّأ بالقوم: أى سعى أن يوصف بالمروءَة بإكرامهم، أو بنقصهم قال الماوردى: (المروءَة مراعاة الأحوال إلى أن تكون على أفضلها، حتَّى لا يظهر منها قبيحٌ عن قصد، ولا يتوجه إليها ذمٌ باستحقاق) وقيل: (المروءَة هى المحافظَةُ على فِعل ما تَرْكُه من مُباح يُوجِب الذَّمَّ عُرْفًا... وعلى ترك ما فعلُه من مُباحٍ يوجبُ ذَمَّه عُرْفًا) وقيل: (المروءَة آداب نفسانيَّة، تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العادات) وبذلك تكون المروءة هى اتصاف النفس بصفات الكمال الإنسانى، وهى غلبة العقل للشهوة، وحدُّ المروءة: استعمال ما يجمل العبد ويزينه، وترك ما يدنسه ويشينه، سواءٌ تعلق ذلك به وحده، أو تعداه إلى غيره. المروءة خلق جليل وأدب رفيع تميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات، المروءة خَلَّةٌ كريمة وخَصْلَةٌ شريفة وهى أدب نفسانى تحمل الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات، فالمروءة صدقٌ فى اللسان، واحتمال للعثرات، وبذل للمعروف، وكف للأذى، وصيانة للنفس، وطلاقة للوجه، المروءة من خصال الرجولة فمن كانت رجولته كاملة كانت مروءته حاضرة. وأهم دواعى المروءة شيئان: أحدهما: علو الهمة. والثانى: شرف النفس. فى الإسلام تعتبر المروءة خلق جليل وأدب رفيع من مكارم الأخلاق التى دعى إليها.

وعلى ضوء ماتقدم المُرُوءَةُ وهى آدابٌ نفسانيَّةٌ تحملُ مُراعاتُها الإنسانَ على الوقوف عند محاسنِ الأخلاقِ وجميل العادات، أو هى كمال الرُّجولة .

قال الإمام الشافعى: «والله لو كان الماء البارد يُنقص من مروءتى لشربته حارًا»

قال بعض السلف: خلق الله الملائكة عقولاً بلا شهوة، وخلق البهائم شهوة بلا عقول، وخلق ابن آدم وركّب فيه العقل والشهوة، فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم.

* إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الارتقاء بها إلى مراتب الحكمة والمسئولية لتكون الناصح الأقرب إليه والواعظ الأكبر له: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا • وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

٣ - المروءة مع الخلق

بإيفائهم حقوقهم على اختلاف منازلهم والسعى فى قضاء حاجاتهم وبشاشة الوجه لهم ولطافة اللسان معهم وسعة الصدر وسلامة القلب تجاههم وقبول النصيحة منهم والصفح عن عثراتهم وستر عيوبهم واحتمال أخطائهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه

إذا علمنا أن المروءة هى استعمال كل خلق حسن، واجتناب كل خلق قبيح؛ فإن لكل عضو من الأعضاء مروءة على ما يليق به:

فمروءة اللسان: حلاوته وطيبه ولينه.

ومروءة الخلق: سعته وبسطه للحبيب والبغيض.

ومروءة المال: بذله فى المواقع المحمودة شرعًا وعقلاً وعرفًا.

ومروءة الجاه: بذله للمحتاج إليه.

ومروءة الإحسان: تعجيله وتيسيره، وعدم رؤيته، وترك المنة به.

وهذه هى مروءة البذل والعطاء، أما مروءة الترك فتعنى ترك الخصام والمعاتبة، والمماراة، والتغافل عن عثرات الناس.

أمثلة المروءة

١ ـ لزوم الحياء والتواضع والحلم وكظم الغيظ وصدق اللهجة وحفظ الأسرار والإعراض عن الجاهلين.

٢ ـ الشوق للأصدقاء والتودد لهم والحذر من إيذائهم أو جرح مشاعرهم بقول أو فعل أو إشارة مع الحرص على إدخال السرور على نفوسهم، يقول عمر ابن عثمان المكى: «المروءة التغافل عن زلل الاحباب».

٣ ـ صيانة العرض والبعد عن مواطن الريب السخرية، والغيرة على الدين والمحارم، والعفة فى النفس وعما فى أيدى الناس.

عوامل تحقيق المروءة

- علو الهمة والتطلع إلى أصحابها فكلما علت الهمة ازدادت المروءة.
- شرف النفس واستعفافها ونزاهتها وصيانتها.
- مجالسة أهل المروءات ومجانبة السفهاء وأهل السوء.

وقال الحُصين بن المنذر الرقاشى:

إن المروءة ليس يدركها امرؤٌ
ورث المكارم عن أبٍ فأضاعها
أمرته نفسٌ بالدناءة والخنا
ونهته عن سُبُل العلا فأطاعها
فإذا أصاب من المكارم خُلَّةً
يبنى الكريمُ بها المكارم باعها

أنواع المروءة

١ ـ المروءة مع الله تعالى:

بالاستحياء منه حق الحياء وألا يقَابَل إحسانه ونعمته بالإساءة والكفران والجحود والطغيان، بل يلتزم العبد أوامره ونواهيه ويخاف منه حق الخوف فى حركاته وسكناته وخلواته وجلواته وألا يراه حيث نهاه ولا يفتقده حيث أمره.

٢ ـ المروءة مع النفس

بحملها على ما يجمّلها ويزينها وترك ما يدنّسها ويُشينها فيحرص على تزكيتها وتنقيتها وحملها على الوقوف مواقف الخير والصلاح والبر والإحسان مع

المروءة هى آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق

٤ ـ البر والصلة للوالدين وذات الرحم مع قبول إساءتهم بالإحسان وخطئهم بالعفو والغفران.

٥ ـ نشر الجميل وستر القبيح مع ملازمة التقوى والعمل الصالح فهى جماع المروءة وأعلاها .

٦ ـ تَجَنُّبُ المنةِ واستكثار القليل من المعروف، قال سفيان الثورى: «إنى لأُريدُ شربَ الماء؛ فيسبقنى الرجل إلى الشربة، فيسقينيها فكأنما دَقَّ ضَلعًا من أضلاعى؛ لا أقدر على مكافأته».

٧ ـ نظافة البدن وطيب الرائحة والعناية بالمظهر بلا إسراف ولا مخيلة مع الاهتمام بالباطن وإصلاحه، يقول عمر بن الخطاب: «من مروءة الرجل نقاء ثوبه، والمروءة الظاهرة فى الثياب الطاهرة».

٨ ـ تجنب الفضول ومراعاة العادات والأعراف ما لم تخالف الشرع الحكيم .

٩ ـ القيام بحقوق الجار من إكرام وإحسان وحماية ونصرة وكف للأذى مع احتمالهم وقبولهم على ما هم عليه.

١٠ـ ألا يفعل المرء فى السر ما يستحيى من فعله فى العلانية .

«إن الله يحب معالى الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها». ولأهميتها فقد جعلها كثير من المحدثين شرطا فى الراوى حتى يُقبل حديثه، فمتى ما انخرمت مروءته تركوا حديثه.. قيل لسفيان بن عيينة: قد استنبطت من القرآن كل شىء فأين المروءة فى القرآن قال فى قول الله: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ (الأعراف: آية ١٩٩)، ففيه المروءة وحسن الآداب ومكارم الأخلاق، فجمع فى قوله ﴿**خُذِ الْعَفْوَ**﴾ صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين، وفى قوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾ صلة الأرحام وتقوى الله فى الحلال والحرام، وفى قوله تعالى: ﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ الحض على التخلق بالحلم والإعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة وغير ذلك من الأفعال الحميدة والأخلاق الرشيدة.

إن أعظم دواعى المروءة شيئان:

أحدهما: علو الهمة.

والثانى: شرف النفس.

أما علو الهمة: فلأنه باعث على التقدم والترقى فى المكارم أنفة من خمول الضعة، واستكبارًا لمكانة النقص، ولهذا قال النبى ﷺ: «**إن الله يحب معالى الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها**».وقال عمر رضي الله عنه: «لا تصغرن هممكم؛ فإنى لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمة».

وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت فى مرادها الأجسامُ

وأما شرف النفس:

فبه يكون قبول التأديب، واستقرار التقويم؛ فإن النفس إذا شرفت كانت للآداب طالبة، وفى الفضائل راغبة، وعن الدنايا والرذائل نائية، قال بعض الشعراء:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها
هوانًا بها كانت على الناس أهونا
فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكنٌ
عليك لها فاطلب لنفسك مسكنا
وإياك والسكنى بمنزل ذلة..
يُعدُّ مسيئًا فيه مَن كان مُحسنا

● وسئل سفيان الثورى عن المروءة، ما هى؟ قال: «الإنصاف من نفسك».

● وقال ابن سلام: «حدُّ المروءة: رعْىُ مساعى البرِّ، ودفع دواعى الضر، والطهارة من جميع الأدناس، والتخلُّص من عوارض الالتباس، حتى لا يتعلق بحاملها لوْم، ولا يلحق به ذم، وما من شىء يحمل على صلاح الدين والدنيا، ويبعث على شرف الممات والمحيا، إلاَّ وهو داخل تحت المروءة.

التلوث السمعى والضوضاء بين الإسلام والعلم الحديث

قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) ﴾

سورة الحجرات

حينما نتأمل قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٩)، نرى ما تشير إليه الآية الكريمة من أهمية توافر الهدوء والسكينة والوقار فى المجتمع، وضرورة الحث على توافر هذه الظروف الحياتية والتنبيه على أهميتها، لِما تُوفِّرُها من جو عام، وظروف ملائمة تعمل على إتاحة الفرص المناسبة، سواء للعمل أو للقدرة على التأمل والتفكير، أو حتى لتوفير المناخ المناسب للراحة والاسترخاء فى هدوء، لتعافى الجهاز العصبى، واستعادة الإنسان لطاقاته مرة أخرى، بحيث يستطيع الإقبال على العمل بروح عالية، من الجد والإصرار والمثابرة.

د. محمد فتحى فرج*

وعلى هذا فقد شبهت الآية الكريمة السابقة أن من يخرج على التقاليد المرعية فى المجتمع من ضرورة الحفاظ على الجو البيئى الهادئ والملائم للحياة الطبيعية التى يتمتع فيها الفرد والمجتمع بنعمة الهدوء والسكينة والوقار. أقول: إن من يفعل ذلك تشبهه الآية الكريمة بالحمار، الذى يرفع عقيرته فى أى وقت، وتحت أية ظروف، بصوته الجهورى العالى المزعج، الذى يخترق حجب الهدوء والوقار، فيؤذى به كل من يستمع إليه. ولاشك أن أحدا لا يرضى على نفسه هذا السلوك المُستهجن الذى لا يمكن تبريره بحال خاصة حينما يصدر من الإنسان الذى حباه الله تعالى العقل، وفضَّله الله بالتميز، فإذا كان الحمار حيوانا لا يعقل، فإن للإنسان عقلاً ينبغى أن يعصمه ويُمسِكُه عن مثل هذا التصرف الأرعن، وإلا كان أسوأ من الحمار الذى لا يعصمه من سلوكه هذا عقل أو تمييز أو فهم رشيد!

ولهذا، فقد نطق صوت القائل الحكيم بهذه الكلمات التى توزن بمثاقيل الذهب فقال: إن الصوت المرتفع ليس دليلا على رجاحة العقل وقوة الحجة ولا على الشخصية القوية؛ إذ إن الحمار صوته مرتفع بَيْدَ أنه لا يعتبر من الحكماء، وإن الصرصور كذلك

* باحث أكاديمى

نبهنا القرآن الكريم إلى ضرورة التزام الهدوء ونهى عن ارتفاع الأصوات التى تسبب الضوضاء والإزعاج

صوته عال ولكنه لا يعتبر من ذوى الشخصية !

ولهذا، فقد نبهنا القرآن الكريم إلى ضرورة التزام الهدوء، ونهى عن ارتفاع العقيرة بالأصوات العالية المُقلقة، التى تُسبب الضوضاء والإزعاج، حتى فى مجالس العلم والنصح والتعليم، فقد حدث ذات يوم أن ارتفعت أصوات بعض صحابة رسول الله ﷺ فى مجلسه، واستحى النبى أن يسكتهم لأنهم كانوا ضيوفه، إلا أن الله لا يستحى من الحق، فنزل فى هذا قرآن يتلى، لنعمل به ونتأدب بأدبه الراقى، حيث جاء فى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ• إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ • إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ• وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (الحجرات: ٢ : ٥)

وهذا المنهاج من الهدوء والوقار والسكينة، قد التزمه الإسلام وحض عليه، حتى حينما يتوجه المُسلم لعبادة الله بالدعاء أو الصلاة، حيث أمر به اللهُ عبادَه فقال عز من قائل: ﴿**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**﴾ (الإسراء: الآية ١١٠).

كما أن من تعاليم الإسلام التى أمر بها نبيه ﷺ أتباعه أن يلتزموا الهدوء والوقار عند السعى إلى المساجد لإقامة الصلاة، فقد ورد عن أبى قتادة قال: «بينما نحن نصلى مع رسول الله ﷺ إذ سمع جلبة خارج المسجد فقال: ما شأنكم ؟ قالوا: استعجلنا إلى الصلاة. فقال الرسول ﷺ: «**لا تفعلوا. إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا**». أو كما قال ﷺ.

هذا، وللهدوء والسكينة أهمية خاصة بالنسبة لشرائح معينة من المجتمع، فالمجتمع ليس على شاكلة واحدة، وإنما هناك المرضى وهناك كبار السن الذين هم أكثر الناس حاجة إلى الراحة وأكثرهم حساسية للضوضاء، فتسبب لهم الإزعاج، وتُطيرُ النوم من عيونهم.

وهناك أيضا التلاميذ وطلاب العلم الذين لا يستطيعون أن يتابعوا استذكارهم، وفهم دروسهم إلا فى جو من السكينة والهدوء، يكفل لهم القدرة على التركيز والتحصيل، ومواصلة البحث والوقوف على دقائق الدرس، هذا فضلا عن ثمة مواد تستلزم الحفظ عن ظهر قلب، وهو أمر لا يتأتى إلا فى جو ملائم من الهدوء التام والاستقرار الآمن.

ولكل ما سبق، فإن الهيئات المدنية قد حرصت على وضع لافتات تحض على الهدوء والامتناع عن إحداث الأصوات العالية، خصوصا تلك التى تنبعث من السيارات ووسائل النقل والمواصلات، لا سيما بالقرب من منشآت معينة كالمستشفيات والمدارس والجامعات وأماكن العبادة، ودور المسنين، وحضانات الأطفال، وغيرها، ولكن المهم حقا هو تطبيق مثل هذه التعليمات، وليس نشرها كملصقات يتم تعليقها فقط بالقرب من هذه الأماكن!

من مضار الضوضاء والتلوث السمعى

لا شك أن من أهم العوامل المسببة للقلق والتوتر والارتباك فى حياتنا الحديثة والمعاصرة إحداث الصخب والضوضاء، وانتشار التلوث السمعى فى

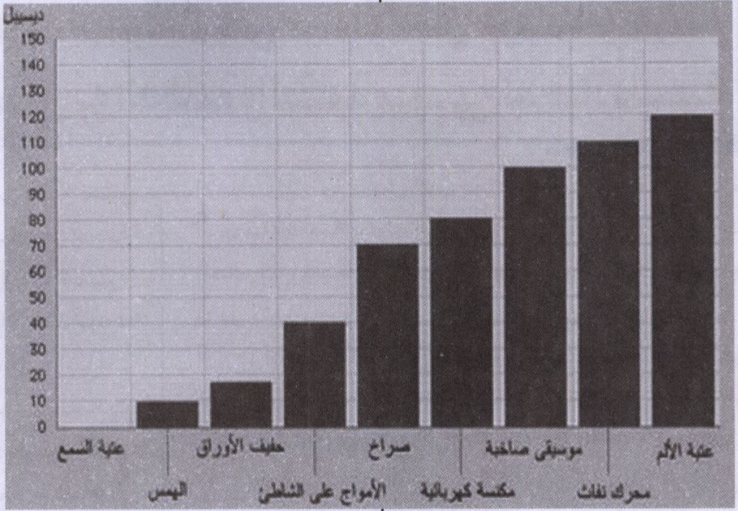

مجتمعاتنا بشكل عام. وهى من الأمور التى تُشتت الذهن، وتستعصِى أو تتلاشى معها القدرة على التركيز، أو استجماع الأفكار لأداء عمل ذهنى أو عقلى على نحو سليم. يقول أحد الباحثين المُحْدَثين: إن الضوضاء تصبح حقا مثيرة للاختلالات والاضطرابات فى حياة الكائنات، لاسيما حينما تسبب إحباطا وفشلا وإخفاقا فى بحث سامعيها عن الحاجات الضرورية كالغذاء والحماية والتواصل والمتعة.

كما أكدت الدراسات العلمية الحديثة أيضا أن أىَّ شخص يتعرض لدرجة عالية من الصخب والضوضاء - لم يكن مُتعودا عليها - فإنه يعانى أولا من القلق والإزعاج، بيْدَ أنه بعد فترة سوف يتعرض لتغيرات فى حالته المزاجية والنفسية. أما الأشخاص الانفعاليون فسيزدادون تطرفا من الناحية الانفعالية، لأقل قدر من الضوضاء والاستفزاز، فالضوضاء بهذا تؤدى إلى زيادة حالتهم سوءا على سوء.

ومن ناحية ثانية، فقد أشارت بحوث حديثة أخرى إلى أن البيئات الفقيرة من ناحية الانبعاثات الصوتية تؤدى إلى حالة من السُّبات والاسترخاء والكسل ؛ وقد علل باحثون آخرون وردوا على مثل هذه التأثيرات السلبية بارتباطها بحالة من نقص الدوافع، وليس بسوء الحالة الصحية أو النفسية.

وهناك من الباحثين من يربط بين الأمراض العقلية والنفسية والضوضاء، إلا أنهم أشاروا أيضا إلى المدة التى يتعرض خلالها الشخص أو الأشخاص للضوضاء، فهناك من الدراسات ما يقطع بأن التعرض لمدة طويلة من الضوضاء (بالنسبة لبعض المهن التى ترتبط بهذه الضوضاء) يؤدى إلى اعتلالات نفسية (سيكولوجية) أكدتها الخبرة السريرية (الإكلينيكية). كما أن هناك حالات عديدة لأشخاص ممن لا يتحملون تأثير هذه الضوضاء، حيث انتابتهم حالة من الصمم الذى يُعرف بالصمم المِهْنِى.

بعض التغيرات الفسيولوجية نتيجة للضوضاء

وهناك الكثير من البحوث العملية والمناقشات العلمية الخاصة بتأثير الضوضاء وإحداثها لتغيرات فى التوازن الفسيولوجى للكائن الحىّ. فالعمال والأشخاص الذين يعملون بصناعة الحديد وتشكيله من خلال طرقه والدق عليه، زادت لديهم حالات من الشذوذ فى الإيقاعات القلبية وبطء فى نشاط الدورة الدموية، وقد يُعزى ذلك إلى نشاط الجهاز العصبى الذاتى خاصة ذلك المرتبط بإفرازات الغدة الكُظرية الذى تم تسجيله فى الجرذان التى تعرضت لمثل هذا النوع من الضوضاء.

من أخطر ما تسببه الضوضاء على حياة الإنسان حرمانه من فرصة النوم لاستعادة قدراته الذهنية والعقلية مما يتيح له حياة طبيعية

وثمة بعض النتائج الأخرى التى تشير إلى حدوث التوتر العضلى نتيجة للضوضاء، إلا أن ذلك يتم لفترة قصيرة فقط بعد حدوث الضوضاء. وقد يربط بعض الباحثين بين ذلك وبين حدوث سلوك «الكر والفر» الذى يحدث كاستجابة لأى مثير غير متوقع، والذى يؤدى إلى تنشيط الاستجابة الطارئة (استجابة الأمور الطارئة) للشخص.

إذن فهناك بعض التغيرات الفسيولوجية، التى تحدث نتيجة للضوضاء، لاسيما فى أول فترات التعرض لها. كما تؤكِّدُ بعض البحوث العلمية أن للضوضاء تأثيرات مؤقتة فى الجهاز «نظير السمبثاوى» والخاصة بالتفاعلات وردود الأفعال من يوم لآخر فى البيئة. ولهذا السبب، فقد دأبت بعض المجتمعات المتقدمة على تخصيص أماكن معينة، معزولة عن المناطق الآهلة بالسكان، للنشاطات المُقلقة للراحة، والتى يتمخض عنها أصوات عالية مزعجة، وأطلقوا عليها أسماء معينة - كالمدن الصناعية - أو «مدن الحرفيين» .. وهكذا، وقد تم تطبيق هذا بالفعل فى بعض مدننا ومناطقنا الآهلة بالسكان.

ونظرا لوقوع الكثير من المخاطر الصحية والنفسية الناجمة عن الضوضاء والصخب والضجيج على الأفراد والمجتمع بشكل عام، فقد خصصت هيئة الأمم المتحدة أسبوعا لمقاومة سلوك الضوضاء، والكف عنه تماما فى بلدان العالم كله، وجعلت شعاره : «الهدوء ذوق وأخلاق والضجيج جهل وتخلف». والجدير بالذكر أن أكثر البلاد تحضرا هى أكثرها أيضا حفاظا على البيئة من التلوث السمعى، والأحرص على البعد عن الصخب والضوضاء.

الضوضاء والنوم

من أخطر ما تسببه الضوضاء على حياة الإنسان حرمانه من فرصة النوم، لاستعادة قدراته الذهنية والعقلية، ونشاط جهازه العصبى، على النحو الذى يتيح له حياة طبيعية، بعيدة عن التوتر والانفعالات الضارة. فالنوم من الحاجات الضرورية للإنسان، بل ولمعظم الكائنات الحية الأخرى أيضا. وقديما كانت عقوبة المجرمين والجُناة - فى بعض البلدان - هى الحرمان من النوم ؛ وذلك لأهميته القصوى فى حياة الإنسان. فالذى لا يستطيع النوم من جراء الضوضاء لا يستطيع العمل، بل وتستحيل حياته إلى جحيم لا يُطاق!

ولهذا فمن الأهمية بمكان، عدم استعمال مكبرات الصوت، دون ضابط أو رابط، فى أى مكان وفى أى زمان، وخاصة فى الأماكن الآهلة بالسكان، سواء فى الأفراح أو فى الأتراح، وعلى قارعة الطرقات، لإيذاء خلق الله دون مبرر، ودون مراعاة لظروف الكثيرين منهم، والتى قد تتطلب السكينة والهدوء، كالطلاب والمرضى والأطفال وكبار السن.

كما أنه من الحكمة ألا نُدير المذياع أو التلفاز، ونرفع من صوتيهما بشكل يزعج الجيران وسكان المكان، لنهنأ نحن وليتأذى من هذا السلوك من يتأذى، فليس هذا من الإسلام أو من التحضر فى شىء! فإن كل هذا يتنافى مع صحيح الدين والخلق القويم، فضلا عما جاء فى الأثر من أن: «الدين المعاملة».

اللهم إنى قد بلغت، اللهم فاشهد!

الشمس والقمر فى القرآن الكريم

الشمس والقمر آيتان من آيات الله: الشمس بأشعتها الذهبية التى تملأ الأرض ضوءاً وحرارة وبهجة .. الشمس بقوتها وشموخها، وشروقها وغروبها. والقمر بجماله وبهائه .. ونوره الذى يبدد ظلمة الليل، ويبعث فى النفس الراحة والسكينة. لقد تغنى الشعراء بالشمس والقمر، وتأمل فيها الأدباء، وتفكر العلماء.

يقول أمير الشعراء أحمد شوقى متأملا فى الشمس:

هى الشمس كانت كما شاءها
مماتُ القديم حياة الجديد
ترد المياه إلى حَدِّها
وتُبلى جبال الصفا والحديد

د. يحيى سنبل*

ويقول فى قصيدته (الهلال)

أضـاء لآدم هذا الهـلال
فكيف تقول الهلال الوليد
نَعُدُّ عليه الزمان القريب
ويُحصى علينا الزمان البعيد

ويقول المهلبى:

الشمس أبدت لى قميصا
بديع اللون من شفق الغروب

يقول علماء الفلك: الأرض تقع على بعد نحو ٩٣ مليون ميل من الشمس، وقد سمح ذلك بأن تمنح الشمس الأرض الحرارة والضوء بل الحياة، وتعاقب الليل والنهار ناجم عن حركة الأرض حول محورها أمام الشمس، أما الفصول الأربعة فتنتج عن دوران الأرض حول الشمس. وعن القمر يقول العلماء: القمر هو أقرب الأجرام السماوية للأرض حيث يبعد عن الأرض حوالى ٢٤٠ ألف ميل أو ٣٨٤ ألف كيلو متر، وهو تابع للأرض صغير الحجم (١/٥٠ من الأرض) يدور من حولها مرة واحدة كل ٢٧ ١/٣ يومًا ولا نرى منه إلا وجها واحدًا. ونظرًا لأنه يستمد نوره من الشمس ويعكسه إلى الأرض فإن أشكاله التى يظهر بها: هلال وأحدب وبدر هى نتيجة لحركته حول الأرض وأمام الشمس. والقمر كما وصفه لنا رواد الفضاء بأنه جرم موحش خال من الماء والهواء والحياة. سطحه مضرس فهناك القمم البركانية تشرف على حيضان شاسعة.

القرآن الكريم فى حديثه عن الشمس والقمر جاء بالحق والحقيقة، وذكر الكثير من الحقائق العلمية التى لم تكن معروفة فى هذا الزمان الذى نزل فيه، ولفت أنظار الناس إلى الشمس والقمر وما فيهما من

* كاتب وباحث

إبداع الخالق - جل شأنه - وما لهما من فوائد عظيمة للإنسان. الحق - تبارك وتعالى أقسم بالشمس والقمر: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا • وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ (سورة الشمس آية ١:٢).

وأقسم سبحانه وتعالى بالشفق وهو الحمرة فى الأفق التى تصاحب غروب الشمس، وأقسم بالقمر إذا تم واستوى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ • وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ • وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ (سورة الانشقاق الآيات ١٦، ١٧، ١٨). وأقسم سبحانه بالقمر فى سورة المدثر: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ (سورة المدثر آية ٣٢).

خلق وتسخير الشمس والقمر

ويأتى القرآن الكريم بالحقائق التى يجب على الإنسان أن يعلمها جيداً، يجب أن يعلم أن الله - سبحانه وتعالى - هو الذى خلق الشمس والقمر: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (سورة الأنبياء الآية ٣٣) وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا • وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (سورة نوح الآيتان ١٥، ١٦). يجب على الإنسان أن يسجد لله وحده، فلا يسجد للشمس والقمر، فالله هو الذى خلقهما وسخرهما: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (سورة فصلت الآية ٣٧). يجب أن يتأمل الإنسان فى تسخير الشمس والقمر له، ويشكر الله على هذه النعمة العظيمة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (سورة لقمان آية ٢٩). وقال جل شأنه: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (سورة فاطر الآية ١٣). ونلاحظ فى الآيات التعبير بلفظ (يجرى) وهو تعبير معجز حيث إن الشمس والقمر بالفعل يجريان بسرعة رهيبة كل فى فلكه المخصص له. ونلاحظ تكرار الإشارة إلى تسخير الشمس والقمر للإنسان، وأن الله سبحانه وتعالى هو صاحب هذا الفضل وذلك للفت الأنظار إلى هذه النعمة العظيمة. وحتى لاينخدع أحد بعظمة الشمس والقمر. ونجد مثل هذه الإشارة فى سورة إبراهيم: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (سورة إبراهيم آية ٣٣). وكذلك فى سورة النحل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة النحل آية ١٢).

سجود الشمس والقمر لله سبحانه وتعالى

ومن الأمور العجيبة التى ذكرها القرآن الكريم أن الشمس والقمر يسجدان لله شأنهما فى ذلك شأن كثير من المخلوقات: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة الحج الآية ١٨).

> **الشمس والقمر يسجدان لله شأنهما فى ذلك شأن كثير من المخلوقات**

انشقاق القمر

يذكر القرآن الكريم انشقاق القمر وهى معجزة أيد بها الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (سورة القمر آية ١).

الشمس والقمر بحسبان

وينبه القرآن الكريم إلى هذا النظام الدقيق الذى يحكم حركة الشمس والقمر: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (سورة الرحمن آية ٥) وحسبان: جمع حساب. وقال جل شأنه: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (سورة يس آية ٤٠) كذلك ينبه القرآن الكريم إلى أهمية الشمس والقمر فى حساب الزمن: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (سورة الأنعام آية ٩٦).

الأهلة

روى أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: يارسول الله، إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (سورة البقرة آية ١٨٩). وقال الكلبى: نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن عنمة، وهما رجلان من الأنصار، قالا: يارسول الله، ما بال الهلال يبدو فيطلع دقيقا مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ويستدير، ثم لايزال ينقص ويدق حتى يكون كما كان، لايكون على حال واحدة؟ فنزلت هذه الآية. وفى سورة «يس» يذكر القرآن الكريم منازل القمر هذه كدليل على قدرة الله جل شأنه: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (سورة يس الآية ٣٩).

الظل والشمس

يدعو القرآن الكريم الناس إلى التفكر والتدبر فى آيات الله، ومن هذه الآيات الظل، والعلاقة بينه وبين الشمس: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً • ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ (سورة الفرقان الآيتان ٤٥، ٤٦).

الشمس والقمر والخليل إبراهيم عليه السلام

ويقص علينا القرآن الكريم حيرة الخليل إبراهيم عليه السلام وهو يبحث عن الحق والحقيقة، فهو الرجل العاقل المتفكر المتدبر، الذى سَخِر من عبادة الأصنام والأوثان، وانبهر بالقمر والشمس فى بداية الأمر، لكنه أدرك أن لهما خالقا عظيما هو الجدير بالعبادة، قال سبحانه مخبرا عن حال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ • فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (سورة الأنعام الآيتان ٧٧، ٧٨).

رؤيا يوسف عليه السلام

ويقص القرآن الكريم علينا رؤيا يوسف عليه السلام حيث رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له، وقد تحققت هذه الرؤيا فى نهاية القصة التى أفرد لها القرآن الكريم سورة كاملة حملت اسم نبى الله يوسف، قال سبحانه مخبراً عن الحديث الذى دار بين يوسف وابنه يعقوب - عليهما السلام -: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (سورة يوسف آية ٤).

مصير الشمس والقمر

ويخبرنا القرآن الكريم بمصير الشمس والقمر، حيث يكون ذهاب الضوء والنور، والدمار والهلاك، وذلك يوم القيامة، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (سورة التكوير آية ١) وقال جل شأنه: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ • وَخَسَفَ الْقَمَرُ • وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (سورة القيامة الآيات ٧، ٩).

الشمس وأهل الكهف

ومن آيات الله التى ذكرها القرآن الكريم ما حدث لأهل الكهف من عدم إيذاء الشمس لهم وهم نيام لزمن طويل، قال سبحانه: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ (سورة الكهف من الآية ١٧). ويقول الإمام القرطبى: «تزاور: تتنحى وتميل، من الازورار. والزَّور: الميل. وتقرضهم: تتركهم. والمعنى كانوا لاتصيبهم شمس البته كرامة لهم، وهو قول ابن عباس».

الشمس لاتؤذى أهل الجنة

وإذا كان حر الشمس يؤذى الناس فى الدنيا، فإن أهل الجنة لا تؤذيهم شمس، كما لايؤذيهم برد، قال سبحانه: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا﴾ (سورة الإنسان آية ١٣).

وأخيراً نقول: الحمد لله الذى خلق الشمس والقمر، وسخرهما للإنسان، له الحمد وله الشكر، حمداً يوافى نعمه ويكافئ مزيده.

المراجع:

١ - القرآن الكريم بهامشه مختصر الطبرى مذيلا بأسباب النزول، دار التقوى - مصر.

٢ - الإمام القرطبى، تفسير القرطبى، دار الغد العربى، ١٤١٦هـ، الطبعة الثانية.

٣ - د. عبدالفتاح محمد وهيبه، جغرافية الإنسان، ١٩٩٠م، منشأة المعارف بالإسكندرية، بدون رقم الطبعة.

٤ - أحمد شوقى، ديوان أمير الشعراء أحمد شوقى (الشوقيات)، تدقيق: محمد فوزى حمزة، مكتبة الآداب (القاهرة)، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، الطبعة الأولى.

٥ - د. عز الدين على السيد، التكرير بين المثير والتأثير، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، دار الطباعة المحمدية، القاهرة.

تكنولوجيا الاتصال.. بين التقدم العلمى والتحديات الأخلاقية

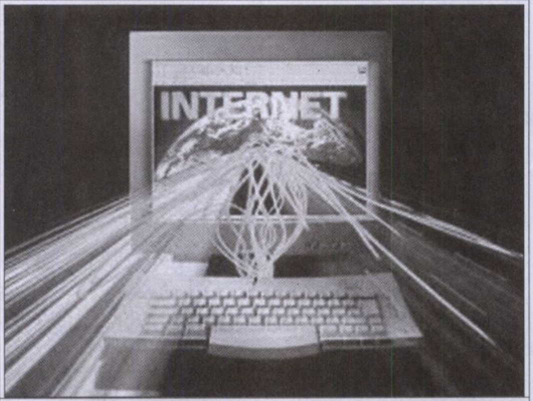

نحن نعيش فى عالم متسارع من التقدم المعلوماتى، والتقنيات الحديثة المتلاحقة، التى غطت أرجاء المعمورة، وفرضت نفسها كأخطر وأعظم الوسائل الإعلامية فى عصرنا الحديث،ألا وهى الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) لما تتمتع به من مزايا فائقة جامعة لكل خصائص وسائل الإعلام الأخرى ففيها المشافهة وجها لوجه، وفيها الاستماع، وفيها الصوت والصورة والحركة جميعاً، وفيها الوسائل المطبوعة المقروءة، إنها بحق الوسيلة الجامعة لكل محاسن الإعلام، وأيضاً الجامعة لكل مساوئه، فهى ساحة عرض لكل الأفكار، ولجميع الملل والنحل، وكما أن للمؤمنين جهوداً كبيرة فلغيرهم ـ للأسف ـ جهود أكبر وأوسع انتشارا تجذب المستخدمين للشبكة من جميع الأعمار. ورغم كل الجهود المخلصة فى هذا المجال الفسيح فإنها تبقى قليلة وقاصرة، تحتاج الدعم، والزيادة، والتنوع، والمثابرة، والتنظيم، وترتيب الأولويات.

وعلى الصفحات التالية قارئنا العزيز نلقى الضوء على ما لهذه الشبكة العنكبوتية من إيجابيات وسلبيات من خلال هذا التحقيق.

تحقيق: أمل عدلى

د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة:

غياب القيم وسوء مفهوم الحرية وراء انتشار الجريمة الإلكترونية

غياب القيم

أرجع الدكتور **عبد الفتاح مصطفى غنيمة** ـ أستاذ تاريخ العلوم والتكنولوجيا بجامعة المنوفية ـ انتشار جرائم الإنترنت إلى أنها ناتجة عن مفهوم خاطئ للحرية من خلال نشر ألفاظ خارجة والخروج على الدين والتقاليد والأعراف بالإضافة إلى غياب القيم، فعلى الرغم من أن هؤلاء الشباب يمتلكون قدرات عقلية فائقة وهائلة أوصلتهم لهذه الأخطاء فإنهم يفتقدون مع هذه القدرات وجود قيم حاكمة.

وفسّر ذلك بتراجع الدور الرقابى للمجتمع بأكمله بدءًا من الأسرة والمدرسة حتى المؤسسة التعليمية التى بدأت تفرط عن عمد فى رقابتها.

وحول تفسير أسباب قيام هؤلاء الشباب بهذه الجرائم أوضح أن مرحلة

المستشار حسن حسن منصور

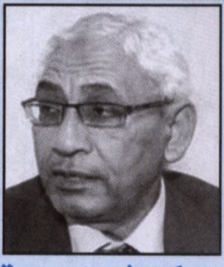

الحكم فى الجريمة الإلكترونية كالحكم فى غيرها من الجرائم

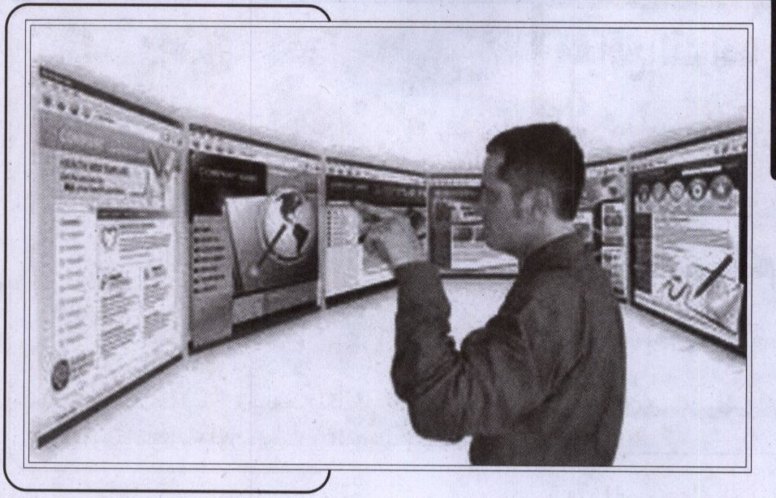

المراهقة وحب المغامرة وراء نشاط هؤلاء الشباب الزائد والفاسد فى الوقت نفسه.

وأضاف غنيمة أن الحوارات التى تتم عبر الإنترنت غالبًا ما تتم بين فئات اجتماعية لا يتيح لها المجتمع المحافظ أو المحلى نوعًا من الحوار المباشر، فيجدون فى هذه التقنية نوعًا من الحرية فى التعاطى مع الغير مع العلم أن هذا النوع من الحوارات يطغى عليه الكثير من عدم الصدق والصراحة باعتبار ان الطرفين المشاركين فى الحديث لايرى بعضهما البعض مما يضفى عليه نوعًا من الخيال.

أمّا من ناحية التعامل مع المواقع الجديدة على الإنترنت فقال: إنه على الرغم من الحسنات التى تقدمها زيارة هذه المواقع للفرد فإنها قد تسىء إليه إذا ما تمت بشكل غير صحيح وغير سليم حيث إنها قد تعزل الإنسان عن واقعه الاجتماعى وتجعله يعتقد أن كل ما يراه عبر الإنترنت هو مسلمات وواقع لا بد منه.

غياب التشريع

يقول المستشار **حسن حسن منصور** - نائب رئيس محكمة النقض -: إن قانون العقوبات المصرى سنة ١٩٣٧م لم يكن يعرف هذه الجرائم الإلكترونية والأجهزة الحديثة ولكن بعد ظهور هذه الأجهزة حدد لكل جريمة عقوبة فى قانون الجرائم الإلكترونية، أى أن القانون المصرى لم يتدخل بنص صريح يعالج جرائم الإنترنت التى بدأت تنتشر بصورة مقلقة.

وأضاف، أن التشريع المصرى اعتمد فى ذلك على قانون العقوبات فيما يتعلق بجزئية السب والقذف سواء كان ذلك بالنشر عبر الوسائل المقروءة أو المسموعة أو المذاعة بأية وسيلة.

وذكر أن القانون المصرى لم يعالج من خلال تشريعاته الجرائم الإلكترونية كجرائم مستحدثة، رغم أن الدولة العثمانية منذ عقود عديدة عالجت هذه الجرائم أيام السلطان حسين كامل فقد كانوا سباقين فى هذه المعالجة وما زالت دولة الأردن على سبيل المثال تطبق هذا القانون.

وبين أن القانون المصرى تدارك هذه الجزئية عندما أنشأ المحاكم الاقتصادية وخصص فيها جزءا للاتصالات وبالتالى نشأت أقسام خاصة بمديريات الأمن تتعلق بجرائم الإنترنت وتعالج جرائم الحاسوب، غير أنه لا يوجد تشريع قانونى خاص بهذه الجرائم.

وأوضح أن لجرائم الإنترنت أنواعًا عديدة منها:

١ - **الاختراقات:** تتمثل فى دخول غير المصرح له إلى أجهزة أو شبكات حاسب آلى ويتم ذلك من خلال

د. كارم السيد غنيم

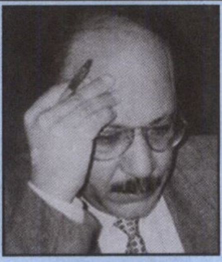

مواقع التواصل الاجتماعى سلاح ذو حدين وعلى المسلم استخدامها بعيدا عن إضاعة الوقت

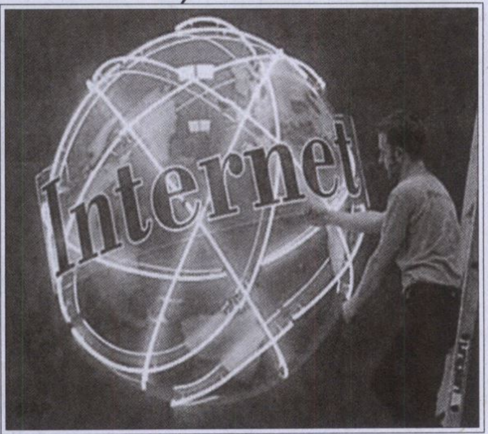

برامج متوفرة على الإنترنت يمكن لمن له خبرات تقنية متواضعة أن يستخدمها لشن هجماته على أجهزة الغير، وهنا تكمن الخطورة حيث تختلف الأهداف المباشرة للاختراقات، فقد تكون المعلومات هى الهدف المباشر حيث يسعى المخترق لتغيير أو سرقة أو إزالة معلومات معينة، وقد يكون الجهاز هو الهدف المباشر بغض النظر عن المعلومات المخزنة عليه، كأن يقوم المخترق بعمليته بقصد إبراز قدراته «الاختراقية» أو لإثبات وجود ثغرات فى الجهاز المخترق.

٢ ـ **المضايقة والملاحقة:** تتم جرائم الملاحقة على شبكة الإنترنت غالباً باستخدام البريد الإلكترونى وتشمل الملاحقة رسائل تهديد وتخويف ومضايقة، حيث تتفق جرائم الملاحقة على شبكة الإنترنت مع مثيلاتها خارج الشبكة فى الأهداف والتى تتمثل فى الرغبة فى التحكم فى الضحية، وتتميز جرائم المضايقة والملاحقة على الإنترنت بسهولة إمكانية المجرم فى إخفاء هويته علاوة على تعدد وسهولة وسائل الاتصال عبر الشبكة، الأمر الذى ساعد فى تفشى هذه الجريمة، ولذلك كان من المهم الإشارة إلى أن كون طبيعة جريمة الملاحقة على شبكة الإنترنت لا تتطلب اتصالاً ماديّا بين المجرم والضحية لا يعنى بأى حال من الأحوال قلة خطورتها، بالإضافة إلى قدرة المجرم على إخفاء هويته التى تساعده على التمادى فى جريمته وقد تفضى به إلى تصرفات عنف مادية علاوة على الآثار السلبية النفسية على الضحية.

٣ ـ **التغرير والاستدراج:** غالب ضحايا هذا النوع من الجرائم هم صغار السن من مستخدمى الشبكة، حيث يوهم المجرمون ضحاياهم برغبتهم فى تكوين علاقة صداقة على الإنترنت والتى قد تتطور إلى لقاء بين الطرفين. وأكد على أن مجرمى التغرير والاستدراج على شبكة الإنترنت يمكن لهم أن يتجاوزوا الحدود السياسية فقد يكون المجرم فى بلد والضحية فى بلد آخر، وكون معظم الضحايا هم من صغار السن، فإن كثيراً من الحوادث لا يتم الإبلاغ عنها، حيث لا يدرك كثير من الضحايا أنهم قد غُرر بهم.

٤ ـ **التشهير وتشويه السمعة:** يقوم المجرم بنشر معلومات قد تكون سرية أو مضللة أو مغلوطة عن ضحيته، والذى قد يكون فردًا أو مجتمعًا أو مؤسسة تجارية أو سياسية، وهنا تتعدد الوسائل المستخدمة فى هذا النوع من الجرائم، لكن فى مقدمة قائمة هذه الوسائل إنشاء موقع على الشبكة يحوى المعلومات المطلوب نشرها أو إرسال هذه المعلومات عبر القوائم البريدية إلى أعداد كبيرة من المستخدمين.

د. هاجر سعد الدين

الإنترنت وسيلة عابرة للحدود للتواصل بين الأشخاص تتيح تكوين صداقات من كل الدول

٥ ـ صناعة ونشر الإباحية: لقد وفرت شبكة الإنترنت أكثر الوسائل فعالية وجاذبية لصناعة ونشر الإباحية، فالإنترنت نشر الإباحية بشتى وسائل عرضها من صور وفيديوهات وحوارات فى متناول الجميع، ولعل هذا يعد أكبر الجوانب السلبية للإنترنت حيث إن صناعة ونشر الإباحية تعد جريمة فى كثير من دول العالم خاصة تلك التى تستهدف أو تستخدم الأطفال، ولقد تمت إدانة مجرمين فى أكثر من مائتى جريمة فى الولايات المتحدة الأمريكية خلال فترة أربع سنوات والتى انتهت فى ديسمبر ١٩٩٨م، وتتعلق هذه الجرائم بتغرير الأطفال فى أعمال إباحية أو نشر مواقع تعرض مشاهد إباحية لأطفال حيث أصبحت الإنترنت مجالاً رحبًا لمن له سلع أو خدمات تجارية يريد أن يقدمها، وبوسائل غير مسبوقة كاستخدام البريد الإلكترونى أو عرضها على موقع على الشبكة أو عن طريق ساحات الحوار وكان من الطبيعى أن يُساء استخدام هذه الوسائل فى عمليات نصب واحتيال، ولعل القارئ الذى يستخدم البريد الإلكترونى بشكل مستمر تصله رسائل بريدية من هذا النوع على شبكة الإنترنت مثل بيع سلع أو خدمات وهمية، أو المساهمة فى مشاريع استثمارية وهمية أو سرقة معلومات البطاقات الائتمانية واستخدامها ,وتتصدر المزادات العامة على البضائع عمليات النصب والاحتيال على الإنترنت وما يميز عمليات النصب والاحتيال على الإنترنت عن مثيلاتها فى الحياة اليومية هى سرعة قدرة مرتكبها على الاختفاء والتلاشى.

واختتم حديثه قائلا: «أنصح الشباب بضرورة توخى الحذر والدقة عند التعامل مع الإنترنت، واستخدام برامج الحماية حتى لا يتم اختراقه، وهذا يتطلب وجود وعى كامل لدى الشباب.

الإنترنت سلاح ذو حدين

وأوضح الدكتور **كارم السيد غنيم** ـ الأستاذ بكلية العلوم جامعة الأزهر ـ أن الله عندما خلَق البشر أمرهم بالتواصل والتقارب فيما بينهم، ويتضح ذلك فى قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾** (الحجرات: ١٣)، فيجب على المسلمين جميعًا أن يتواصلوا فيما بينهم؛ لتحقيق الوحدة بين أبناء الأمة الإسلامية.

وأشار إلى أن التقدم العلمى المذهل جعل التواصل بين الناس سهلا ميسورًا عبر العديد من المواقع الإلكترونية، واستغل البعض من ضعاف النفوس تلك التقنيات الحديثة واستخدموها فى غير موضعها بما

د. درية محمد عبدالرازق

الإنترنت يساعد الشباب على التواصل مع ثقافات العالم المعاصر

يغضب الله ويضر بأمتنا الإسلامية.

وأضاف د. كارم السيد غنيم أنه يَجب علينا أن نعى جيداً ما يحاك من أعدائنا من مؤامرات للإضرار بنا وتشويه صورة الإسلام والمسلمين.

كما أضاف أن على الشباب الذى يرتاد تلك المواقع الإلكترونية أن يستحضر فى نيته ويضع فى حسبانه أن استخدامه لتلك المواقع من أجل التعارف مع أترابه، وتقريب وجهات النظر فيما بينهم، والتعرف على الثقافات المختلفة.

وأكَّد د. غنيم أن مواقع التواصل الاجتماعى سلاح ذو حدَّين، وعلى الشباب استخدامها بالأسلوب الأمثل بعيداً عن أى ممارسات سيئة التى لا طائل من ورائها سوى إضاعة الوقت.

التخلق بخلق الإسلام

وشدد فى حديثه أن الذي يستخدم «الإنترنت» بما يمثل انتهاكا لحرمة الأعراض يكون عقابه من الله شديداً وتنطبق عليه الآية الكريمة **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾** (النور: ١٩)، وأكد أن هذا يعد اعتداءً على الأعراض ينطبق عليه ما ينطبق على العِرض المباشر بالسب أو القذف أو التشهير أو التزوير.

وذكر أن الحكم الشرعى واضح فى النظر إلى العورات، واختراق سترها عن طريق الإنترنت شأنه فى ذلك شأن من ينظر إلى العورات الحسية، فالقصد واحد والنتيجة واحدة، وجميعه مخالف لما يدعو إليه الإسلام من حيث التخلق بخلق الإسلام، وهو الاستحياء من الله، كما أكد أن اختفاء الحياء هو نوع من الفحش الذى أشار إليه النبى ﷺ فى قوله: **«ما كان الحياء فى شىء إلا زانه وما كان الفحش فى شىء إلا شانه».**

مضيَعة الوقت

تقول دكتورة **هاجر سعد الدين**: - الإعلامية المعروفة ورئيس إذاعة القرآن الكريم السابقة -: «مواقع التواصُل الاجتماعى» لها فوائدُ كثيرة جداً، تكمُن فى استمرار التواصُل بين مستخدمى هذه المواقع مع بعضهم البعض، وذلك من شأنه أن يزيد من الترابط ومِن قوة العلاقات بين المجتمع، فلتلك المواقع إيجابيات عديدة، منها: تبادُل الآراء بين المُستخدمين بعضهم البعض، والتعرُّف على ثقافات الشعوب الأخرى، فضلاً عن أنها وسيلة عابرة للحدود للتواصُل بين الأشخاص، فتُتيح للفرد تكوين صداقات من دول أخرى، كما أنها وسيلة لمُمارسة الأنشطة الثقافية والاجتماعية التى تَهدف إلى التقارب بين الأفراد، وتُسهِّل عملية التواصُل مع الآخرين.

وتُضيف قائلة: «مواقع التواصل الاجتماعى» لها سلبيات كثيرة، منها كثرة تداول الشائعات والأخبار المغلوطة؛ نظراً لعدم اشتراط التأكد من المعلومة قبل نَشرها، إضافة إلى غياب الرقابة على ما يُكتَب أو ما يُنشَر فى تلك المواقع، فهناك الكثير من الشباب يقوم بنشر مواد ليست لها أى أهمية، كما أن هناك ضرراً كبيراً جداً لهذه المواقع، وهو ظهور بعض الألفاظ واللغات الغريبة التى هى مزيج بين العربية والإنجليزية، ويُطلَق عليها - الفرانكو آراب - ومثل هذه اللغات من شأنها أن تُضعف مستوى اللغة العربية لدى الأجيال القادمة، وتؤدِّى إلى اندثار لغتنا الأصيلة.

وتُتابع د. هاجر سعد الدين موضحة أن هناك سلبيات أخرى تتعلَّق بعدم تقبُّل الرأى الآخر، كالنقاشات الحادة، والمشاحنات بين الشباب على تلك

المواقع، بالإضافة إلى إضاعة الشباب للوقت فى التنقُّل عبر صفحات تلك المواقع، والتحدُّث فى أمور ليس لها قيمة ولا فائدة، وهذا الجانب هو أخطر الجوانب السلبية؛ حيث إن مضيِّعة الوقت تأتى بالسلب على المجتمع كله وعلى تقدُّمه، وليس على الشخص فقط، وأخيراً هذه المواقع أيضًا تؤثِّر على الجانب الأسرى؛ حيث يؤدى الدخول عليها إلى العزلة الاجتماعية، وعدم اندماج الفرد مع أسرته، وغيابه عن مشكلاتها وعن المشاركة فى المناسَبات الاجتماعية، وما إلى ذلك.

ثقافة العالم المعاصر

تشير دكتورة **درية محمد عبد الرازق** ـ أستاذ علم النفس بكلية البنات جامعة عين شمس ـ إلى قول مارتيز حين قال: «انظروا هنا حيث تتوهج الشمس بشدة بحيث لا تعرف أسرار دوار الشمس إلى أى اتجاه تدور»، هكذا فعل الإنترنت بالعالم فحينما ظهرت شبكة الإنترنت عام ١٩٦٩م فى أمريكا أدت إلى عدم معرفة العالم إلى أى اتجاه يدور.

ومن إيجابيات الإنترنت :

١ ـ التعرف على عوالم جديدة .

٢ ـ كثرة تكوين صداقات.

٣ ـ إتمام الصفقات التجارية والعلمية .

٤ ـ حضور الندوات والمؤتمرات على مستوى العالم وتعلم مختلف العلوم والفنون.

٥ ـ الاطلاع على الأبحاث والمجلات العلمية والبريد الإلكترونى والمدونات وغرف الدردشة .

وأضافت أن الإنترنت يساعد الشباب على التواصل مع ثقافة العالم المعاصر، والخروج إلى عالم بلا حدود جغرافية، حيث يساعدهم على الدخول إلى عالم التكنولوجيا، وتنمية روح الابتكار، كما يلعب الإنترنت دورًا بارزًا فى مجال ترابط الشباب الذى يعانى الغُربة والوحدة النفسية والاجتماعية، ويساعد فى تعريف الشباب بثقافة مجتمعه، ويزيد من تواصله مع نظرائه فى المجتمع، مما يزيد شعوره بالانتماء والولاء لهذا المجتمع، كما يتيح للشباب فرص عمل.

وتتساءل: هل كان يدرك «مارك زوكر بيرج» حين أراد أن يراسل زملاء الدراسة عبر موقع أسماه «الفيس بوك» والذى اشتهر باسم موقع التواصل الاجتماعى أنه سيضم ملايين المستخدمين ويتواصل عبره الكثيرون وتظهر على صفحاته العديد من الموضوعات الغريبة كالطلاق والزواج الإلكترونى.... إلخ.

ومن سلبيات الإنترنت :

انتشار الجريمة الإلكترونية والخيانة الزوجية واللسرقات العلمية، والبنكية، وعمليات النصب والاحتيال عبر العديد من المسابقات ومعرفة بيانات الشخص من خلال طرق التحايل عن طريق سرقة حساباته، وانتشار جرائم السب والقذف والنيل من الأفراد عبر المواقع المختلفة.

وعن الحلول من وجهة نظرها تقول: «إنه على الرغم من وجود شرطة إلكترونية فإن الكثير لا يعلم عنها شيئا ولا كيفية الوصول إليها، لهذا يجب أن تعلن عن نفسها بشتى وسائل الإعلام المختلفة:

ـ تحجيم خوف الفرد من التعامل معها خشية الفضيحة وشماتة الآخرين فيجب أن يتم التعامل بروية وسرية مع هؤلاء الأفراد.

ـ نشر الجرائم الإلكترونية عبر وسائل الإعلام المختلفة وبيان الحكم الصادر لتكون عبرة للآخرين.

ـ مصادقة الأبناء والاشتراك معهم فى المواقع التى يرغبون فى التعامل معها حتى يتفادى الوالدان أى انحراف فى سلوك الأبناء ويجب على المجتمع أن يحول هذه الطاقات المهدرة عبثا من طاقات سلبية تهدم وتخرب وتدمر إلى طاقات إيجابية تبنى وتدفع عجلة المجتمع إلى الأمام عن طريق شغل فراغ هؤلاء الشباب بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع.

وختاما:

يجب أن نستفيد من إيجابيات الإنترنت، وأن نعمل على تقليل السلبيات ما أمكن، وذلك يكون من خلال البحث عن المواقع التى تتناول التواصل المعرفى، والعلمى والتعرف على آخر مستجدات العصر، بالإضافة إلى المواقع التى تتناول البحث عن الأعمال المناسبة التى يحتاج إليها الشباب فى مقتبل عمره.

وكما أن للإنترنت إيجابيات فهناك أيضا سلبيات يجب أن يحترس منها الشباب، ولاسيما المواقع التى تعمل على إفساد عقولهم بما تبثه من أفكار هدامة سواء كانت سياسية أو أخلاقية أو دينية بما لا يعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

ماليــــــــــــــزيا

نافذة على العالم الإسلامى

إعداد: جليلة أحمد حلمى

كان تنقل التجار المسلمين والدعاة على السواحل المطلة على المحيط الهندى سببا فى انتشار الإسلام، حيث إن التجار المسلمين كانوا يحملون مع بضائعهم العقيدة الإسلامية التى تتلاءم والفطرة البشرية وتعطى معاملاتهم وسلوكهم وأخلاقهم صفة تختلف عما يتصف به بقية التجار وكثيرا ما كان الدعاة يتخذون التجارة وسيلة ليتواصلوا مع السكان ويدعوهم إلى الإسلام الذى يغزو القلوب لا الأراضى والبلدان.

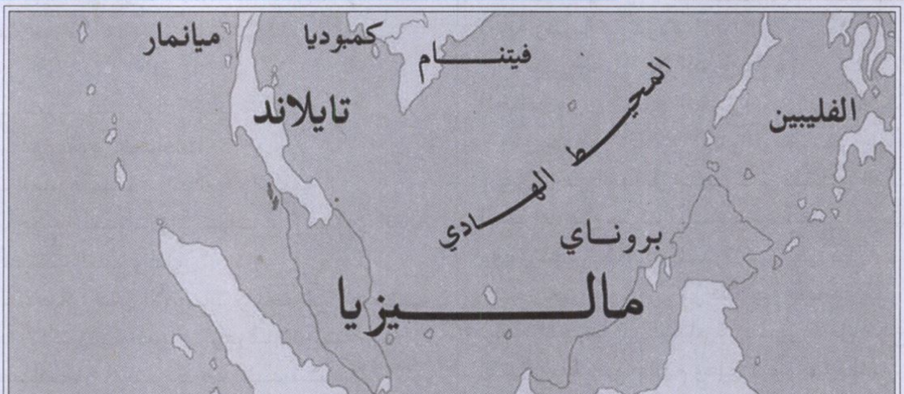

الموقـــع

تقع ماليزيا جنوب شرق آسيا وتتكون من ثلاث عشرة ولاية وثلاثة أقاليم اتحادية، يحد ماليزيا كل من تايلاند وإندنيسيا وسنغافورة وسلطنة بروناى، وتقع بالقرب من خط الاستواء ومناخها مدارى، ويصل عدد سكانها إلى ما يقرب من ثمانية وعشرين مليون نسمة، تنقسم البلد إلى قسمين يفصل بينهما بحر الصين الجنوبى، والقسمين هما: شبه الجزيرة الماليزية، بورنو الماليزية المعروفة باسم ماليزيا الشرقية.

ماليزيا هى البلد رقم ثلاثة وأربعين من ناحية التعداد السكانى، وتماثل فى تعدادها السكانى كل من السعودية - فنزويلا - النرويج من ناحية المساحة.

تتميز ماليزيا بالسهول الساحلية التى ترتفع لتشكل تلال وجبال مغطاة بالغابات الكثيفة ويعتبر مضيق (ملقا) الذى يقع بين جزيرة سومطرة وشبه جزيرة ماليزيا من أهم الممرات الملاحية فى العالم،

اعتمد اسم ماليزيا عام ١٩٦٣م. ومعنى اسم ماليزيا - أرض شعب الملايو - ذلك لأن أصل كلمة (مالايو) أو (مالاى) والكلمة مزيج من كلمة فى لغة التاميل - السنسكريتية (مالاى) بمعنى (تلة) وأور بمعنى (مدينة) أى (مدينة التلة).

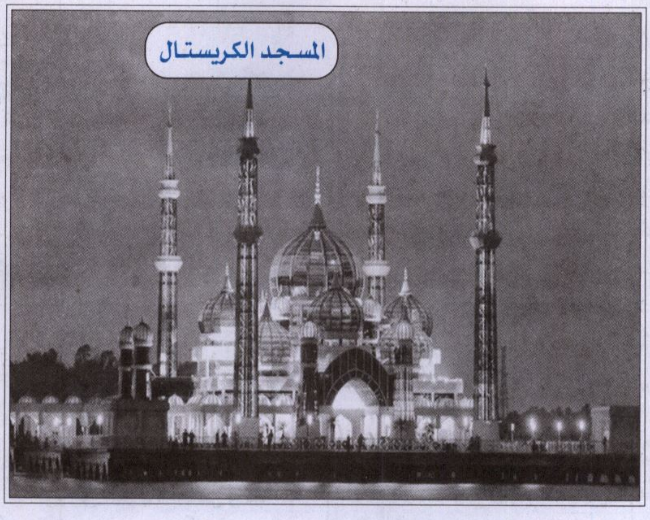
المسجد الكريستال

الدين الرسمى فى أغلب الولايات وأكبر الأديان بها بالرغم من أن المجتمع الماليزى مجتمع متعددالأديان. وفقا للتعداد السكانى السابق عام ٢٠٠٠م فإن ما يقرب من ٦٠٪ مسلمون ١٩٪ بوذيون، ٩,١٪ مسيحيون، ٦,٣٪ هندوس، ٢,٦٪

العاصمة وأهم المدن

كوالالمبور العاصمة وأكبر المدن فيها، بوتراجايا العاصمة الفيدرالية الإدارية - غير أن كوالالمبور هى العاصمة التشريعية لماليزيا لأنها تضم المقر البرلمانى وتعد المركز الرئيسى التجارى والاقتصادى فيها. ومن مدنها الشهيرة - جورج تاون - ايبوه - جوهو بادر - كوتشينغ - كوتاكينابالو - ملقا، واللغة الماليزية هى اللغة الرسمية بجانب الإنجليزية.

استقلت عن المملكة البريطانية عام ١٩٥٧م وشعارها الوطنى هو الوحدة فى القوة، لم يكن لماليزيا وجود كدولة موحدة حتى عام ١٩٦٣م وذلك لأن المملكة المتحدة بسطت نفوذها فى مستعمرات تلك المناطق أواخر القرن الثامن عشر. وتكون النصف الغربى من ماليزيا الحديثة من عدة ممالك مستقلة عرفت هذه الممالك من المستعمرات باسم مالايا البريطانية حتى عام ١٩٤٦م ثم أعيد تنظيمها فى اتحاد الملايو عام ١٩٤٨م حتى حصولها على الاستقلال عام ١٩٥٧م.

شهدت ماليزيا فى أواخر القرن العشرين طفرة اقتصادية وخضعت لتطور سريع حيث يحدها مضيق (ملقا) كما أن التجارة الدولية جزء أساس من اقتصادها وتشكل الصناعة إحدى القطاعات الرئيسية فى اقتصادها، كما انضمت ماليزيا إلى مجموعة الدول الثمانى الإسلامية النامية وتمتلك تنوعًا حيويا من النباتات والحيوانات، الإسلام هو

كونفوشيسيون بينما هناك من يدين بما يسمى الإحيائية - السيخية نسبة للسيخ، كما أن هناك ملحدين، أما المسلمون فإن المذهب الشافعى هو المذهب الرئيسى فى البلاد وفى أحكامهم، ومحاكمهم.

اللغة

الملاوية هى اللغة التى يتحدث بها المالاويون الذين يعيشون فى شبه جزيرة الملايو وجنوب تايلاند والفلبين وشرق سومطرة وهى اللغة الرسمية لماليزيا وبروناى وسنغافورة وهى لغة مشابهة لحد كبير من اللغة الإندونيسية، تستخدم ماليزيا الأبجدية اللاتينية والأبجدية العربية ويسمى (جاوى). تستعير اللغة المالايوية الكثير من كلمات عربية من المصطلحات الإسلامية.

بدأت ماليزيا فى السبعينيات تقليد اقتصاد النمور الآسيوية وانتقلت من التعدين والزراعة إلى اقتصاد يعتمد على التصنيع بوجود استثمارات يابانية وازدهرت الصناعات الثقيلة فى غضون سنوات قليلة وتعد ماليزيا اليوم من أكبر مصنعى الأقراص الصلبة الحاسوبية.

كما تعتبر ماليزيا المنتجة الأكبر فى العالم للقصدير والمطاط وزيت النخيل مما دفع الاقتصاد الماليزى للأمام.

دخول الإسلام

الإسلام هو أكثر الأديان إنتشارًا فى ماليزيا حيث

قام عدد من التجار المسلمين والدعاة بالدعوة إلى الإسلام فى أرخبيل الملايو. كما حمل المسلمون التجار الإسلام فى القرن الثانى عشر الميلادى إليهم، ولم يدخل الإسلام إلى هناك بجيوش فاتحة بل كان طريق التجارة هو السبيل الوحيد للدعوة إلى الإسلام بما يحمله التجار من أخلاق الإسلام وهمّ الدعوة إلى الله بالحسنى والمعاملة الحسنة فحققوا القاعدة الأصيلة التى تؤكد أن الإسلام إنما يغزو القلوب لا الأراضى والبلدان. كما أن التجار عرفوا بالعفة والأمانة مما حبب الإسلام إلى نفوسهم حتى باتوا يدينون بالإسلام وأصبحوا من أبنائه المخلصين.

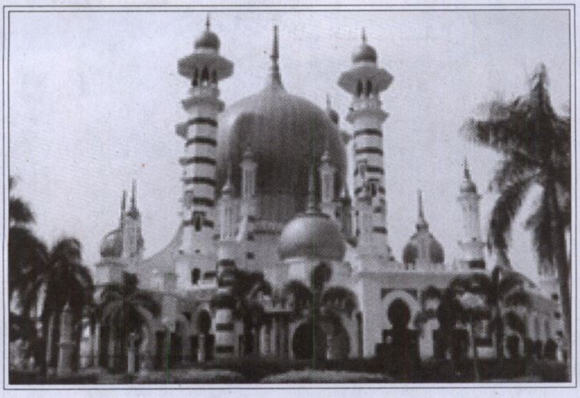

توالى اعتناق سكان الموانى التجارية الساحلية التى يمر بها التجار حتى أصبح الإسلام بحلول القرنين الخامس والسادس عشر هو الدين الغالب لشعب الملايو.

يوجد فى ماليزيا الجامعة الإسلامية العالمية - كما أن هناك حكومة منوطة بتنظيم الحج وتسمى صندوق الحج (تابونغ حج) كما أن الحكومة تمول بناء المساجد والجوامع.

تقع الجامعة الإسلامية العالمية فى مدينة غومباك شمالى كوالمبور، تأسست عام ١٩٨٣م بدعم من السعودية وماليزيا وجزر المالاديف وتركيا وباكستان وبنجلادش، يدرس بالجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية والعلمية والطبية وكان مهاتير محمد(أبو ماليزيا) ورئيس الوزراء السابق صاحب فكرة إنشاء الجامعة وتعتبر الجامعة الإسلامية الحكومية الوحيدة التى سمحت للطلاب الأجانب بالدراسة فيها منذ تأسيسها.

مظاهر التمدن الإسلامى

تعود الإنسان الماليزى على السلوك الحضارى حيث نلمس الجانب العمرانى الراقى ووسائل النقل الحديثة والاستخدام العالى للتكنولوجيا إلى جانب الانضباط والنظام والعمل الجاد فى كل مؤسسات الدولة، بالإضافة إلى الأدب فى التعامل فيما بينهم. يتبادلون الحديث بصوت منخفض هادئ، أما الأمانة فهى أكثر السلوكيات انتشاراً هناك.

من المساجد المشهورة فى ماليزيا

المسجد الكريستال

ويقع فى مدينة كوالاتير بنغاغو وبنى عام ٢٠٠٦م، ويعتبر مزاراً فريداً للمسلمين ومصنوع من الكريستال الخالص واستغرق بناؤه عامين ويعد ثانى أكبر مساجد جنوب شرق آسيا ويقع على بحيرة (بوتراجايا) الاصطناعية.

هناك علاقات بين مصر وماليزيا متمثلة فى الاتفاق التعاونى بين جامعة الأزهر ووزارة التربية والتعليم الماليزية من خلال فتح فرع لجامعة الأزهر لتدريس الفقه والشريعة - أيضًا اتفاقية لاستكمال طلاب الطب تعليمهم فى جامعات مصر نظرا لأن تكلفة الدراسة أقل من مثيلاتها فى أوروبا وأمريكا بالإضافة إلى المناخ الدينى والثقافى الآمن فى مصر كما توجد بعثة أزهرية من خمسة مبعوثين تتحمل ماليزيا جزء من رواتبهم بجانب الأزهر، افتتحت ماليزيا عام ٢٠٠٣م مركزًا للدراسات الماليزية بجامعة الأزهر إلى جانب أن الشركة البترولية الوطنية بماليزيا خصصت عشرين منحة جامعية للطلبة المصريين الأوائل للالتحاق بجامعة (بتروناس).

ماليزيا تحدث نقلة نوعية عن أخلاق وطباع المسلمين وتعطى بقوة لا مثيل لها مثالا فى باقى دول العالم فى مختلف مناحى الحياة بإقناع غير المسلمين بالوجه الحقيقى للدين الإسلامى أكثر من المواعظ والخطب خاصة عندما يكون هناك تناقض بين القول والفعل.

ولقد استطاع (مهاتير محمد) رئيس الوزراء السابق وكما كان يسمى (أبو ماليزيا) أن يشهد بلده تمدنا فى قفزة اقتصادية فريدة من نوعها وكان يطمح فى أن تصبح دولته بحلول عام ٢٠٢٠م ضمن الدول المتقدمة.

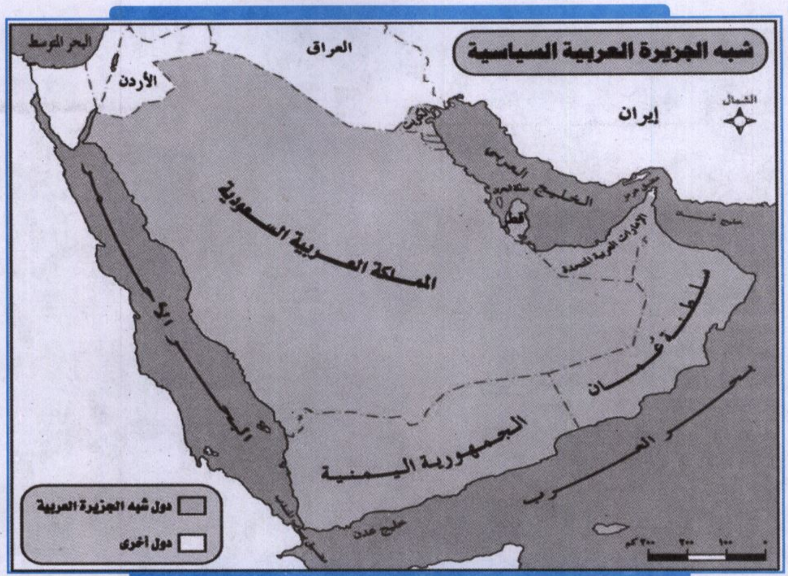

وادى العقيق (عقيق المدينة)

د. عبدالمقصود باشا*

وهو المقصود إذا أطلق اسم «العقيق» وهو واد فى ظاهر المدينة المنورة فيه بساتين وعيون ماء ونخيل.

ومعنى العقيق فى اللغة: كل واد شقه السيل فى الأرض ووسعه وجرى فيه بقوة. والعقيق أيضاً ضرب من الحجارة الكريمة أحمر اللون تعمل منه فصوص الخواتم وهذا المعنى غير مراد هنا.

والجدير بالذكر أن فى الجزيرة العربية عدة أودية تحمل هذا الاسم، ولكن أشهرها عقيق المدينة. وكلمة العقيق مشتقة من العق وهو الشقّ، وربما يكون قد سمى بهذا الاسم، وكذلك الأودية المسماة به لأنه فى الأصل سيل يشق الأرض ويجرى فى مجراه.

يعد «وادى العقيق» جزءا أصيلا من تاريخ وحاضر المدينة المنورة ورد ذكره فى الكثير من الكتب التاريخية والجغرافية التى رصدت الجوانب الثقافية والاجتماعية لطيبة الطيبة قديما.

وقد ورد فى صحيح البخارى باب بعنوان: باب قول النبى صلى الله عليه وسلم، (العقيق وادٍ مبارك) وفيه حديث عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ، بوادى العقيق، يقول: **«أتانى الليلة آت من ربى، فقال: صلّ فى هذا الوادى المبارك».**

ويشق وادى العقيق بدايته من حدود الطائف ويعد من أطول أودية الحجاز ويأخذ العقيق أعلى مساقط مياهه من قرب وادى الفرع مائة وخمسين كيلومترا جنوبًا، ثم ينحدر شمالا بين الحرار شرقا وسلسلة جبال

* استاذ التاريخ بجامعة الأزهر

قدس غربا فيسمى (النقيع)، وعندما يقترب من أبيار الماشى يسمى عقيق (الحسا) إلى أن يصل آبار على بذى الحليفة فيسمى العقيق، وينتهى مجراه فى الغابة إذا اجتمع بوادى بطحان.

ويسيل وادى العقيق فى الشتاء مثل نهر كبير، وفى السنوات التى تكثر فيها الأمطار تظل المياه فيه عدة أشهر.

وتدل الكتابات التاريخية على أنه كان فى بعض العصور أشبه بنهر دائم الجريان، وامتاز الوادى بصفاء هوائه وعذوبة مائه ولين ترابه وخصوبة أرضه، فكان لذلك محط أنظار الخلفاء والأغنياء والوجهاء لذلك قامت على ضفافه فى العصر الأموى وشطر من العصر العباسى قصور كثيرة، وتزاحم الميسورون على قطع الأراضى بجانبيه حتى لم يعد فيه موضع لمزيد من البناء، ومن أشهر القصور فيه: قصر سعد بن أبى وقاص، ومازالت بعض آثاره قائمة حتى الآن. وقصر عروة، وقصر سكينة بنت الحسين، وغيرها كثير.

يعد وادى العقيق جزءاً أصيلاً من تاريخ وحاضر المدينة المنورة ورد ذكره فى الكثير من الكتب التاريخية والجغرافية

ونشأت بالقرب منه مزارع خصبة تغطيها أشجار النخيل وشتلات الخضراوات والفاكهة، فضلاً عن الحدائق التابعة للقصور القائمة فيه.

وتصف المصادر التاريخية مياهه ومياه الآبار فيه بالعذوبة، ولذا يتزود منها أهل المدينة والمسافرون إليها.

وفى التاريخ الحديث كان يمر خط سكة حديد الحجاز على جسر يصل ضفتى الوادى كما بنى عليه القصر الملكى، وعلى ضفته بنى مطار المدينة أول المطارات، وكذلك الأرض التى كانت مطارا فى أيام الأتراك تهبط فيها الطائرات العثمانية العسكرية التى تحمل الباشاوات، وبقى هذا المطار حتى نقل إلى موقعه الحالى شرق المدينة.

وهو يمثل الممر المائى لأشهر الأودية، انتشرت على ضفتيه الوحدات السكنية ويقع عليه سدان هما سد عروة والآخر سد الغابة.

الدكتور منصور إسكوديرو

داعية إسلامي من طراز خاص (١٩٤٧-٢٠١٠)

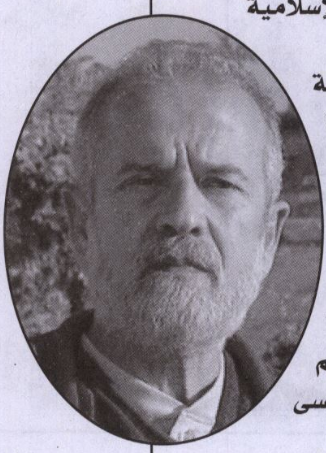

لعب المرحوم الدكتور/ منصور اسكوديرو دوراً مهماً فى خدمة الدعوة الإسلامية فى أسبانيا والدول المتحدثة بالأسبانية.

لقد ولد فرانسيسكو اسكوديرو بيداتى فى ٧ نوفمبر ١٩٤٧م بمنطقة الماتشير بالغرب فى مالقا. أكمل دراسته الجامعية فى الكلية اليسوعية وحصل على بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة كومبلوتنسى فى مدريد عام ١٩٧٣م وتخصص فى الطب النفسى العصبى فى مركز الصحة النفسية فى قرطبة عام ١٩٧٦م.

عمل مع الدكتور رديو بينوفشتاله لمدة سبع سنوات وأسسا معًا مركزًا رائدًا «هو مركز العلاقات الشخصية فى قرطبة» وظهر تأثرهما بفلسفة الجتشطالت، شارك منصور اسكوديرو فى العديد من البحوث المتعلقة بعلم النفس فى فرنسا والولايات المتحدة وسافر إلى الصين حيث درس الطب النفسى التقليدى فى جامعة بكين المركزية.

حمدى محمود الضوى

لم يكن منصور اسكوديرو راضيًا عن الطرق المستعملة فى الطب النفسى واعتبرها قاصرة وعاجزة وشارك فى الحركة التى تطالب بإصلاح المستشفيات المتخصصة بالصحة النفسية. فبدأ مرحلة من البحث والاطلاع على التجارب التى أنجزتها الثقافات الإنسانية الأخرى فى مجال دراسة النفس الإنسانية مثل الأفكار البوذية والكونفوشية. حيث زار منطقة التبت وناقش كثيرًا من الرهبان البوذيين وعندما وجه مجموعة من الأسئلة إلى أحد خبراء البوذية قال له: ما تبحث عنه موجود فى بلادك، ورجع منصور اسكوديرو بعدها إلى أسبانيا وانكب على دراسة ما أنجز علماء الإسلام حول النفس الإنسانية وبصفة خاصة التراث الصوفى الإسلامى، لقد وجد منصور الإجابة على الأسئلة التى كانت تحيره واهتدى الطبيب الحائر إلى الإسلام فى عام ١٩٧٩م واختار اسما إسلاميّا هو/ منصور عبد السلام اسكوديرو تيمنا بالشيخ الصوفى عبد السلام بن مشيش. سعى منصور اسكوديرو إلى الدراسة العميقة للإسلام والتعرف على المسلمين الموجودين على الأراضى الأسبانية وغالبيتهم من المهاجرين والباقى من الأسبان المهتدين إلى الإسلام فى أسبانيا، فى عام ١٩٨٠م أسس جمعية عودة الإسلام إلى أسبانيا، وقد شهدت هذه السنوات تأسيس عدد من الجمعيات الإسلامية فى العديد من المدن الأسبانية. لقد شاءت إرادة الله أن يلتقى مع ماريا خيسوس أوريبى والتى ولدت عام ١٩٤٦م بمدينة بسكايا التابعة لإقليم الباسك فى شمال أسبانيا وقد اشتهرت بحبها الشديد للبحث العلمى والشغف بالمعرفة. لقد حصلت على درجة جامعية فى الفلسفة وعلم النفس وبعد مرحلة من المعاناة اهتدت إلى الإسلام واختارت اسمًا إسلاميّا هو (صبورة) وامتازت بالنشاط وأصبحت كاتبة بمجلة

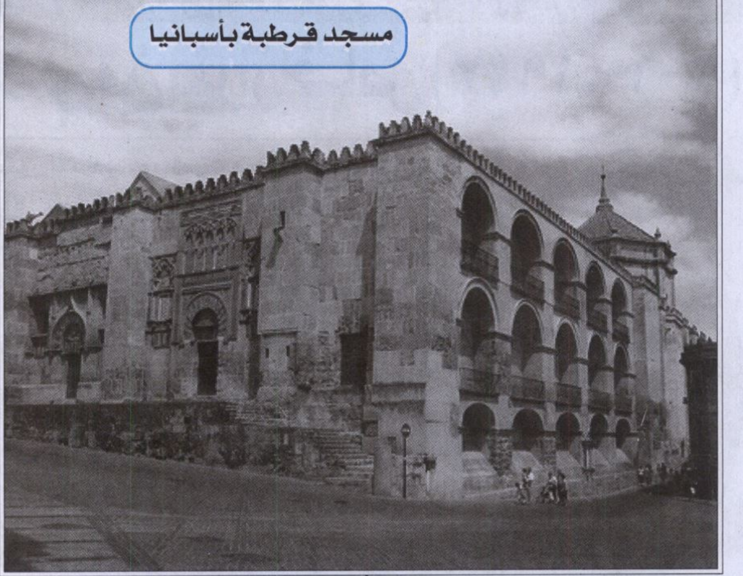

الإسلامى إلى خدمة المسلمين فى أسبانيا والدول المتحدثة بالأسبانية ويتعاون مع المنظمات الإسلامية الأخرى فى أسبانيا وخارجها حيث قام المركز الإسلامى بإنشاء أكبر موقع إسلامى باللغة الأسبانية هو ويب إسلام (web islam) على شبكة الإنترنت ويقوم المركز بإقامة الندوات وإرسال المحاضرين المسلمين إلى الجهات الأسبانية لشرح الإسلام والتعريف به والرد على التساؤلات ومساعدة المهتدين حديثًا إلى الإسلام. أنشأ منصور اسكوديرو (معهد الحلال) وهى مؤسسة إسلامية تابعة للمركز تقوم بالتفتيش على المأكولات والمشروبات ومدى مطابقتها للشريعة الإسلامية وتقوم بإصدار شهادات بذلك، لقد استقطب المركز الإسلامى كثيرا من الأسبان الذين هداهم الله إلى الإسلام مثل عبد الكريم كراسكو وعبد النور برادو وهاشم كابريرا وعملوا معًا لخدمة الإسلام. أسس منصور المجموعة الأدبية (شهادة) وقد اجتهدت هذه المجموعة فى البحث والدراسة لتشكيل رؤية إسلامية فى مجتمع أوربى حديث تحول من الديكتاتورية إلى الديموقراطية وانضم إلى مجتمع أكبر هو الاتحاد الأوربى، سعى منصور اسكوديرو إلى الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه فى وجه الحملات الظالمة ضده وتجميع جهود المسلمين فى أسبانيا للمطالبة بحقوقهم كمواطنين عانوا من

امتاز منصور إسكوديرو بالدبلوماسية الهادئة لكونه طبيبًا نفسيّا ومسلمًا صوفيّا

الإسلام الأخضر islam verd، تزوج منصور اسكوديرو صبورة وعمل الزوجان المسلمان على تغيير الصورة النمطية للإسلام كدين مرتبط بالإرهاب ومتعارض مع قيم الديمقراطية. لقد ركزت زوجته صبورة البرهان على عظمة وإنسانية الإسلام فى تعامله مع المرأة وقضاياها وفى مناسبة أخرى قال منصور: «إن عائلته اهتدت إلى الإسلام كخيار مسئول بالمجتمع الأسبانى»، وقال أيضًا: «إن إسلامنا يحوى طراوة يحس بها من اكتشفه لا كالذى ورثه مع ثقافة ما». رحل منصور اسكوديرو مع عائلته من غرناطة إلى منطقة الدوموفار دى ريو بالقرب من مدينة قرطبة الأندلسية حيث تتوفر له حرية ومساحة أكبر للحركة والعمل على خدمة الإسلام. أقام منزلا له أسماه (دار السلام) وبجواره أقام منصور «المركز الإسلامى gunta Islamica» فى قرطبة ويهدف ذلك المركز

الظلم تاريخيًا والدفاع عن حقهم فى المشاركة فى كل نواحى المجتمع الأسبانى، يوضح منصور اسكوديرو فى إحدى مداخلاته «الإسلام والديمقراطية لا يتعارضان وإن الإسلام منذ بدايته بنى على نهج اندماجى ولم يخف الإسلام التعددية وإنما اعتبرها مصدرًا للغنى، إن الإسلام ينادى بالعلم واستعمال العقل وأن السلام هو مبدأه». دافع منصور اسكوديرو عن حقوق الموريسكيين وهم مسلمو الأندلس الذين تم طردهم من أسبانيا بعد زوال الإسلام عام ١٤٩٢م حيث دعا منصور سكوديرو بصفته رئيسًا لاتحاد المسلمين الأسبان (FEERI) إلى اتخاذ إجراءات لمعالجة ما لحق بهم من ظلم وإهمال وطالب فى محاضرة له فى جامعة قرطبة بعنوان من (قرطبة إلى تمبكتو) بمنح الموريسكيين نفس الحقوق التى يتمتع بها ذوو الأصول الأسبانية فى أى منطقة فى العالم والذين يمنحهم القانون الأسبانى حق اكتساب الجنسية الأسبانية.

وطالب بالسماح للمسلمين بالصلاة فى جامع قرطبة والذى تم تحويله إلى كنيسة وبقى صحن المسجد لا يستعمل ويعد آية من آيات الفن المعمارى الإسلامى. لقد منعت الشرطة الأسبانية بعض السياح المسلمين من الصلاة داخل المسجد.

لقد طالب منصور بحق المسلمين فى الصلاة داخل المسجد واعتبر أن صلاة المسلمين والمسيحيين فى نفس المبنى سوف تكون دليلاً على التسامح والتفاهم بين المسيحية والإسلام ولقد وجه رسالة إلى البابا بندكت قال فيها: «إن صلاة المسلمين والمسيحيين فى مسجد قرطبة ستكون برهانًا أمام المشككين بإمكانية الانفتاح وبناء حوار بين الأديان وأن سلاح الصلاة هو السلاح الأقوى».

لعب منصور إسكوديرو دورًا بالغ الأهمية فى دعم الدين الإسلامى ودمج المسلمين فى النسيج السياسى والدينى لأسبانيا

لقد استنكر منصور ما قام به تنظيم القاعدة فى أحداث الحادى عشر من سبتمبر وصرح بأن كل ما قام به التنظيم من أعمال ليست من الإسلام وأن الإسلام يحرم قتل الأبرياء.

دافع منصور اسكوديرو بكفاءة عن المسلمين بعد وقوع الهجوم الإرهابى على مترو الأنفاق فى العاصمة مدريد والذى كان نتيجته حالة من الغضب الشديد ضد الإسلام والمسلمين مع الأخذ فى الاعتبار الصورة الذهنية التى رسمها الإعلام الغربى المعادى للإسلام ومع العوامل الثقافية الموروثة فى التراث الأسبانى حول طرد المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية مما حعل الهجوم على الإسلام عنيفًا واستطاع منصور أن يشرح وجهة نظر الإسلام الصحيح الذى يحرم إيذاء الأبرياء وأنه دين السلام. شارك منصور فى حملات لمكافحة الجوع فى أفريقيا استهدفت مساعدة السنغال وموريتانيا والنيجر. امتاز منصور اسكوديرو بالدبلوماسية الهادئة وساعده على ذلك كونه طبيبًا نفسيًا ومسلمًا صوفيًا أن يقوم بدوره فى وسط ظروف صعبة فى مجتمع لا يتقبل المسلمين بسهولة وجمعيات إسلامية متناحرة تأكلها المطامع والصراعات القطرية التى انتقلت إليها والصراعات الفكرية والمذهبية ولكن منصور اسكوديرو استطاع أن يعلو فوق كل ذلك وأن يلعب دورًا بالغ الأهمية فى دعم الدين الإسلامى ودمج المسلمين فى النسيج السياسى والدينى والاجتماعى لأسبانيا.

وفى ٢٠١٠/١٠/٣ توفى منصور اسكوديرو عن عمر يناهز ٦٣ عامًا فى منزله وهو يؤدى صلاة الفجر (رحمه الله وجزاه عن المسلمين خير الجزاء) وما زالت داره دار السلام مفتوحة لكل المسلمين حتى الآن.

«موطأ الإمام مالك»

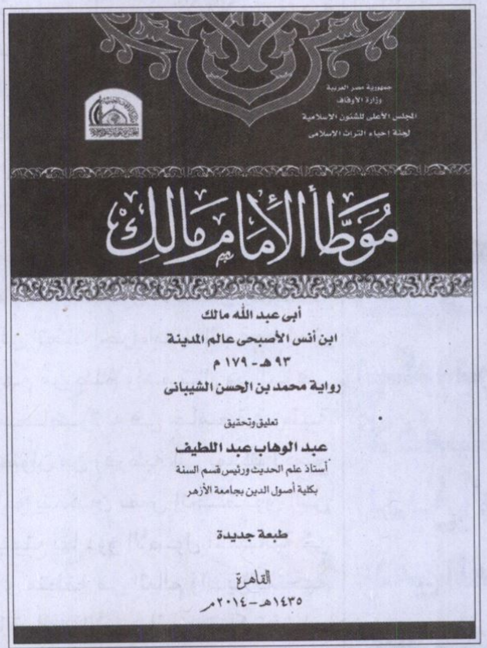

ألف هذا الكتاب الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحى الحميرى، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته فى المدينة، ولد سنة (٩٣هـ)، كان صلبًا فى دينه، بعيدًا عن الأمراء والملوك، ووجه إليه الرشيد العباسى ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يُؤتى، فقصد الرشيد منزله، واستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله ﷺ إجلال العلم، فجلس بين يديه فحدثه، وتوفى سنة (١٧٩هـ).

يعد كتاب الإمام مالك أول كتاب ألف فى الحديث والفقه معًا، وهو من أفضل وأعظم الكتب التى ألفت حتى ذلك الوقت، وقصة هذا الكتاب: أن الخليفة أبا جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ) قصد الإمام مالك فى موسم الحج طالبًا منه تأليف كتاب فى الفقه يجمع الشتات وينظم التأليف بمعايير علمية حددها له قائلاً: «يا أبا عبد الله ضع الفقه ودون منه كتبًا، وتجنب شدائد عبد الله بن عمر، ورخص عبد الله بن عباس، وشوارد عبد الله بن مسعود، وأقصد إلى أواسط الأمور».

إعداد: شيماء نزيه عطية

وهذا الكتاب هو أجل كتب الحديث المتقدمة عليه وأعظمها نفعًا؛ فيه الأحاديث الصحيحة المسندة، وإن كان الكتاب ليس بكبير الحجم. واعتنى أهل العلم بالموطأ عناية فائقة لإمامة مؤلفه، ولعظم نفعه ولاختصاره، وكان الإمام مالك متحريًا فى الرواية، منتقيًا للرجال أحسن الانتقاء، منتقدًا للرجال أشد الانتقاد لذلك جعله أهل الحديث آنذاك مصدرًا حديثيا معتمدًا عليه فى الاحتجاج بأحاديثه. وذاع صيته فى المشرق والمغرب؟ وقد رواه عنه الإمام محمد بن الحسن الشيبانى فقيه العراق وصاحب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان.

وقد تحدث العلماء عن الموطأ، فقد قال الإمام الشافعى عنه: «ما كتاب بعد كتاب الله أنفع من كتاب مالك بن أنس»، وقال الإمام البخارى: «أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر»، وقال القاضى أبو بكر بن العربى فى شرح الترمذى: «الموطأ هو الأصل واللباب»، وقال الإمام مالك نفسه عن كتابه هذا: «عرضت كتابى هذا على سبعين فقيهًا من فقهاء المدينة، فكلهم واطأنى عليه فسميته الموطأ».

وهناك كتب قامت بشرح موطأ مالك مثل: (المنتقى) للباجى، و(أوجز المسالك) للكندهلوى، و(تنوير الحوالك) للسيوطى.

وروى الموطأ عن مالك جمع غفير من الرواة منهم: معن بن عيسى، ومحمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة، وابن بكير، وابن عفير، والصورى، ويحيى بن يحيى، وعلى بن زياد وغيرهم.

وانطلاقًا من حرص المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على نشر وسطية الإسلام قام بتحقيق ونشر كتاب الإمام مالك (الموطأ) ليستفيد منه أبناء العالم العربى والإسلامى.

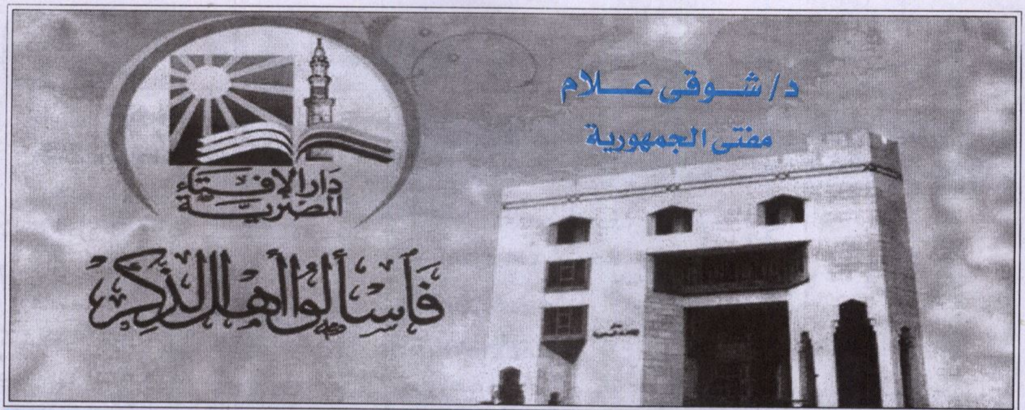

د/ شوقى علام
مفتى الجمهورية

حكم حج ذوى الاحتياجات الخاصة

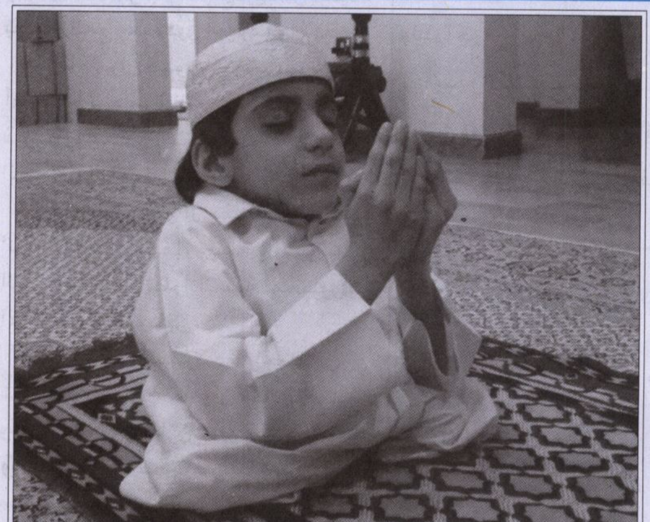

ما حكم الشرع بالنسبة لفريضة الحج لذوى الاحتياجات الخاصة والإعاقات الذهنية والجسدية؟

الجواب: المسلمون من ذوى الإعاقات الجسدية فقط لهم حكم الأصحاء شرعا: مِن وجوب الحج على المستطيع منهم: إما بنفسه أو بغيره؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران:٩٧)، وكذلك الحال مع ذوى الإعاقات الذهنية التى لم تُخرجهم إعاقتُهم عن حَدِّ التكليف الشرعى؛ بأن كان سنه العقلى - لا العمرى - هو سن البالغين المدركين لما حولهم؛ بأن يكون خمسة عشر عاما فما فوق، أو أقل من خمسة عشر عاما ولكنه يكون - برأى المختصين - مدركا للأمور الحسِّيَّة المتعلقة بالجنس الآخر، - كما يشعر بها مَن احتلم من الذكور أو احتلمت أو حاضت من الإناث - سواء أَجَمَعُوا بين الإعاقة الجسدية وهذا النوع من الإعاقة الذهنية، أم اقتصر الأمر على إعاقتهم الذهنية فقط. والحج يقع صحيحا منهم مُسقطًا للفريضة سواء أحجوا بمالهم أو بمال غيرهم.

وأما مَن كان من المسلمين إعاقتُه الذهنية تُخرجه عن حدِّ التكليف السابقِ تحديدُه، فإن الحج - ومثله العمرة - تصح منهم إذا تم نقلهم إلى الأماكن المقدسة وقاموا بأداء الحج أو العمرة بأركانهما وشروطهما عن طريق مساعدة الغير لهم. ومعنى ذلك: أنه يوضع ذلك فى ميزان حسناتهم، وإن كان ذلك لا يُغنِى عن حج الفريضة أو عمرة الفريضة - عند مَن يقول بوجوب العمرة، كالشافعية -، بمعنى أن المعاق ذهنيًا إعاقةً تُخرجه عن التكليف إذا عُوفِى من مرضه وإعاقته وصار مكلفا وجبت عليه حجةُ الفريضة وعمرة الفريضة، عند مَن يقول بفرضيتها.

معنى الإفراد والقران والتمتع فى الحج

ما معنى الإفراد والقِران والتمتع فى الحج؟ وما أفضلها؟

الجواب: للحج أنساك ثلاثة، أى: ثلاثة طرق لتأدية منسكه: الإفراد والقِران والتمتع.

فالإفراد عند بعض العلماء - كالشافعية - هو تقديم الحج على العمرة؛ بأن يُحرِم أولا بالحج من ميقاته، ويَفرَغ منه، ثم يخرج من مكة إلى أدنى الحِل فيحرم بالعمرة، ويأتى بعملها، ومن العلماء مَن لا يشترط العمرة بعد الحج، ويجعل القيام بأعمال الحج وحده دون العمرة هو الإفراد.

وأما القِران فهو أن يُحرِم بهما معًا، أو يحرم بالعمرة ثم يُدخِل عليها الحج قبل شروعه فى أعمالها، ثم يعمل عمل الحج فى الصورتين، فيحصلان.

وأما التمتع فهو أن يقدم العمرة على الحج ويتحلل بينهما، ويسمى الآتى بهذا النسك متمتعًا؛ نظرًا لتمتعه بمحظورات الإحرام بين النُّسكَين.

وليس على المفرِد دم واجب، بل إن شاء ذبح تطوعًا منه، وإن شاء لم يذبح، ولكن المتمتع والقارن عليهما دم واجب؛ وسبب الوجوب هو ترك الإحرام من ميقات بلده.

وأما عن أفضلها فهو محل خلاف بين العلماء: فأفضلها عند المالكية والشافعية: الإفراد، ولكن المالكية قالوا بأنه يليه فى الأفضلية القِران فالتمتع، بينما يرى الشافعية أن الذى يليه فى الأفضلية هو التمتع فالقِران، وعند الحنفية الأفضل من الأنساك الثلاثة هو القِران فالتمتع فالإفراد، ويرى الحنابلة أن التمتع أفضل، فالإفراد، فالقِران.

والنصيحة فى مثل هذا الموقف أن تأخذ الأيسرَ عليك.

حكم حج الصبى وهل يغنى عن حج الفريضة؟

أخذت ابنى الصبى معى فى الحج، فهل يصح حجُّه؟ وهل يُغنى عن حج الفريضة؟

الجواب: عن ابن عباس -رضى الله تعالى عنهما- عن النبى ﷺ: «**أنه لقى رَكبًا بالرَّوحاء فقال: مَنِ القومُ؟** قالوا: المسلمون. فقالوا: مَن أنت؟ **قال: رسولُ الله.** فرَفَعَت إليه امرأةٌ صَبِيًّا فقالت: ألهذا حجٌّ؟ قال: **نعم، ولكِ أجرٌ**».

وعلى ذلك يصح حجُّ ابنِك الصبى ما دمتَ ستستكمل له أركانَ حجِّه وواجباتِه، ويُحسَب له حسناته كحج نافلة؛ ولذا لا يُغنِى عن حج الفريضة؛ لأن شرط العبادة المفروضة: التكليف، والصبى غير مكلَّف.

حج والد الزوجة على نفقتها الخاصة

زوجتى تعمل ولها دخل مستقل ووالدها رجل طاعن فى السن وغير قادر ماديًا على أداء مناسك الحج والعمرة، ووالداه الذكران لا يقدران على مساعدته فى ذلك، وتريد زوجتى -وأنا أتفق معها- تخصيص المال الكافى من ذمتها المالية لأبيها؛ حتى يتمكن من أداء مناسك الحج والعمرة. وأنا وزوجتى أدينا فريضة الحج والحمد لله، هل يجوز شرعًا أن يحج أو يعتمر والد زوجتى على نفقتها؟

الجواب: لا مانع شرعا من أن يحج أو يعتمر والد الزوجة على نفقتها الخاصة، فهذا من البر والإحسان وصلة الرحم، وإنه بمجرد تبرع المال للحج من المتبرع - أيًا كان - يصبح المال ملكًا للمتبرع إليه، وبه تتحقق الاستطاعة المطلوبة فى الحج تحقيقًا لقوله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا﴾** (آل عمران: ٩٧).

تغطية المحرم أو المحرمة نفسه بشىء يتدفأ به

هل يجوز للمحرم أو المحرمة أن يغطى نفسه بشىء يتدفأ به؟

الجواب: المحرم بعمرة أو بحج ممنوع من لبس المخيط والمحيط، وهو المفصل على قدر العضو من أعضاء الجسم، كالقميص والسراويل والتُّبَّان والخُفين غير المقطوعين أسفل الكعبين ونحو ذلك، أما ما يُلَفُّ على عضو من الأعضاء من غير أن يكون مفصلا عليه فلا يضرُّ، فلو أخذ قميصًا أو ملاءة أو لحافا فلفَّها على جسمه؛ لدفع البرد أو لستر العورة أو غير ذلك فلا يضره ذلك، فالمعوَّل عليه فى وجوب الفدية فى المخيط هو حصول اللبس به على المعتاد فى كل ملبوس، لا مجرد وضعه على الجسم.

وهو أيضًا ممنوع من تغطية رأسه أو بعضه -ولو كان البياض الذى خلف الأُذن- بشىء يلتصق به، سواء أكان مَخِيطًا مُحِيطًا كالقلنسوة أو الطاقية، أم لا، كالعمامة أو الإزار، وكل ما يُعَدُّ ساترًا، ولا بأس أن يتوسَّد وِسادة، أو يضع يده على رأسه، أو يستظل بمظلة ولو مست رأسه، وأما حمل شىء على رأسه ففيه خلاف، فالأفضل ترك ذلك حتى لا تكون عليه فدية على رأى المانعين.

والمُحرِمة بحج أو بعمرة إحرامها فى وجهها وكفيها؛ فيجب عليها ألا تغطى ذلك منها، ولها بعد ذلك لبس ما تشاء، وتغطية رأسها بما تشاء. وعلى ذلك فلا بأس للمُحرِم بحج أو عمرة أن يغطى نفسه بشىء يتدفأ به، بشرط ألا يلبسه على جسمه بحيث يُفَصِّل أعضاءه، وبشرط ألا يغطى بذلك رأسه.

الحج لمن يعمل بعقد عمل فى السعودية كل موسم

هل يصح الحج لمن يعمل بعقد عمل فى السعودية فى موسم الحج؟

الجواب: فرق بين صحة الحج وجوازه، فإذا اكتملت أركان الحج وواجباته فالحج صحيح يسقط الفرض إن كان حجة الإسلام، ويُحسَب نفلا إن لم يكن حجة الإسلام، وأما جوازه فشىء آخر؛ فإذا كان -مثلا- عقد العمل لا يَسمَح لك بالحج، فخالفتَ وحججتَ فهذا إثم؛ لمخالفة شرط العقد، وما يترتب على ذلك من الضرر الذى يلحق بكَ وبالآخرين، مع كون الحج صحيحًا إذا استوفى أركانه وشروطه.

لبس العباءة فى الحج ناسيا قبل الحلق

لبس العباءة فى الحج ناسيًا قبل الحلق وبعد أن قام برمى جمرة العقبة الكبرى ثم حلق بعد ذلك شعره وطاف للإفاضة وسعى وتحلل التحلل الأكبر، فماذا يجب عليه إزاء هذا الفعل؟

الجواب: من المقرر عند الشافعية أن ما كان من محظورات الإحرام على سبيل الترفه -كالطيب، والجماع، ولبس المخيط، وستر الوجه والرأس- فإنه لا تجب الفدية فيها على الناسى ولا الجاهل، وإنما تجب على من تلبس بشىء منها عامدًا عالمًا.

وبناء على ذلك: فإن لبس العباءة حال الإحرام بعد رمى جمرة العقبة إذا كان على سبيل النسيان أو الجهل فلا حرج على فاعله، ولا يفسد بذلك حجه، وليس عليه شىء.

استخدام الصابون المعطر أثناء الإحرام

هل استخدام الصابون المعطر أثناء الإحرام ممنوع؟

الجواب: يحرم استخدام العطر فى البدن أو الثياب أو الطعام لمن تلبَّس بالإحرام، فهو من محظوراته.

وأما الصابون المعطر فالمختار فى الفتوى: أنه يجوز للمحرم استعماله؛ لأنه ليس مَن العطر الذى يقصد للتطيب، وإن كان الأحوط عدم استعماله؛ خروجا من الخلاف.

ارتداء المعاق حذاءه الطبى أثناء تأدية مناسك الحج داخل الحرم

معاق وساقه اليسرى أقصر من اليمنى، ويقوم بتعويض ذلك بحذاء طبى، فهل يجوز له لبس الحذاء الطبى وهو يؤدى المناسك داخل المسجد الحرام: من طواف وسعى؟ وهل عليه فدية فى ذلك أم لا؟ وهل رباط الحذاء يعتبر مخيطا أم لا؟

الجواب: يجوز لبس الحذاء الطبى، وربطه برباطه المعد له فى مثل حالة السائل؛ لأن هذه ضرورة، و«الضرورات تبيح المحظورات».

وعلى صاحب السؤال أن يخرج فدية: من صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، وله إخراج القيمة لكل مسكين، أو بذبح شاة، وذلك قياسًا على من غطى رأسه لمرض بها، أو أى أذى يلحقه؛ لقوله سبحانه وتعالى: **﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾** (البقرة: ١٩٦).

توجه الحاج إلى عرفات يوم الثامن من ذى الحجة بدلا من منى

هل يجوز للحاج أن يتوجه إلى عرفات يوم الثامن من ذى الحجة بدلاً من التوجه لمنى؟

الجواب:

يجوز، وغايته أنه ترك مستحبًا وهو: المبيت بمنى.

حكم الجواز شرعا لنفرة الحجيج من عرفات على مراحل

هل يجوز شرعًا أن تكون نفرة الحجيج من عرفات على مراحل؛ لتتم النفرة فى سهولة ويسر لهذه الأعداد الغفيرة المتزايدة؟ وهل هذا يعتبر تغييراً لمناسك الحج؟

الجواب:

أجمع العلماء على أن ما بعد الزوال وقتٌ صحيحٌ للوقوف بعرفة، وأن وقت الوقوف ينتهى بطلوع فجر يوم النحر، وأن مَن جمع فى وقوفه بعرفة بين الليل والنهار من بعد الزوال -فوقوفه تام ولا شىء عليه.

واختلفوا فى مسألتين:

الأولى: حكم الوقوف بعرفة والدفع منها قبل الزوال، هل يجزئ عن الوقوف بعد الزوال؟ فالجمهور على أن ذلك لا يجزئ، وأن مَن فعل ذلك فعليه أن يرجع فيقف بعرفة بعد الزوال، أو يقف من ليلته تلك قبل طلوع الفجر، وإلا فقد فاته الحج.

والحنابلة فى المذهب عندهم يرون أن ذلك يجزئ، وأن مَن فعل ذلك فحجه صحيح.

والمسألة الثانية: هل يجزئ الوقوف بعرفة مع الدفع منها قبل غروب الشمس؟ فالحنفية ومَن وافقهم يوجبون الوقوف بعرفة حتى غروب الشمس، والأصح عند الشافعية ومَن وافقهم أن ذلك مستحب وليس واجبًا، فيجوز عندهم للحاج الذى وقف قبل الزوال أن يُفيض من عرفة قبل المغرب.

وأصحاب القول الثانى فى كلا المسألتين يستدلون بحديث عروة ابن المضرِّس رضي الله عنه قال: «أتيتُ رسولَ الله ﷺ بالمُزدَلفة حينَ خَرَجَ إلى الصَّلاة، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنِّى جِئتُ مِن جَبلَى طَيِّئ؛ أكلَلتُ راحِلَتِى وأتعبتُ نَفسِى، واللهِ ما تَركتُ مِن جبلٍ إلا وَقفتُ عليه، فهل لِى مِن حَجٍّ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: **مَن شَهِدَ صَلاتَنا هذه ووَقَفَ معنا حتى نَدفَعَ** - وقد وَقَفَ بعَرَفةَ قبلَ ذلكَ لَيلا أو نَهارًا - فقد أَتَمَّ حَجَّه وقَضى تَفَثَه». قال أبو البركات ابن تيمية الحنبلى فى «منتقى الأخبار» بعد ذكره لهذا الحديث: «وهو حجة فى أن نهار عرفة كله وقت للوقوف».

وعلى ذلك فيمكن للجهات المسئولة أن تنظم النَّفرة والإفاضة من عرفات بما يتلاءم مع أعداد الحجيج ويمنع تكدُّسهم.

ويجوز لهم أن يجعلوا النفرة من عرفات على مرتين أو أكثر، حسبما تقتضيه المصلحة العامة للحجيج.

حكم ترك المبيت بمنى للضعفاء والمرضى والنساء من الحجاج

ما حكم ترك المبيت بمِنى للضَعَفة والمرضى والنساء من الحجاج؟

الجواب: المبيت بمنى ليالي التشريق مختلف فيه بين العلماء: فالجمهور على أنه واجب، والحنفية على أنه سنة.

ويدل على القول بالسُّنِّيَّة ما رواه الشيخان عن ابن عمر - رضي الله عنهما- «أن العباس رضي الله عنه استأذن النبيَّ ليبيت بمكة ليالي منى؛ من أجل سقايته، فأذن له». ولو كان المبيت واجبًا لما رُخِّص في تركه لأجل السقاية، فعلم أنه سُنَّة.

وإذا أضفنا إلى ما سبق اعتبار ما يَعتَري الحجيجَ مِن تعب شديد وضيق مكان وخَوف مرض، كان القول بسنية المبيت بمنى هو المختار للفتوى.

وإذا قلنا بالسنية: فمَن ترك مبيت الأيام الثلاثة جميعًا فمِن العلماء مَن قال: إنه يسن له أن يجبره بدم ولا يجب، ومن ترك مبيت ليلة واحدة جبرها بالتصدق بمُدٍّ من طعام.

وقال الحنفية والإمام أحمد في رواية: إنه لا يلزم من ترك المبيت بمنى شيء.

وحتى على قول الجمهور إن المبيت بمنى واجب، فإنهم يرخصون لِمَن كان ذا عذر شرعي بترك المبيت، ولا إثم عليه حينئذ ولا كراهة، ولا يلزمه شيء أيضًا، ولا شك أن الخوف من المرض من جملة الأعذار الشرعية المرعية.

وقد وردت الرخصة من الشارع لأهل الرعاء والسقاية في ترك المبيت في منى، فروى الإمام مالك في موطئه عن عاصمِ بنِ عَديٍّ رضي الله عنه: «أنَّ رسولَ الله أَرخَصَ لرِعاءِ الإبِلِ في البَيْتُوتة خارِجينَ عن مِنًى يَرمُون يومَ النَّحرِ ثُم يَرمُون الغَدَ ومِن بعدِ الغَدِ ليَومَين ثُم يَرمُون يومَ النَّفرِ».

ولا ينبغي الوقوف على النص الوارد، بل ينبغي اعتبار مراد الشارع منه، وإلا كان جمودًا محضًا.

ومعلوم أن الالتزام بالمبيت وإلزام الحاج به مع أعمال الحج الأخرى يزيد من إجهاده وضعفه، فإذا انضم إلى ذلك ما نزل بالناس في هذه الأيام من انتشار للأوبئة التي يسهل انتقالها، فإن جسم الإنسان يكون أكثر عرضة لالتقاط الأمراض، ولا شك أن أشد الناس تضررًا بذلك هم النساء والأطفال والمرضى والضعفاء، فناسب أن يأخذ هؤلاء حكم مَن رُخِّص لهم.

حكم رمي الجمرات بعد منتصف الليل وكيفية احتسابه

هل يجوز رمي الجمرات بعد منتصف الليل، وما كيفية احتساب منتصف الليل؟

الجواب: أما رمي جمرة العقبة الكبرى يوم النحر فإن كثيرًا من العلماء -كالشافعية والحنابلة وغيرهم- أجازوا رميها بعد نصف ليلة النحر للقادر والعاجز على السواء؛ استدلالا بحديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: «أرسل النبي بأم سلمة ليلة النحر، فرمت الجمرة قبل الفجر، ثم مضت فأفاضت» رواه أبو داود. «وإسناده على شرط مسلم». اهـ.

وأما رمي الجمرات في أيام التشريق: فالمعتمد في الفتوى: أنه يجوز للحاج أن يرمي قبل الزوال في سائر أيام التشريق، وهو مذهب جماعات من العلماء سلفًا وخلفًا.

وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما - واللفظ للبخاري - من حديث ابن عباس قال: «كان النبي يُسأل يوم النحر بمنى فيقول: لا حَرَجَ، فسأله رجل فقال: حلقت قبل أن أذبح، فقال: اذْبَحْ ولا حَرَجَ، وقال آخر: رميت بعدما أمسيت، فقال: لا حَرَجَ، وأنه ما سُئِل في ذلك اليوم عن شيء قُدِّم أو أُخر إلا قال: افْعَلْ وَلَا حَرَجَ». وهذا يقتضي رفعَ الحرج في وقت الرمي.

وبناء على ذلك: فإنه يجوز رميُ الجمرات أيام التشريق بدءًا من نصف الليل، والنفر بعده لِمَن أراد النفر في الليلة الثانية أو الثالثة منها، ولَمَّا كان الليل يبدأ من غروب الشمس وينتهي بطلوع الفجر الصادق، فإن نصفه يُحسَب بقسمة ما بين هذين الوقتين على اثنين وإضافة الناتج لبداية المغرب.

نافذة على القراء

يحرره ـ أحمد حسن

جمهورية مصر العربية
القاهرة
مجلة منبر الإسلام
٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة

الشباب أمل الحاضر والمستقبل

الشباب هو عماد الأمة وسر قوتها وحامل رايتها وبانى حضارتها وحامى حماها، وأمة بدون شباب لا أمل فيها، واهتم الإسلام ببناء الشباب من الطفولة كما قال الرسول الكريم ﷺ: **«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه»** وقال الرسول الكريم ﷺ: **«امروا أولادكم بالصلاة لسبع ثم أضربوهم لعشر»**، وقال سبحانه وتعالى: **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ● فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ● قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ● وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾** (سورة الشمس الآيات: ٧، ١٠) قد أفلح وفاز من علم نفسه الخلق الإسلامى وأدب نفسه بأدب الرسول الكريم ﷺ، وقد خاب من لم يعلم نفسه ويغذى قلبه بنور الإيمان والإسلام، وعلى الشباب أن يحرصوا على العلم والقراءة والبحث وإعمال العقل والتدبر، والبعد عن التعصب والغضب وعلى الشباب حسن اختيار الصديق قال رسول الله ﷺ: **«مثل الجليس الصالح والجليس السوء كبائع المسك ونافخ الكير فبائع المسك إما أن يحذيك وإما أن تجد منه ريحًا طيبًا، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»**، وعلى الشباب أن يحرص على الثقافة لتوعية الآخرين ويثقف نفسه وغيره، ويحرص على الصدق والإيجابية والبعد عن السلبية، وهذا جعفر ابن أبى طالب عمره ٣٣ سنة كان يقود جيش الأمة فى غزوة مؤتة ويحارب الروم وهو يحمل لواء التوحيد وقد قطعت يده اليمنى فأمسك الراية باليسرى فقطعت اليسرى فاحتضن الراية بزنديه وحريص علىّ ألا تسقط راية الإسلام راية التوحيد.

لذا سماه الرسول ﷺ جعفر الطيار لأن الله أبدله بدلاً من ذراعيه جناحين يطير بهما فى الجنة بعد أن قتل شهيدًا من أجل الإسلام، وقد منح الله مصر شبابًا نفخر به بين شباب العالم، شباب يعرف دينه، وحق الله وحق الإسلام ويحرص على الرقى بالأمة ولا ينساق وراء المفسدات.

القارئ: محمد أحمد الديب - فوه.

عزيزى القارئ: إن تربية النشء عملية فى غاية الأهمية والصعوبة أيضًا ويشارك فيها العديد من مؤسسات التنشئة الاجتماعية أولها وأهمها الأسرة تليها المدرسة والمسجد ثم يأتى النادى وجماعات الأصدقاء ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة ويجب عليها جميعًا أن تغرس فى نفوس النشء قيم ومفاهيم الإسلام الصحيح النقى حتى يشب قويًا مثقفًا محبًا لله والوطن متحصنًا بالقرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ يعتمد عليه الوطن فى بناء الحاضر وصنع المستقبل.

على المرء فى شبابه وأيام قوته ونشاطه أن يعمل صالح الأعمال طمعًا فى الجنة. وفى الحديث القدسى: **«ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل، وكيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى»**.

وفى الحديث الذى رواه أبو هريرة: **«لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته»**.

فالعارفون بالله تسكن نفوسهم، وتطمئن قلوبهم عندما يذكر عفو الله ورحمته وحلمه ومغفرته قال تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾** (سورة الرعد الآية: ٢٨) فالقلوب المؤمنة تسكن وتطمئن من حيث اليقين بالله، وحسن الظن به، والثقة بوعده للصالحين والعاملين فإن الله بفضله وإحسانه لا يضيع أجر من أحسن عملا وإن كان هؤلاء العارفون فى الوقت نفسه يخافون الله، ويخافون سطوته وعقوبته، وكلما ازدادت معرفتهم قوى خوفهم، هؤلاء كما وصفهم الله عز وجل هم المؤمنون حقًا، وذلك لقوة إيمانهم، ومراعاتهم لربهم، وخوفهم منه كأنهم بين يديه.

ويقول الحق تبارك وتعالى: **﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ● الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾** (سورة الحج الآيتان: ٣٤، ٣٥).

وقال عز وجل: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ● الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ● أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾** (سورة الأنفال الآيات: ٢: ٤).

فهم مع طمأنينة القلب ثقة بما عند الله من الرحمة والعفو يعيشون على خوف ووجل من غضبه وعذابه.

روى العباس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«إذا اقشعر جلد المؤمن من مخافة الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة البالية ورقها»**.

وقد وعد الله فى كتابه العزيز أهل الخشية والخوف والمراقبة بالمغفرة والنعيم الدائمين والرحمة الشاملة ولنسمع قول الله عز وجل: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾** (سورة الملك الآية: ١٢).

القارئ: أحمد سعيد منصور بحيرى - قليوب البلد - قليوبية.

عزيزى القارئ: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (سورة فاطر الآية: ٢٨) لأن لله كتابين، كتاب الله المسطور وهو القرآن الكريم وكتاب الله المنظور وهو الكون الهائل من حولنا فإذا تدبر المؤمن آيات القرآن الكريم أو تأمل آيات الله ودلائل قدرته فى الكون فإنه حتمًا يصل إلى تقوى الله والخوف من ناره وعقابه إذا أخطأ والطمع فى ثوابه ورحمته وجنته إذا أطاع وأخلص العبادة لله.

ترقبوا

سلسلة دراسات إسلامية

• تصدر فى منتصف كل شهر عربى

سلسلة قضايا إسلامية

• تصدر غرة كل شهر عربى

إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

من أمهات كتب التراث الإسلامى

موسوعات متخصصة فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف

مع مجلة «منبر الإسلام» الشهرية

مسابقة منبر الإسلام الدينية - ذو القعدة ١٤٣٥هـ

اقلب الصفحة

ترقبوا الموسوعات المتخصصة موسوعة التاريخ الإسلامى

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (سورة الكهف الآية: ٣٠).

إن العمل الذى يدعو إليه الإسلام هو العمل المتقن القائم على الأمانة والإخلاص هو العمل للدنيا وللآخرة معًا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة القصص الآية: ٧٧)

صدق الله العظيم وإن شئون الدنيا تتحول إلى دين بصدق النية والإخلاص لله ورسول الله ﷺ يقول النبى ﷺ: **«ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»** حديث صحيح.

التجارة إذا كانت لتنمية الاقتصاد الإسلامى فهى دين وعبادة وحسبك أن رسول الله ﷺ يقول: **«التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»** حديث حسن.

إن العامل فى المصنع حين يحافظ على إنتاج بلاده وكرامة وطنه ويحمى اقتصاده من أن ينهار هو كالجندى فى المعركة كلاهما يجاهد فى سبيل الله.

القارئ: مصطفى عبد الظاهر أبو عميرة - جزيرة طما - سوهاج.

عزيزى القارئ: يقول الرسول الكريم ﷺ: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا».

فالمطلوب هو الإخلاص والإتقان فى العمل والتفانى فى الأداء.

والمسلم الحق يجب أن يخلص العبادة لله حتى يحظى برضوان الله وجنته. والمسلم أيضًا يجب أن يتقن عمله الدنيوى ويتفانى فى الأداء سواء كان زارعًا أو صانعًا أو تاجرًا حتى يرتقى الوطن ويسير متقدمًا فى ركب الحضارة الإنسانية.

مسابقة منبر الإسلام الدينية ذو القعدة ١٤٣٥هـ

السؤال: «لا تجد نظامًا اجتماعيًا أهتم باليتيم كما أهتم به الإسلام»

فى أى مقال وردت هذه العبارة؟

عنوان المقال: .... **اسم الكاتب:** ....

العنوان: ....

العمل: ....

اسم المتسابق: .... **رقم التليفون:** ....

تاريخ الميلاد: ....

رقم البطاقة: .... **جهة الصدور:** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٣٥هـ حتى شعبان ١٤٣٦هـ.

يعيش الشعب المصرى فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ مصر ظروفًا صعبة تتمثل فى الانفلات الأمنى والأخلاقى والاجتماعى فالدماء تسيل هنا وهناك قتلى ومصابين فى كل مكان والجميع فى النهاية مصريين وكأننا نعيش فى عصر الجاهلية الأولى فلا اعتبار لقانون ولا حرمة لدين ولا احترام لعادات وتقاليد مصرية أصيلة.

وفى ظل هذا الخضم من الأحداث التى يندى لها الجبين تتبادر إلى الأذهان الكثير والكثير من الأسئلة التى قد يجد بعضها الإجابة ويبقى الكثير منها لا إجابة، ويظل السؤال الأهم: ما المخرج مما نحن فيه؟! وما الحل؟!

ينبغى على كل المصريين جميعًا وهم يعرفون جيدًا قدر وطنهم ويدركون قيمته ومكانته أن يكونوا يدًا واحدة يعتصمون بحبل الله المتين وأن يأخذوا العبرة والعظة مما فاتهم وأن ينظروا إلى المستقبل ويعملوا بكل قوة لما فيه الخير للأجيال القادمة، وعلى القوى السياسية باختلاف انتماءاتها وتوجهاتها الانصياع لصوت العقل والحكمة للخروج بالوطن من أزمته وأن يستمعوا إلى رجال الدين وعقلاء الوطن ويقوموا بتنفيذ ما يطرح من مبادرات لإنقاذ الوطن والحفاظ على الدماء المصرية الغالية.

ينبغى على كل واحد منهم أن يعرف ما عليه من واجب فيؤديه قبل أن يطالب بما له من حق، فعلى الدعاة والعلماء وهم ورثة الأنبياء فى هداية الناس وإرشادهم إلى ما فيه الخير فى الدنيا والآخرة، إحياء الوازع الدينى والاجتماعى والنفسى عند الناس والنزول إلى أرض الواقع لبيان شرع الله تعالى وما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته من بعده وذكر النماذج والتى كان لها الدور الأول بفهمها الشامل والواضح لديننا فى نشر الإسلام فى شتى بقاع الأرض وإقامة حضارة إسلامية أبدعت فى شتى مجالات الحياة عبر قرون طويلة. والشباب فى هذه الفترة الحرجة جدًا فى حاجة ماسة إلى قدوة يراها فيمن حوله (الأب والأم ورجال التربية والدعاة) فيجب على هؤلاء اتخاذ منهج الله تعالى سبيلاً لهم وأخلاق النبى ﷺ منهاجًا يسيرون عليه.

ودور وسائل الإعلام فى غاية الخطورة فالبعض منها وللأسف الشديد يقوم بنشر الأخبار دون التحقق من صحتها مما يؤدى إلى بث الفتنة وتهديد استقرار المجتمع فالواجب على هؤلاء تحرى الصدق فى نقل الأخبار وعدم الجرى وراء أخبار مستقاة من غير مصادرها مما يسمى بـ (الشائعات).

فالكلمة لها أمانتها ومسئوليتها فى الإسلام، فالرسول ﷺ يبين أن سلامة الناس من ألسنتهم تحقق لهم وصف الإسلام فيقول فيما رواه أبو موسى الأشعرى قال: قلت يا رسول الله: أى المسلمين أفضل؟ قال ﷺ: **«من سلم المسلمون من لسانه ويده»** والمولى سبحانه وتعالى يوجه النداء للمؤمنين بأن يستعينوا بفضيلة الصبر رمز التسلح المعنوى النابع من جهاد النفس وبفريضة الصلاة التى هى شعار التحالف مع الله القوى المتين. يقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** (سورة البقرة الآية: ١٥٣).

والرسول ﷺ يبين المخرج من الفتن فى هذا البيان النبوى الكريم، عن على رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إنها ستكون فتن، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟

قال ﷺ: **«كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم»**، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يخلق من كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل.

القارئ: أحمد أبو الوفا صديق أحمد - قرية العركى - مركز فرشوط - محافظة قنا.

عزيزى القارئ: قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدًا كتاب الله وسنتى. فالقرآن الكريم هو حبل الله المتين وهو حصن المؤمن الذى يرشده إلى الإسلام الصحيح وبغيره يضل ويشقى وتتقاذفه الأنواء ويصبح كالريشة فى مهب الريح العاتية، تعبث به المحن والأهواء والأفكار الضالة وقد تدفعه إلى الخطأ والإضرار بالنفس والدين والوطن وهذا ما حذرنا منه الرسول الكريم ﷺ حين قال: «يعود الإسلام غريبًا كما بدأ غريبًا».

محتويات مجلة منبر الإسلام «ذو القعدة» ١٤٣٥ هـ

■ كلمة التحرير ١
■ الخطاب الدينى وثلاث معضلات كبرى .... أ.د. محمد مختار جمعة - وزير الأوقاف .. ٢
■ فضل الحج وأثره فى غفران الذنوب .... د. أحمد عمر هاشم ٥
■ الحج الركن الخامس من أركان الإسلام .... الشيخ/ محمد عبد المجيدان زيدان ٨
■ الميقات الزمانى للحج .... د. سيف رجب قزامل ١٢
■ نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية .... د. طه مصطفى أبو كريشة ١٥
■ التفسير اللغوى للقرآن الكريم .... د.عبد الغفار حامد هلال ١٩
■ مكانة النبوة والأنبياء فى القرآن الكريم .... د. حسن أحمد خليل ٢٤
■ أخلاق الإسلام فى التعامل مع العلماء .... د. عبد المنعم صبحى أبو شعيشع ٢٩
■ مكانة العلم والعلماء فى ضوء القرآن االكريم .... د. مختار مرزوق عبد الرحيم ٣٤
■ من أخلاق أهل العلم .... د.حسن السيد خليل ٣٩
■ من أقضية الرسول ﷺ وأصحابه .... د. السيد محمد الديب ٤٤
■ الاعتداء على الأرض الزراعية جريمة شرعية .... د. أحمد فاروق الهلباوى ٤٨
■ كفالة اليتيم ورعايته طريقك إلى الجنة .... تحقيق: محمد كامل شاهين ٥٢
■ أنباء وأخبار .... محمد سيد أحمد علىّ الدين ٥٨
■ خطب الجمعة لشهر ذى القعدة ١٤٣٥هـ ٦٧
■ من تراث منبر الإسلام: من أخلاق القرآن الكريم الاعتصام بالله ... للدكتور أحمد الشرباصى يرحمه الله
أعده للنشر د. حسن أحمد خليل ٨٧
■ مكارم الأخلاق فى شعر أحمد شوقى .... د. محمد محمد أبو ليلة ٩٢
■ الشكر حقيقته وفضله وثمراته .... د. طه عبد السلام خضير ٩٧
■ أثر الصدق فى انتشار الإسلام .... د. سيد زكريا سيد محمد ١٠٢
■ العفو من أخلاق الإسلام .... د. إلهام محمد شاهين ١٠٦
■ المروءة من مكارم الأخلاق .... د.أحمد عبد اللطيف الكلحى ١١٠
■ التلوث السمعى والضوضاء بين الإسلام والعلم .... د. محمد فتحى فرج بيومى ١١٣
■ الشمس والقمر فى القرآن الكريم .... طبيب/ يحيى سنبل ١١٧
■ تكنولوجيا الاتصال بين التقدم العلمى والتحديات الأخلاقية ... تحقيق: أمل عدلى ١٢٠
■ نافذة على العالم «ماليزيا» .... جليلة أحمد حلمى ١٢٦
■ الزمان والمكان فى القرآن والسنة «وادى العقيق» .... د. عبد المقصود باشا ١٢٩
■ داعية إسلامى من طراز خاص. «د. منصور اسكوديرو» .... حمدى محمود الضوى ١٣١
■ من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية «موطأ مالك» .... إعداد: شيماء نزيه عطية ١٣٤
■ «فاسألوا أهل الذكر» .... د. شوقى علام - مفتى الجمهورية ١١٥
■ نافذة على القراء .... أحمد حسن ١٤٠
■ محتويات العدد ١٤٤

من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لكل أطفال العالم

الثمن ١ جنيه

مجلة الفردوس فى ثوبها الجديد
فكرية - ثقافية - أخلاقية - شاملة

مع الباعة غرة كل شهر عربى
احرص على اقتنائها

MINBAR AL-ISLAM

Year (73), Vol. (11), Dhu al-Qi'dah, 1435 H.
September 2014 - Price: E.P. 200

Issued by

Ministry of Al-Awqaf
The Supreme Council for Islamic Affairs

Chairman

Prof. Dr. Mohamed Mukhtar Gomaa
Minister of Al-Awqaf & President of
The Supreme Council for Islamic Affairs

Editor-in-Chief

Prof. Dr. Ahmed Ali'Ajeba
Secretary General of
The Supreme Council for Islamic Affairs

E-mail Address: islamic_council_eg@yahoo.com

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر